

الباب الأول

دراسة عن قانون الإيمان المسيحي

وفيه خمسة فصول:

- الفصل الأول: حال النصارى قبل وضع قانون الإيمان المسيحي
- الفصل الثاني: أسباب وضع قانون الإيمان المسيحي ومراحل تكوينه
- الفصل الثالث: بيان مصادر قانون الإيمان المسيحي
- الفصل الرابع: تناقضات قانون الإيمان المسيحي واختلاف النصارى فيه
- الفصل الخامس: دراسة العقائد الواردة في قانون الإيمان المسيحي



حال النصارى قبل وضع قانون الإيمان المسيحي

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول المسيح عليه السلام ودعوته
- المبحث الثاني: حال النصارى بعد عصر المسيح عليه السلام

المبحث الأول

المسيح عليه السلام ودعوته

إن لدراسة سيرة المسيح عليه السلا عند دراسة قانون الإيمان المسيحي أهمية عظيمة، إذ يعتبر بيان سيرة المسيح عليه السلام ودعوته الركيزة الأولى عند دراسة المسيحية، دراسة عادلة، حتى يتبين مدى صحة ارتباط المسيحيين بالمسيح من ناحية، ويتبين أيضا مدى صلة عقائد قانون الإيمان المسيحي وتعاليمه بتعاليم المسيح ودعوته من ناحية أخرى. فقد سطروا ما وافق عقولهم، وراق لأهوائهم، ثم نسبوه بعد ذلك إلى المسيح، ولذا جاءت سيرة المسيح وتعاليمه في كتبهم المقدسة وتواريخهم المعتمدة مختلط فيها الحق بالضلال، والنور بالظلام، ولذا فسرد سيرة المسيح وتعاليمه، خالية من تعصب الآراء وتدخل الأهواء أمر في غاية الأهمية.

ولقد تنوعت المصادر في الحديث عن سيرة المسيح ونشأته، ما بين كتابات مطولة عن حياة المسيح وما بين أحاديث مقتضبة عنه كذلك، إلا أنه يمكن أن يقال أن هناك اتجاهين للباحثين في ذلك:

الاتجاه الأول: يرى بعض الباحثين انعدام المصادر الموثقة التي يمكن الاعتماد عليها كمصادر علمية يعتمد عليها.

تقول دائرة المعارف البريطانية : (يجب أن نترك سعينا وراء كتابة سيرة يسوع، ذلك لأن المادة الموثقة والمعتمدة لهذا الغرض لا توجد، أما ما يوجد لدينا من وثائق عن حياته التي يمكن الاعتماد عليها، فهي لا تزيد عن بيان سيرته لخمسين يوم فقط) [١]

١ دائرة المعارف البريطانية مقال: يسوع المسيح (jesuschrist و encyclopaediabritannica (١٩٥٨) vol.١٣,pp.١٦-١٧ نقلا عن المسيحية لساجد مير ص ٢٣.

ولذا يرون أنه من المستحيل أن تكتب سيرة المسيح الحقيقية أبدا[1] بل يرى بعضهم أنه لم يكتب أي شي من سيرة المسيح لأن المسيح لم يوص بتدوين مواعظه او سيرة حياته[2]، ويرون انه "لم يبق من أعمال السيد المسيح شيء ولا كلمة واحدة مكتوبة"[3]

ويرون أن المصادر المعتمدة في نقل مجمل سيرة المسيح، حتى المقدسة منها، غير موثوقة النقل في سردها لسيرة المسيح، كالعهد الجديد الذي تقول عنه الطبعة المسكونية للكتاب المقدس (إن نص العهد الجديد، قد نسخ، ثم نسخ طوال قرون كثيرة، بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من أحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول، دون أن تتصف أي نسخة مهما بذل فيها من الجهد بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه، يضاف إلى ذلك، أن بعض النساخ حاولوا أن يصوبوا ماجاء في مثالهم، وبدا لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة، أو قلة دقة في التعبير الإلهي، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ)[4]. وعلى هذا جملة من اللاهوتيين والمؤرخين[5]

والجدير بالذكر، أنه عندما تطرق الشك لنصوص العهد الجديد – لد أصحاب هذا الرأي – ولا سيما الأناجيل التي تعد مصدرا مهما، بل أهم المصادر في سيرة المسيح، تطرق الشك بطبيعة الحال أيضا إلى وجود من تحدثت عنه تلك الأناجيل، فأصبح بعض مؤرخي الأديان من النصارى بين فكي الرحى، فلاهم مقتنعين بالأناجيل وليس لهم مصادر غيرها، ولا هم مصدقين بها.

١ انظر : W.R.inge:christian ethics and modern problems (london,١٩٣٠) P٤٣ نقلا عن المسيحية لساجد مير ص ٢٣.

٢ انظر : المسيحيون الأوائل والإمبراطوريةالرومانية،ا.س. سفنسيسكايا، ص ٦٣ .

٣ دائرة المعارف البريطانية نقلا عن محمد رسولا نبيا، عبدالرزاق نوفل ص ١٨٨ .

٤ الكتاب المقدس – طبعة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس، عام ١٩٨٤م.

٥ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ١/١٦٠-١٦١ و معالم تاريخ الانسانية هـ، ج ولز، ٣/١٥ و التاريخ المسيحي المظلم ص ٣٢.

لئد أدى ذلك الشك في مصداقية المصادر التي نقلت سيرة المسيح – لدى بعض أصحاب هذا الرأي – إلى قطع الشك باليقين الذي يعتقده بعدم وجود المسيح، بل جزم بأنه شخصية خيالية، وقد صرح بذلك كثير منهم، بل إن من الأعاجيب، أن بعض المؤرخين للمسيحية يعقد الفصول الطويلة، في نشأة المسيح، وسيرته، ودعوته، ولاهوته، ثم يختم حديثه بالسؤال عن وجود المسيح، هل هو حقيقة أم خيال؟ .

وأانتشر هذا الرأي بكل قوته منذ القرن الثامن عشر للميلاد ، حتى عدت (الكتب والمقالات التي رفضت وجود المسيح وبشدة أكثر من مائة كتاب ومقالة في المائتي عام المنصرمة)[١]

ومن أمثلة ذلك القس حنا جرجس[٢]، حينما يقول بعد أن ذكر ترجمة مطولة عن سيرة نشأة المسيح ولاهوته ثم يقول: (والسؤال الذي يفرض نفسه فرضا على الباحث في التاريخ، هو السؤال الذي سأله الأستاذ موريس جوجل Maurice Gugel الذي كتب عدة مؤلفات عن حياة المسيح محاولا الإجابة على السؤال الآتي: هل يسوع هو شخصية حقيقية لحما ودما ؟ وهل عاش في منطقة ما على الأرض وفي وقت معين ؟ أم هو مجرد حقيقة روحية رمزية أسطورة، عن طريقها استطاعت الكنيسة الأولى أن تعبر عن آمالها وأحلامها وعبادتها؟)

ثم يقول القس حنا جرجس معقبا: (هذا السؤال الذي سأله جوجل، ونسأله، ويسأله الكثيرون من المؤرخين، هل يسوع الناصري حقيقة أم خيال ؟)[٣]

---

١ انظر:ومن أبرز أولئك الذين نفوا وجود المسيح في مؤلفاتهم "برونو بور" ١٨٠٩م وأعضاء المدرسة الهولندية الراديكالية في سبعينات القرن التاسع عشر والبريطاني جون روبيرتسون ١٩٠٠م والامريكي وليم سميث ١٩٣٤م والألماني ارثر دروز ١٩٣٥م وجورج أي ويليمز ١٩٢٦م . انظر : يسوع المسيح خارج العهد الجديد ، روبيرت فان فورست ، ص١٧-٢٣

٢ هو الدكتور حنا جرجس الخضري من أشهر كتاب الكنيسة الارثوذكسية المعاصرين له كتاب تاريخ الفكر المسيحي.

٣ تاريخ الفكر المسيحي ١/١٤٧

وتصادق على ذلك المؤرخة أ.س.سنفنسيسكايا فتقول (ومن حق المؤرخين أن يرتابوا في صحة رواية مولد يسوع في بيت لحم)[١]

ويعرض كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الذي ألف لغرض تعليم الاعتقاد المسيحي سؤالا مهما من وجهة نظرهم حيث يقول: (هل كان للمسيح جسد حقيقي ؟)[٢].

ويقول الدكتور داود رياض ارسانيو[٣]: (شخصية المسيح، من أكثر الشخصيات التي دار حولها جدل عنيف، لم تنطفئ جذوته على مدار ما يقرب من ألفي عام، فقد كانت ولادته محل أسئلة وجدال، وكانت حياته مثار تعليق ونقاش...وبسببه قامت الدنيا ولم تقعد)[٤]

ومع أن كثيرا من أتباع هذا الرأي، يعقب بالأدلة والبراهين التي تبرهن على وجود المسيح، ويستدل بأقوال الوثنيين واليهود على وجوده، إلا أنه مع ذلك، يوحي بأن الشك متجذر في نفوسهم في حقيقة وجود المسيح، ويوحي كذلك، بأن تلك البراهين ما هي إلا لدفع ذلك الشك.

الاتجاه الثاني: هناك رأي آخر لبعض المؤرخين وهو أنهم يرون أنه قد يعتمد في نقل سيرة المسيح على ما ورد في الأناجيل باعتبارها المصدر الوحيد الموثوق التي تحدثت عن سيرته، حيث أن كتابها هم أول من كتب عن المسيح عن مشاهدة منهم له، أو نقل لأخباره عن مشاهديه -في نظرهم-.

ولهذا، فإنهم يعتبرون المصدر الرئيس المعتمد في سيرة المسيح، هي الأناجيل الأربعة، بل هي العمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ، ومواطن الاختلاف بينها ظاهرة، مع استقصاء أسبابها، والمقارنة بينها وبين آثارها، ويرون أن رفضها على الجملة أصعب من قبولها عند الرجوع إلى أسباب هذا وأسباب ذاك، ولذلك، يرون أن الواجب أن يدخل في الحسبان أنها

---

١ المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، أ.س.سنفنسيسكايا ص ٧٠

٢ مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٣٨

٣وهو أحد الباحثين اللاهوتيين ، حاصل على دكتوراة في الفلسفة من جامعة فولر

٤ من هو المسيح، د / داود رياض ارسانيو، ص٣

هي العمدة التي اعتمد عليها قوم، هم أقرب الناس إلى عصر المسيح، لأن الآباء الرسل والتلاميذ كانوا معاصرين لحوادث العهد الجديد[1] ويرون أنه ليس لدينا نحن بعد أكثر من ألفي سنة عمدة أحق منها بالاعتماد[2].

غير أن هناك ثلة من –أتباع هذا الرأي– أي الذين ذهبوا إلى اعتماد سيرة المسيح من خلال الأناجيل اتفقوا على أن تلك الأناجيل لم تذكر سوى النزر اليسير عن نشأته وحياته، يقول قاموس الكتاب المقدس (لا نجد في العهد الجديد الكثير عن طفولية الرب يسوع ما عدا الإشارات البسيطة)[3]

ويعزي البعض سبب قلة الموارد لسيرة المسيح في الأناجيل هو أن تلك الكتب لم تسعى الى سرد سيرة المسيح بل إلى ذكر المواعظ والتعاليم[4] أو أن هدفها ديني وليس تاريخي[5]

وهناك مصادر أخرى لسيرة المسيح، إلا أنها لا تعتبر بتلك الأهمية التي يعتمد عليها في نقل أخبار المسيح عنها، ككتب المؤرخين المعاصرين والأدب المسيحي غير الملهم، وبما أنه غير

١ الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكيا المعروف بابن سباع، ص ٤١

٢ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص ١٣ وتاريخ الفكر المسيحي ١٤٤/١ الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكيا المعروف بابن سباع، ص ٤١ و كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ٨/٣ و ميزان الحق، كارل فاندر،ص ٤٣٩-٤٤٠ و التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، همة الشماس: جورج يلدا، لندن، ٢٠١، www.chaldean.org.uk،ص ٢٤ و إيمان المسيحي وواجباته ص ١٠ و يسوع المسيح خارج العهد الجديد، مدخل إلى الادلة القديمة، روبيرت فان فورست، ص ١٦٠

٣ قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٦ وانظر: المسيح، حياته وأعماله، الاب متى المسكين ص ٥٤ و تاريخ الفكر المسيحي ٢١٠/١ و المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٦٤

٤ انظر:يسوع المسيح خارج العهد الجديد ، روبيرت فان فورست ، ص ١٨و المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٦٤

٥ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ١٤٥/١ و المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٦٤

ملهم باعتبارهم، فهو غير موثوق به، وهي ليست بمحل ثقة حتى عند المسيحيين أنفسهم[1] وهناك من يرى اعتماد المصادر الغير مسيحية في نقلها لسيرة المسيح ، إلا أن يرد على ذلك أن كتاب تلك المصادر عن المسيح هم في حقيقتهم نقلة ما يقوله النصارى عن المسيح ، وليسوا مقررين لما جاء به المسيح عن اعتقاد ، عدا أن أقوالهم لا يمكن أن تجاز على أقل تقدير وهم لم يؤمنوا بالمسيح أصلا [2] .

ويرى كثير من علماء النصارى، أن هذه الكتب قد دخلها كثير من التحريف والتزوير[3] وهناك نوع من المصادر الغير مسيحية كشهادة يوسف فلافيوس اليهودي[4] وويلس اليهودي[5]، ولكنها ليست بذات أهمية حتى عند النصارى، بل يرجح النصارى دخول بعض الأيدي المسيحية في تعديل وتحوير تلك الكتب بغرض إثبات العقائد المسيحية على لسان غير المسيحيين من جهة، مع تناقضها في ورود كثير من القدح في مريم العذراء والدة الاله وابنها المسيح – في نظر النصارى – [6] ويسير على هذا الاتجاه كثير من علماء الكتاب المقدس المعاصرين، كما نشرت ذلك مجلة التايمز البريطانية في عددها الصادر يوم

---

١ انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١٣٨ نقلا عن المسيحية لساجد مير ص ٢٤ وهذا التعليل يدل على تجاهل بمحتواه، إذ أن واقع نصوص العهد الجديد لا سيما الأناجيل الأربعة تكذب ذلك فقد أطنبت في ذكر معجزاته ولم تنقل إلا القليل من مواعظه وتعاليمه.

٢ وذلك مثل كتاب الرومان الذين أشاروا إلى وجود المسيح مثل "سوتونيوس١٤٠م" و"تاسيتوس٩٦م " و"بليني الأصغر١١٣م " و"مارا بار٧٣م " و"ثالوس ٥٦م" والفيلسيوف " لوشيان٢٠٠م " و"سيلسوس١٧٥م" والمصادر اليهودية كالأدب العبري الحاخامي . وغيرها . انظر:يسوع المسيح خارج العهد الجديد ، روبيرت فان فورست ، ص٢٩ وما بعدها.

٣ انظر : لمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٦٥.

٤ هو يوسف بن ماتيتاهو هاكومين ولد عام ٣٨م وتوفي عام ١٠٠م سياسي وقائد عسكري ومؤرخ يهودي وكان قريبا من الطبقة الحاكمة الرومانية له عدة مؤلفات أهمها كتاب الحرب اليهودية. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٤٤/٤

٥ لم اجد له ترجمه.

٦ انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٦٥-٦٧

٢٠٠٥/١٠/٥م، حيث ذكرت أن الهيئة الكهنوتية في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أصدرت وثيقة باسم " هبة الكتاب المقدس" كان من ضمن ماجاء فيها قولهم: " يجب علينا أن لانتوقع العثور على كلام علمي دقيق وإحكام تاريخي بالغ الدقة أو تام في الكتاب المقدس"

ونشرت مجلة "تايم " الامريكية ملفا تحت عنوان " البحث عن يسوع " في عددها الصادر يوم ٨/ إبريل/١٩٩٦م، تضمن تشكيكا كبيرا في كثير من نصوص الكتاب المقدس التاريخية وغيرها[١].

والواقع، أنه ليس هناك لدى المسيحيين ما يمكن أن يعتد به في سرد سيرة المسيح، سوى الأناجيل وملحقاتها، لا سيما الأناجيل الأربعة، مع أن ما ذكر عن المسيح في تلك الأناجيل الأربعة، هي معلومات متناثرة عن بعض الأحداث التاريخية التي وقعت للمسيح، بين كل واحدة وأخرى سنين، قد تمتد إلى عقد من الزمان، سكتت عنها نصوص الأناجيل سكوتا تاما -كما سيأتي -.

ولذا فلا يمكن أن تعرف سيرة المسيح معرفة حقيقية تفصيلية من خلال أسفار العهد الجديد الذي هو المصدر الوحيد المعتمد في إثباتها عند النصارى التي يصرح المؤرخ LUCCIANVEBVER بأن روايات الإنجيل عن المسيح جمعت (تجميعا هامشيا لأحداث ومعطيات متناقضة تحيط بفراغ لا يكاد يسكنه سوى ظل يكاد لا يدرك)[٢]

ولذا لجأ بعضهم إلى اعتماد مصادر في بيان سيرة المسيح غير المصادر المسيحية المعتمدة[٣]

---

١ انظر: مقدة أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، للإمام القرافي، تقديم، د/ احمد عبدالرحيم السايح و توفيق وهبه، ص ١٤-١٥

٢ الفكر الإسلامي في الرد على النصارى لعبدالمجيد الشرقي ص ٣٢

٣ فقد لجأ بعضهم إلى اعتماد القران الكريم كمصدر أساسي في رد سيرة المسيح، فأصبح القرآن الكريم له مكانة علمية حتى في الأوساط النصرانية المعتدلة التي تجردت عن سلطان الهوى والتعصب فنجدهم يقرون -مع كفرهم به - بجودة مصدريته ودقة أخباره وبتواتره المنقطع النظير وخلوه من التناقضات والتغييرات.

=

وفيما يلي سوف تستعرض سيرة المسيح عليه السلام من خلال ذكر ولادته ونشأته ودعوته ومن ثم اضطهاده ونهايته.

أولا: البشارة به وولادته ونشأته وموقف اليهود منه:

يقول المستشرق الفرنسي "ديمومبين":(إن المنصف لا مناص له من أن يقر بأن القرآن الحاضر هو القرآن الذي كان يتلوه محمد) أثر التفكير الفلسفي في الإسلام، د / عبدالحليم محمود ص ٤٤

ويقول السير "وليم موير " في كتابه "حياة محمد ": (كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءا جوهريا من الصلوات اليومية عامة و خاصة...لذلك وعت القران ذاكرة كثرة المسلمين الأولين إن لم يكونوا جميعا)

ولهذا رأى المنصفون منهم أن سرد القران لسيرة المسيح لم يتخلله التبديل والتغيير والكذب والمبالغة، وقد شهد عدد منهم بذلك

يقول المستشرق إميل درمنغم: (وللمسيح في القرآن مقام عال فولادته لم تكن عادية كولادة بقية الناس وهو رسول الله الذي خاطب الله جهرا عن مقاصده... والقرآن يقصد النصرانية الصحيحة حينما يقول إن عيسى كلمة الله أو روح الله ألقاها إلى مريم وأنه من البشر فهو يذم مذهب القائلين بطبيعة واحدة في المسيح ومذهب القائلين بإلوهية المسيح... وما إلى ذلك من مذاهب الإلحاد النصرانية لا النصرانية الصحيحة).حياة محمد، محمد حسين هيكل، ص ٣١

ويقول الدكتور داود رياض ارسانيو وهو احد المفكرين المسيحيين وهو حاصل على الدكتوراه من جامعة فولر (ورد ذكر المسيح في ثلاث وتسعين آية قرآنية والى هذه الآيات يرجع التفكير الإسلامي كلما تناول مسلم شخصية المسيح بالبحث ومجمل الآيات التي تكلمت عن المسيح وأمه احدهما أو كليهما ٢٨٦ اية) من هو المسيح، داود رياض ارسانيو، ص ٣

ويقول واشنطن إيرفنغ: (كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه حتى إذا ظهر المسيح اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل ثم حل القران مكانهما فقد كان القران أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين كما صحح القران ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل)٣

بل عقد القس عوض سمعان فصلا كاملا في كتابه "الله " حيث يقول فيه " الفصل الثالث: الكلمة المسيح وصفاته وأعماله " ثم جاء بنصوص القران عن المسيح عليه السلام وقسمها حسب البشارة به ومولده وسيرته وأعماله الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٥٢ فما بعدها.

يرجع كثير من علماء النصارى كثيرا من النصوص الواردة في العهد القديم إلى أنها بشارات تبشر بالمسيح عليه السلام.

ومما لا شك فيه، أن النبي السابق من أنبياء الله تعالى، يبشر بالنبي اللاحق، ويحث الناس على تصديقه والإيمان به[1].

والمسيح عليه السلام أحد أولئك الرسل، الذين بشر بهم أنبياء الله تعالى السابقين، ولكن النصارى غلوا في تلك البشارات، وأنزلوا كثيرا منها في غير منزلها، فحولوا كثيرا من النصوص الواردة في غير المسيح، على أنها واردة فيه، إلى اختراع كثير من النصوص المحرفة التي لم توجد أصلا، كل ذلك بغية إثبات ألوهية الفادي المخلص بشتى الطرق والأساليب.

وهذا الغلو يصوره كثير من لاهوتيي الكنيسة حينما يصرحون بأن (المسيح ساطع في كل الكتاب المقدس، في إشراق دائم، وليس كالشمس التي تغيب عن نصف الأرض ليلا، إذ ليس في كتب التوراة، أو كتب الأنبياء، جزء تغرب عنه شمس المسيح، اسمه، وشخصه، وصفاته، وأعماله، وظروفه، وأحواله، في التوراة وكتب الأنبياء، وفي ثنايا سطورها، نجد المسيح في كل جملة، وفي كل إصحاح، وفي كل سفر من أسفارها، وما حروفها وكلماتها، إلا خطوط أو أظلالا لصورة المسيح الجديدة)[2]

ويرون أن الكتاب المقدس كله يتحدث عن المسيح بإشارات (ويحتل المكانة الأولى في كلمة الله، لا، بل هو المركز والمحور، الذي يدور حوله حديث الكتاب المقدس، في عهديه القديم والجديد، ففي القديم نرى النبوات والرموز، وفي العهد الجديد نرى تحقيق هذه النبوات وتتميم الرموز)[3]

---

١ انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، للإمام القرافي، ص٥٧ وانظر: تثنية ١٨/١٥ وإشعيا ٧/١٤ وإشعيا ٩/٦والمزامير، المزمور الأول، فقرة ١-٢والمزمور ٧٢ /١

٢ هل تنبات التوراة عن المسيح، القمص،سرجيوس، ص ٦

٣ المسيح مركز النبوات، القس: اسبر عجاج، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، www.arabicbible.com. ص ٨ وما بعدها حيث أطنب في تفكيك تلك الرموز =

وهذا المفهوم الرمزي الفلسفي للكتاب المقدس، هو مفهوم قديم تبناه بعض آباء الكنيسة، يقول يوستنيانوس أو يوستينس[1] وهو أحد آباء الكنيسة الأقدمين:(يجب أن ندرك هذه النصوص من كلمة الله، بحسب معناها الرمزي، أم هل يكون علينا أن نفهمها بتلك الطريقة الغبية التي لمعلميك، ألا يجب أن ترى في الصليب مع الحية النحاسية[2] نفس الإشارة الرمزية إلى يسوع المصلوب..)[3] ثم ذكر قصص وحكايات وبعض الأساطير من العهد القديم، كلها ترمز إلى المسيح – باعتقاده –.

بل إن الناظر إلى كل ذلك، ليأخذه العجب حينما يرى أنهم قد أنزلوا كثيرا من قصص التاريخ والوقائع الإجتماعية، في نصوص العهد القديم على أنها رموز وإشارات ودلالات وبراهين، ترمز الى ألوهية المسيح وما يتعلق به، فمثلا في قصة العليقة التي رآها موسى تشتعل دون ان تحترق[4]، قالوا بأنها ترمز إلى التجسد والعذراء، وفي عبور البحر بموسى وقومه[5]، قالوا بأنه رمز لسر المعمودية، وفي المن الذي نزل على بني إسرائيل[6]، قالوا بأنه يرمز إلى سر تناول جسد المسيح، وعصا موسى[7]، ترمز الى خشبة الصليب برأيهم، ورفع موسى يديه للصلاة[8]، رمز للمصلوب المسيح بفهمهم، وغير ذلك من الرموز الكثيرة بزعمهم[1]

=

التوراتية،وانظر: هل تنبات التوراة عن المسيح، القمص،سرجيوس، ١٣-١٢٠ حيث ملأ كتابه بانزال نصوص التوراة على أنها دلالات رمزية عى المسيح.

١ هو يوستينس المعروف بالفيلسوف الشهيد، ولد سنة ١٠٠م في فلسطين بنابلس نشأ محبا للفلسفة وأصبح فيلسوفا ثم تحول إلى المسيحية، بشر بالمسيحية على الطريقة الفلسفية توفي سنة ١٦٣م. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢٢٤

٢ تكوين ١٤/٣

٣ المسيحون الأوائل، ابرهاردارنولد، ص ٣٤١

٤ انظر: سفر الخروج ٢/٣

٥ انظر: سفر الخروج ١٦/١٤

٦ انظر: سفر الخروج ٣٥/١٦

٧ انظر: سفر الخروج ٣/٣

[8] ٨ لم أعثر على رفع موسى ليديه في الصلاة في نصوص العهد القديم .

وعلى كل حال، لا شك أن هناك نبوءات تنبأ بها أنبياء العهد القديم لمبعث المسيح عليه السلام، غير أن النصارى، لم يكتفوا بها وإنما جعلوا نصوص العهد القديم كله رموز تهدف وإشارات، بل دلائل وبراهين، تدل على ألوهية المسيح المخلص، وهذا مما لا يوافقهم عليه نقل صريح أو عقل صحيح.

ثانيا: ولادته:

تحدثت نصوص الأناجيل عن ولادة المسيح عليه السلام منذ بشارة أمه العذراء مريم بأنها ستحبل بابن، فقد جائها الملاك جبرائيل مبشرا، حيث كانت تسكن في الجليل في مدينة الناصرة، وسلم عليها وطمأنها وبشرها بأنها ستحبل، وستلد ابنا، يسمى يسوع.

جاءها الملاك فبادرها بالبشارة (سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت في النساء)[٢].

ويبدو أن مريم بحسب رواية الأناجيل قد خافت في باديء الأمر ولهذا طمأنها الملاك بقوله (لا تخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب أبيهإلىالأبد ولا يكون لملكه نهاية)[٣]

=

١ انظر: كيف نفهم علم اللاهوت، رتكندل، ١/١٢٠ والموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم للكنيسة الأرثوذكسية١/٤٦وإيماننا الأقدس، الأنبا يوأنس، ص٦٨-٨٧ وتاريخ المسيحية في سفر أعمال الرسل، الارشمندريت: يوسف درة الحداد ص ١٣١ وهذه التفسيرات الرمزية أقل ما يقال عنها أنها محاولات دؤوبة من قبل النصارى لتكثير المصادر التي تحدثت عن المسيح وعن لا هوته وربوبيته، والواقع أن هذه الرموز لا يمكن أن تعتبر رموزا حقيقية تتحدث عن المسيح لأنه دليل ولا مستند لهم على ذلك وإلا لاعتبر العهد القديم بأكمله رموزا لا حقيقة لها ويسري ذلك على نصوص العهد الجديد أيضا، مما يبطل شرائع العهدين وتعاليمهما.

٢ لوقا ١/٢٨

٣ لوقا ١/٣٠-٣٣

ثم حاول أن يخبرها بكيفية أسرار ذلك الحدث وهي حملها من غير زوج قائلا لها :(الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك)[1]

مع أنها كانت آنذاك مخطوبة من يوسف النجار الذي كانت خطبته من مريم مشتهرة بين اليهود، ولهذا قالوا للمسيح بعد ذلك (أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بابيه وأمه)[2]

وهذه البشارة بمضمونها لمريم فيها طمأنة لها وتسكين لنفسها الخائفة من هذا الحدث الغريب الذي لم يخطر لها على بال، بل لم تسمع به من قبل، ولكن تسكينها بأنها مباركة من بين نساء العالمين، فيها بشارة عاجلة لها في الدنيا، وأن قوة الله ومجده تظللها، فيها تسكين لنفسها الخائفة بتكليل الله لها وعنايته ورعايته لها.

ولكن يظهر، أن روايات الأناجيل لم تقتصر على ذلك، بل أراد كتابها إهالة شيء من العظمة والقوة لميلاده، فذكرت أن الملاك بشرها بأن ابنها سوف يملك "ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب أبيهإلىالأبد ولا يكون لملكه نهاية"[3]، غير أن هذه النبوءة من الملاك لمريم التي ذكرها بعض كتاب الأناجيل لم تحصل للمسيح -كما سيأتي.

---

١ لوقا ٣٥/١ ويعلل النصارى سبب بشارتها بالمسيح من غير أب، هو حتى يكون بطبيعة بشرية إنسانية حتى يحمل الخطايا، ولكن جوهره الإلهي هو الذي يبقى كابن لله، فيرون أن (الشخصية الكبيرة التي ستحمل هم تغيير البشرية من وضعها الخاطئ الأرضي الملوث بالخطيئة والجهالة والظلمة العقلية، إلى وضعها الروحي السماوي.. من المستحيل أن تكون بدايتها من إنسان عادي، رازح تحت هذه الخطايا والمناقص والانغلاق الروحي عن الله، والعائش في الظلمة العقلية.. ولان شخصية المخلص سيكون عملها الأساسي في الطبيعة البشرية ذاتها لتغييرها والارتقاء بها أخلاقيا وسلوكيا لرفعها إلى النقيض العالي والمتسامي روحيا..وهذا هو نفسه الوضع الذ ادخلنا فيه الإنجيل بقصة ميلاد المسيح من العذراء القديسة مريم بدون رجل حتى يتم الميلاد من الروح القدس)— حسب زعمهم — انظر: المسيح حياته وأعماله،للأب متى المسكين، ص ٢٩-٣٠ ومختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٣٩

٢ يوحنا ٤٢/٦

٣ لوقا ٢٣/٣

وبعد تلك التطمينات الملائكية لمريم العذراء ولد المسيح عليه السلام، في بيت لحم[1] فيذكر لوقا في إنجيله أن يوسف النجار صعد من مدينة الناصرة إلى بيت لحم ومعه امرأته المخطوبة مريم وهي حبلى (فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل)[2] ثم لما تمت أيام تطهير مريم بعد ولادة المسيح صعدوا به إلى أورشليم [3].

ثم هربوا إلى مصر كما يذكر متى في إنجيله أن (ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلا قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك.. فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر)[4] وذلك خوفا من هيردوس ملك اليهودية[5]

ويعلل بعض النصارى سبب اختيار يوسف النجار لأرض مصر بأنها (كانت وظلت مصر حلم اليهود)[6]

ثم مكث إلى أن أمره ملاك الرب في حلم أن يرجع إلى أرض إسرائيل إلا أن يوسف خاف على الابن فانصرف إلى نواحي الجليل (وأتى وسكن مدينة يقال لها ناصرة)[7].

ثالثا: نشأته:

---

١ متى ٢/١ و ١٨/١ ولا نريد أن نذكر سنة ولادته لعدم جدوى تحديد سنة ميلاد المسيح على العقائد النصرانية وقد أكد كثير من الباحثين على أن التقويم الحالي الميلادي غير صحيح ولا يحدد ميلاد المسيح تحديدا صحيحا، مع أن بعضهم قد رجح سنة ٤ ق م او ٥ ق م انظر: تاريخ الفكر المسيحي ١/١٦٥ والمسيح حياته وأعماله للأب متى المسكين ص ٣٧ -٣٨

٢ لوقا ٧/٢١

٣ لوقا ٢٢/٢

٤ لوقا ١٣/٢

٥ متى ٧/٢ و١٣/٢

٦ المسيح حياته وأعماله للأب متى المسكين ص ٤٧

٧ متى ٢٣/٢

بعد أن ذكرت مصادر النصارى ولادة المسيح في بيت لحم، لم تخبرنا تلك المصادر عن أي تفصيل لحياة المسيح سوى أنه (كان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه)[1]

فلم يذكر شيئا عنه إلا بعد أن بلغ السن الثانية عشرة من العمر، حيث ذكر أنه (لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته)[2]

ثم أطبق كتاب العهد الجديد إطباقا تاما على السكوت عن سيرة المسيح ولهذا يقول الأب متى المسكين[3]: (سؤال يملأ وجدان كل من ارتبط بالمسيح بالمحبة: ماذا كانت أيام صبوته الأولى وشبابه الغض ورجولته اليافعة ؟ لأنه منذ أن كان وهو في الثانية عشرة عندما قص علينا لوقا زيارة العائلة والمسيح معهم إلىأورشليم في عيد الفصح لم نسمع عنه شيئا)[4]

مع أننا لا نعتقد أن هذه السنين التي حجبت عنا تماما –كما يقول الأب متى المسكين – أنها انقضت دون حركة داخلية ودون امتداد بالمعارف التي أبداها وهو صبي، فلا بد أن

---

١ لوقا ٢/ ٤٠ وهذه العبارة هي في الحقيقة لا فائدة منها البتة في توثيق سيرة أحد فضلا عن سيرة الرب يسوع حسب اعتقادهم، وكأن كاتب الإنجيل أراد أن يسد ذلك الخلل الواضح في توثيقه لسيرة المسيح فأراد أن يكمله بتلك الجملة

٢ لوقا ٢/ ٤٦

٣ هو يوسف اسكندر المعروف بـ متَّى المسكين، رجل دين مسيحي قبطي ولد عام ١٩١٩ م وكان من من عائلة غنية، ولكن في عام ١٩٤٨ باع كل ما يمتلكه وتوجه إلى الرهبنه، له عدة مؤلفات من أبرزها المسيح حياته واعماله. انظر: موقع دير القديس انبا مقار الكبير مقال الاب متى المسكين ثروة الله للكنيسة بقلم الاستاذ: ناجي وليم.

٤ المسيح حياته وأعماله للاب متى المسكين ص ٥٤

هذه السنين الطوال، والتي هي زهرة العمر في المعرفة والاستيعاب وانفتاح الوعي على الواقع المحيط، وما فوق الواقع، وما فوق الطبيعة، كانت له مدرسة كمدرسة الأنبياء[١]

ثم صمتت الأناجيل مرة أخر عن سيرة المسيح مذ أن كان عمره اثني عشر عاما إلى أن بلغ الثلاثين من العمر في اعتماده على يد يوحنا المعمدان فتقول (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه...فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)[٢]

مع أن التعميد الذي كان يعمد به يوحنا كان لإزالة الخطايا والذنوب التي غشيها بنو إسرائيل فهي علامة على التوبة والتطهير[٣] ولهذا فتعميده للمسيح حسب وصف بعض النصارى بأنه (أمر مبهم)[٤] ولذا لا يفهم منه سوى أن المسيح كان حاملا للخطية، وهذا يتعارض مع مبادي قانون الإيمان المسيحي الذي نص على أن المسيح ليس حاملا للخطيئة بل هو من حرر الإنسان من الخطيئة[٥].

---

١ انظر : المسيح حياته وأعماله للأب متى المسكين ص٥٥

٢ متى ١٦/٣

٣ انظر ص من هذا البحث " المعمودية عند النصارى "

٤ المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٧٣

٥ وهذا التعميد يدعوا إلى الحيرة والشك – برأي بعض النصارى – في مبادي هذه العقيدة ولهذا يقول الأب متى المسكين:(صحيح أن إعطاء المعمودية بالماء للمسيح وهو بلا خطية يربك القارئ البسيط ان لم يسعفه الشرح اللاهوتي الحقيقي والمناسب جدا إذ لا يمكن أن يتصور احد أن المسيح يخضع للمعمودية بالماء على مستوى فكر الآخرين وحالهم ونفس غرضهم)٥

ثم شرح هذا الشرح اللاهوتي ومفاده أن عماد المسيح ليس من اجل نفسه بل لأنه حاملا للبشرية كلها في جسده٥ وهذا الشرح اللاهوتي الحقيقي – في نظره– امر يدعوا الى السخرية من هذا التعليل إذ كيف يحمل هذا الإله العظيم –في نظرهم – بداخله البشرية، فلا يعقل ان تكون البشرية بداخله من الناحية الحسية وهو لم يصرح أن داخله احد من الناس بل كان يقول "أنا في الأب والأب في" ولو كان هناك احد بداخله لأخبر عنه هو بنفسه أو اخبر عنه احد تلاميذه، أما إن كان =

وبعد هذه الحادثة أعني حادثة الهيكل لم يعرف عن سيرة المسيح شيئا البتة، وقد كان الأولى بتلك الأناجيل ألا تغفل سيرته لاعتقادها بأنه هو الرب المخلص، فلقد أطبقت الأناجيل الأربعة تمام الأطباق عن شيء يذكر عنه منذ أن كان عمره اثنتا عشر عاما إلى أن بلغ الثلاثين سنة أي قرابة الثمانية عشر عاما، بعد أن عمد في نهر الأردن وأمر بالتبليغ والرسالة.
يقول القس حنا جرجس في معرض ذكره كتبة الأناجيل الذين سردوا سيرة المسيح: (على أن هؤلاء الكتاب الذين كتبوا لنا عن ميلاد يسوع وموته وقيامته لا يتكلمون عن حياة يسوع كطفل وشاب فحتى كتاب الأناجيل الذين يسردون بعض القصص الخاصة بميلاده ومعجزاته وأعماله يسدلون ستارا يكاد يكون ستارا كثيفا لا نرى من خلفه إلا خيوطا باهتة جدا على طفولة وشباب يسوع فالفصول الكتابية التي تتكلم عن هذه الفترة من حياته قليلة جدا لدرجة أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن نرسم عن طريقها صورة متكاملة ولو نسبيا لطفولة وشباب يسوع)[١]

ولا يمكن أن يغتفر لتلك الأناجيل سكوتها عن سرد سيرة المسيح، الذي يعد هو الرب المحيي في اعتقادهم، إذ أن إهمال ذلك قد أغفل مقطعا كبيرا من حياة المسيح حتى قاربت عقدين من الزمان. وسردها للقصة التي حدثت له في الهيكل وهو ابن اثنتا عشر عاما، لا يمكن أن تعد نموذجا لسيرته، إذ أن تلك الواقعة لا تكاد تختلف اختلافا يذكر عن قصة أي طفل يفقده أبواه في خضم الزحام الذي يعج به الهيكل.

وعلى كل حال، فلقد كانت سيرة المسيح المتقطعة في نصوص الأناجيل لا تعتبر سيرة حقيقية في تدوين سيرة أي شخص، فضلا عن المسيح الذي يؤلهونه، ولعل أولئك الذين

=

المقصود بأنها بداخله من الناحية المعنوية فلا يمكن ذلك أيضا لأنه بطبيعته الإلهية تدرع بالجسد هو بنفسه فكيف يمكن أن يدعوا أحدا معه غيره وان سلمنا بحصوله لا معنى إذا لتعميد النصارى إلى اليوم لان المسيح قد تعمد عن كل البشرية، بل يلزم منه أن كل البشرية من الناحية المعنوية قد صلبت معه وماتت وقامت من بين الأموات، وهذا مالا يقوله أي نصراني مؤمن بالنصرانية وأي البشر هم أولئك المصلوبون هل هم الذين كانوا قبل المسيح أم الذين بعده؟

١ تاريخ الفكر المسيحي ١/٢٠٠

ذكروا بأن الأناجيل لا يمكن أن تعتبر مصدرا لسيرة المسيح، لعلهم رأوا الشرخ الكبير في نصوص الأناجيل في تدوينها لسيرة المسيح، فعندما ذكرت ولادته وذهاب أمه وخطيبها نحو مصر ثم رجوعهم منها، وهو لايزال طفلا رضيعا، أمسكت عن ذكر نشأته تمام الإمساك، فلم نفاجأ به إلا وهو في الثانية عشر من عمره، في الهيكل مع المعلمين، أي بعد أن أصبح راشدا.

وبعيدا عن نظرة النصارى يمكننا القول، بأن إهمال تلك الأناجيل عن سرد سيرة المسيح هو بسبب أن المسيح قبل بعثه بالرسالة كان لا يختلف عن بقية الناس، حيث كان من ضمن يهود بني إسرائيل، ولم يعمل معجزة تذكر قبل ذلك، وذلك لعدم بعثه بالرسالة، ولم يشتهر بدعوة يشتهر بها، ولهذا فلا ضير أن تهمل تلك الأناجيل سيرته منذ طفولته إلى حين بعثه بالنبوة – والله أعلم –.

رابعا: دعوته:

تذكر الأناجيل أنه بعد أن نزل روح القدس كهيئة الحمامة على المسيح، بعد تعمده في نهر الأردن، على يد يوحنا المعمدان، دخل في تجربة مريرة مع إبليس، بعد أربعين يوما من صيام المسيح، بعد التعميد، وذلك أن إبليس تحدى المسيح ثلاث مرات، تجربة له، ولكن المسيح في كل مرة يرد عليه، بأن ذلك مخالف لشريعة الله، مستدلا على ذلك بنصوص التوراة، ففي المرة الأولى قال له: "إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزا"، وفي المرة الثانية اقتاده إلى شرفة الهيكل، وأوقفه عليه، وأمره بأن يلقي نفسه إن كان هو ابن الله، وفي المرة الثالثة أمره إبليس بأن يسجد له، ليعطيه مقابل ذلك كل ممالك الدنيا، ولكن صمود المسيح على الإيمان، جعله يقول لإبليس، " ابتعد عني ياشيطان، لأن الكتاب يقول: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" [1]

---

١ مرقس ٨/٣٣

ويعلل النصارى لهذه القصة الغريبة بأن المسيح عندما جربه الشيطان كان (أعزلا من سلطانه الإلهي إذ قد تخلى عمدا عما له لكي يستطيع أن يقف موقفنا ويأخذ دورنا)[١]

وعلى أية حال، فبعد خروجه من تلك التجربة المريرة ابتدأ يسوع المسيح مرحلة جديدة، وهي مرحلة التبشير، حيث بدأ يبشر في الجليل [٢]

وابتدأ دعوته بحسب الأناجيل، بالدخول إلى مجامع اليهود، فدخل المجمع في الناصرة، يوم السبت، وأعلن بينهم دعوته قائلا:(روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأنادي للأسرى بالحرية وللعميان بعودة البصر عليهم لأحرر المظلومين)[٣].

ثم بدأ دعوته في أنحاء المدن اليهودية، فبعد أن خرج من الناصرة توجه إلى كفر ناحوم (ونزل إلى كفر ناحوم وهي مدينة في الجليل وأخذ يعلم الناس في السبت)[٤] وأخذ يتنقل في المجامع المختلفة[٥]

وقد كانت له أسس يسير عليها في دعوته بين الناس، ومنهج معين يقوم عليه ويدعوا إليه، وإبراز ذلك المنهج الذي سار عليه المسيح، يعد أمرا مهما جدا، عند الحديث عن دعوة المسيح عليه السلام، فمن خلالها يتبين مقدار موافقة النصارى بعد عصر المسيح عليه السلام له، ومدى صحة ارتباط نسبتهم إليه، وبيان لصدق أو كذب ما نسب إليه أو افتري عليه.

---

١ المسيح حياته وأعماله ص ٧٦ ولو كان تعليل هذه القصة بأنها فوق مستوى العقول كما هو دأب النصارى في كل عقيدة لا تعقل لكان أدهى من هذا الجواب الذي بين أن المسيح قد ينفك عن طبيعته الإلهية في أي وقت شاء، ولا يمكن ان يعتقد من قبل أي أي صحاب دين أن إلههم قد يتخلى عن إلوهيته سوى دين النصرانية والله اعلم.

٢ متى ١٢/٤

٣ لوقا ١٨/٤

٤ لوقا ٣١/٤

٥ مرقس ٢١/١

ويمكننا أن نذكر أبرز معالم دعوة المسيح عليه الصلاة والسلام التي قام بها مبشرا في أنحاء اليهودية، وذلك من خلال الأناجيل وكتب العهد الجديد، كما يلي:

١ – أنه جاء بتوحيد الله تعالى:

جاء المسيح عليه السلام بتوحيد الله تعالى الخالص كسائر إخوانه الأنبياء الذين دعوا إلى عبادة الله وحده، ولذلك نجد بين ركام النصوص المختلفة في الأناجيل، بعض النصوص المنسوبة إلى المسيح، والتي تدعو إلى التوحيد الخالص، فمن نصوص الوحدانية، قول المسيح في إجابة السائل عن أعظم الوصايا:(فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد)[١]

وفي إنجيل يوحنا ورد عن المسيح في مخاطبته لربه قائلا: (وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)[٢]

وقوله (ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله)[٣]

وقوله (إني أصعد إلى أبي وأبيكم الهي وإلهكم)[٤]

وقد بين المسيح أنه جاء متبعا لشريعة موسى وليس ناقضا لها، ولذلك استدل بكثير من نصوصها وبين أنه لم يأت لينقض الناموس[٥]، وإذا رجعنا إلى ذلك الناموس وجدناه يحوي كثيرا من النصوص التوحيدية الخالصة، فقد ورد في سفر التثنية قول موسى عليه السلام: (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ر ب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل قوتك..)[(٦)].

---

١ مرقس ٢٩/١٢

٢ يوحنا ٣/١٧

٣ لوقا ١٨/١٨

٤ يوحنا ١٧/٢٠

٥ متى ١٧/٥

(٦) تثنية ٤-٩/ ٦ .

وفي سفر أشعيا أن الله تعالى قال: (أنا الرب صانع كل شيء ناشر السماوات وحدي باسط الأرض من معي)[1]وقوله: (أنا الأول وأنا الآخر لا إله غيري)[2] وكذلك قوله: (الرب هو الإله ليس آخر سواه)[3] وقوله: (أنا هو هو وليس إله معي)[4]

وورد في سفرنحميا أنه يخاطب الله تعالى بقوله: (أنت الرب وحدك أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والأرض وكل ماعليها والبحار وكل مافيها وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد)[5]وأيوب يقول: (الباسط السماوات وحده والماشي على أعالي البحر)[6]

بل قد ورد النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل المؤدية إلى الشرك بالله فقد جاء في سفر الخروج: (لا تصنع لك منحوتا ولا صورة شيء مما السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض لا تسجد لها ولا تعبدها لأني أنا الرب إلهك إله غيور) [7].

وجاء أيضا (فتنبهوا لأنفسكم من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم فتصنعوا لكم تمثالا منحوتا لشيء مما نهاك عنه الرب إلهك لأن الرب إلهك نار آكلة وإله غيور)[8]

وكل تلك المنهيات لم ينسخها المسيح بل أقرها.

ولهذا يصرح بعض علماء النصارى بأن المسيح (لم يناقض قط الإيمان بالله الواحد)[9]

---

(١) أشعيا ٤٤/٢٤.

(٢) إشعيا ٤٤/٦.

(٣) تثنية ٤/٣٥.

(٤) تثنية ٣٢/٣٩.

(٥) نحميا ٩/٦

(٦) أيوب ٩/٨

(٧) خروج ٢٠/٤.

(٨) تثنية ٤/٢٣.

٩ مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٤٥

تقول دائرة المعارف الأمريكية:(لقد بدأت عقيدة التوحيد حركة لاهوتية بداية مبكرة جدا في التاريخ وفي حقيقة الأمر إنها سبقت عقيدة التثليث بعشرات السنين... إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع للميلاد لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الإله بل كانت على العكس انحرافا عن هذا التعليم)[١]

وتقول المؤرخة أ.س.سفنسيسكايا: (من كان يسوع يرى نفسه ؟ إنه السؤال الذي لا نقف على إجابة له في المصادر المكتوبة فإذا عدنا إل الأناجيل فإنه يصعب كثيرا أن تفصل بين رؤية أنصاره التي نشأت لديهم عنه بعد حدوث الصلب وبين أقوال يسوع الحقيقية، لقد دعاه التلاميذ رابي أي معلما ويستفاد من كلمات بطرس أنهم رأوا أنه مسيح الرب أي المسيا كما كان الحشد الذي يتبعه يرى فيه مسيا أيضا... يسوع لم يدع يوما انه المخلص)[٢]

ويقول القس عوض سمعان:(إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ولم يتصوروا علىالإطلاق أنه اله)[٣]

إلاأن قانون الإيمان المسيحي خالف ذلك تمام المخالفة، وأرسى قواعده التي بنيت على الوثنية والتثليث، وقد أسهمت الأناجيل الأربعة في ذلك إسهاما كبيرا، حيث أهملت دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد إهمالا كبيرا، وسلطت الضوء في المقابل، على معجزات المسيح، وأطنبت في تعدادها وذكرها، ولعل ذلك تمهيدا للتصريح بألوهيته، ولهذا نجد أن هذه الأناجيل لم تذكر عن المسيح بعد تجربته من قبل الشيطان سوى أنه قال (توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات)[٤]

ثم بعد ذلك أخذت الأناجيل في تعداد معجزاته وكأن المسيح لم يرسل إلا ليبرهن على قدرته ومعجزاته من شفاء البرص والجذم والمرضى وإحياء الموتى والإنباء بالمغيبات وغيرها.- ويتبين ذلك فيما يلي -.

---

١ دائرة المعارف الأمريكية"Encyclopedia Americana" ٢٩٤/٢٧

٢ المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٨٢

٣ في كتابه الله،طرق إعلانه عن ذاته، نقلا عن النصرانية والإسلام للطهطاوي ص ١٩٤

٤ متى ١٧/٤

٢ – أنه كان يعمل المعجزات بقدرة الله ليؤمن به بنو إسرائيل:

تحدثت الأناجيل بإسهاب عن معجزات المسيح، وتنافست في إيراد أغرب تلك المعجزات، حتى إن الناظر في نصوص تلك الأناجيل سوف يوقن بأن تلك الأناجيل لم تكتب إلا لتدوين معجزات المسيح فقط، فلم تحز أقوال المسيح وتعاليمه إلا بالنزر اليسير من بين نصوصها ويبدوا أثر هذا التهويل لمعجزات المسيح في نص قانون الإيمان المسيحي في قولهم عن المسيح (الذي كان به كل شيء) وقولهم (ثم قام في اليوم الثالث من بين الأموات)[١]، ومما لا شك فيه أن للمسيح عليه السلام معجزات باهرة تخرج عن مكنون قدرة البشر كسائر معجزات أنبياء الله تعالى، كشفاء المرضى من المجانين والمصروعين والمفلوجين وغيرهم، وإحياء الموتى، وعمل كثيرا من المعجزات [٢]

وكل تلك المعجزات كانت بإذن الله وقدرته، ولم تكن بقدرة نفسه وقوته، وقد جاءت بعض نصوص الأناجيل شاهدة بذلك، فقد وردت بعض النصوص التي تثبت تضرع المسيح إلى الله تعالى، ودعائه له، وطلبه منه أن يستجيب له ما سأله، وشكره له بعد إجابته، وذلك ليؤمن به اليهود، فقد جاء في إنجيل يوحنا أن المسيح قال في الرجل الذي أقامه من الموتى: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي وأعترف لك وأعلم أنك كل وقت تجيب دعوتي لكن أسالك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني) [(٣)].

ففي هذا النص أعظم الدلائل على أن تلك المعجزات كانت بإرادة الله وقدرته، لا بإرادته هو، فشكر الله تعالى على استجابته دعائه، مبينا منة الله عليه، وهو أنه متى طلب إجراء معجزة على يديه، فإن الله تعالى لا يخذله، معللا ذلك برجائه أن يؤمن به من أرسل إليهم.

---

١ تقدم ذكر القانون في مقدة هذا البحث.

٢ متى ٢٤/٤ و٢٧/٩ ومرقس ٢٤/١ و٤٢/٤٠ و١٣/٢ ولوقا ٤١/٤٠ و١٢/٥

(٣) يوحنا ٤١/١١.

ومن ذلك أيضا قول المسيح فيما نسبه إليه يوحنا، وذلك عندما أحيا اليعازر من الموت : (ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أرسلتني)(١).

وقد بين المسيح أنه لم يفعل شيئا من نفسه، بل كل أعماله كانت بقدرة الله تعالى فقال: (ولست أفعل شيئا من نفسي)(٢) وقال أيضا: (الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي)(٣).

وقد فهم المشاهدون لمعجزات المسيح قول المسيح وفعله، فعلموا أنها من عند الله تعالى، وأنها ليست من قدرة المسيح، وقد شهد بذلك متى وبطرس حيث يقول بطرس – رئيس تلاميذ المسيح – لليهود: (أيها الرجال الإسرائيليون: اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب آيات صنعها الله بيده) (٤).

ويقول متى: (فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا)(٥) فقد فهمت تلك الجموع أن تلك العجائب كانت بقدرة الله فلذلك مجدوه ولم يمجدوا المسيح.

فتبين أن الأناجيل صرحت بأن المسيح لم يكن سوى الأداة التي حركها الله لإظهار هذه المعجزات، وأن الأمر مرجعه كله في النهاية إلى الله سبحانه وتعالى ، فقد عرفت الجماهير هذه الحقيقة، فردت السلطان إلى أصله ومنشئه، وهذه المعجزات التي أجريت على يد المسيح كان الغرض منها هو حمل الناس على التصديق به وبرسالته، فيعبدوا الله الذي أرسله(٦).

---

(١) يوحنا ١١/٤١-٤٢.

(٢) يوحنا ٨/٢٨.

(٣) يوحنا ١٠/٢٥.

(٤) أعمال الرسل ٢/٢٢.

(٥) متى ٩/٨.

(٦) انظر الله واحد أم ثالوث ص٩٠.

ويظهر من خلال شهادة المسيح لمعجزاته بأنها من الله، وفهم مشاهديها لذلك،كذب قانون الإيمان المسيحي الذي اصبغ "صفة الألوهية على المسيح بدلالة معجزاته" [1]

وهذه النصوص الشاهدة على أن معجزات المسيح بإذن الله وقدرته، قد بقيت بين ركام النصوص التي حاول كتاب الأناجيل إظهارها، بدون الالتفات إلى نسبتها إلى الله تعالى، بل قد ألمحت الأناجيل وصرحت على أن تلك المعجزات ما هي إلا براهين ألوهيته، ولهذا نجد أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا عن آيات المسيح يقول: (وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه)[2].

وكان قد ألمح لذلك في بداية إنجيله عندما قال (هو في البدء كان عند الله به كان كل شي)[3] ثم تدرج قليلا وقال (والكلمة صار بشرا وعاش بيننا فرأينا مجده)[4]

ثم يطنب كثيرا في ذكر آيات مجد المسيح، وهو يقصد بها معجزاته التي يعتبرها أدلة ألوهيته، ولا تكاد تخلوا قصة من قصصه أو مواعظة، إلا وفيها ذكر شيء من معجزاته، إلى أن يقول في آخر الإنجيل (وهناك أمور كثيرة عملها يسوع لو عملها أحد بالتفصيل لضاق العالم كله على ما أظن بالكتب التي تحتويها)[5].

وهي نفس النتيجة التي وصل إليها لوقا في إنجيله من تأليهه عندما قال في آخره، وذلك بعد أن ذكر كثيرا من المعجزات في حديثه عن صعود يسوع:(ثم خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع

١ حيث استدل النصارى المؤلهة لعيسى بمعجزاته كدليلا على ألوهيته، انظر مثلا: كيف نفهم علم اللاهوت ٧٥/٢ والتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٧٢ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٥

٢ يوحنا ٣٠/٢٠ – ٣١

٣ يوحنا ١/١

٤ يوحنا ١/١٤

٥ يوحنا

يديه وباركهم وبينما هو يباركهم انفصل عنهم ورفع إلى السماء فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم)[1].

وهي أيضا نفس نتيجة مرقس في إنجيله عندما قال:(ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعلمهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين) [2].

فنصوص الأناجيل تثبت أن معجزات المسيح كانت بقدرة الله ومشيئته، غير أن هذه النصوص جوبهت بنصوص أخرى تثبت ألوهية بدلالة معجزاته وأنها بقدرته.

٣ – أن رسالته كانت إلى بني إسرائيل خاصة:

كان المسيح عليه الصلاة والسلام من جملة أنبياء بني إسرائيل، ويتبين ذلك من خلال نصوص الأناجيل المعتبرة عندهم، والتي نصت بوضوح على قصر دعوة المسيح عليه السلام على شعب اليهود دون غيرهم، منذ البشارات التي بشرت بمولد المسيح، فتنسب الأناجيل عن الله أنه قال (وأنتي يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منكي خرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل)[3] فقوله (يرعى شعبي إسرائيل) إشارة واضحة إلى أن دعوة المسيح ستكون لشعب اليهود فقط، ثم لما جاء الملاك إلى مريم العذراء وبشرها بولادة يسوع أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب: (فقال لها الملاك: لاتخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عندالله ، وها أنت ستحبلين إبناً وتسمينه يسوع.. ويعطيه الرب كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد)[4]

---

١ متى ١٧/٢١

٢ مرقس ١٩/١٦

٣ متى ٦/٢

٤ لوقا ٣٢/١

ثم نسبت الأناجيل للملاك الذي ظهر ليوسف النجار أنه قال له (فستلد ابنا، وأنت تسميه يسوع ، لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم)[1] فقول الملاك: (يخلص شعبه) فيه الدليل على خصوصية دعوة المسيح بشعبه.

ثم ابتدأ دعوته مبينا أن رسالته لبيت إسرائيل خاصة فقال: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[2]

ويصرح بأنه أراد أن يجمع سكان أورشليم من اليهود فيقول: (يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا)[3] وأورشليم هي في ذلك الوقت العاصمة السياسية ليهوذا وفلسطين لزمن طويل[4].

ولو كانت ديانته عامة لجمع كل الأمم ولم يقتصر على جمع سكان أورشليم.

ولذلك أوصى تلاميذه الاثني عشر عندما أرسلهم لدعوة اليهود قائلا: (إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[5]

ويدل على ذلك، أنه لم يجب المرأة الكنعانية في باديء الأمر، عندما طلبت منه شفاء ابنتها لأنها ليست من بيت إسرائيل[6]

وهذا هو ما فهمه تلاميذه حيث إن بطرس كبير التلاميذ يقول: (الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح)[7]

---

١ متى ٢١/١

٢ متى ٢٤/١٥

٣ متى ٣٧/٢٣

٤ انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٩

٥ متى ٥/١٠

٦ متى ٢٢/١٥-٢٨

٧أعمال الرسل ٣٦/١٠

ولهذا شهد كثير من المنصفين من النصارى بذلك، يقول ول ديورانت:(ولقد ظل المسيح زمنا طويلا لا يرى في نفسه إلا أنه أحد اليهود يؤمن بأفكار الأنبياء ويواصل عملهم ويجري على سنتهم فلا يخطب إلا في اليهود)[1]

ويقول شارل جنيبير: (إن عيسى بدعوته إنما كان يجدد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل التي انقطعت بعد العودة من المنفى..فقيامه بالدعوة مهما بدا أول الأمر أصيلا ومبتكرا ليس في الواقع ظاهرة استثنائية أو غريبة من ناحية الشكل)[2]

ويقول أيضا:(فالمسيحية إذا تنبع أساسا من حركة يهودية)[3]

فالمسيح كانت دعوته مقتصرة على دعوة بني إسرائيل كما تبين ذلك من خلال النصوص الإنجيلية.

٤ – أنه كان متبعا لشريعة التوراة :

إن من المعلوم أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام كانت مشتملة على التوحيد والشرائع والأحكام الدينية والدنيوية وأما الإنجيل فإن الغالب عليه الموعظة والعناية بالإنسان من الناحية الروحانية [(٤)].

فلم يحتج المسيح أن يقرر شرائع جيدة لاتباعة للتوراة، وإنما جاء بالمواعظ حتى يرد بني إسرائيل إلى العمل بأحكام التوراة ولإقامتها.

فعيسى عليه السلام لم يخالف التوراة إلا في تيسير بعض ما شدد عليهم في التوراة ولم يأت بما يخالف التوراة، فقد جاء على لسان المسيح في الأناجيل قوله: (ما جئت لأنقض الناموس

---

١ قصة الحضارة ٢٢٩/١١

٢ المسيحية شارل جنيبير، ترجمة: عبدالحليم محمود ص ٣٧

٣ نفس المرجع ص ٢٥

(٤) انظر: قصة الحضارة ٢٢٤/١١.

وإنما لأتمه) [١]وكذلك قوله: (ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس) [٢].

ومما يدل على إيمان عيسى عليه السلام بالتوراة أنه كان يوصي بها ويستشهد بها في كثير أقواله،كما ورد في إنجيل متى أنه قال:(إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا:لا تقتل لاتزن لا تسرق لا تشهد بالزور أكرم أباك وأمك أحب قريبك كنفسك)[٣].

والمقصود بالوصايا هي الوصايا العشر التي ذكرت في التوراة وهي:(أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك في الأرض التي يعطيك الرب إلهم إياها لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور...) [٤].

وقوله لتلاميذه: (فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي)[٥]

فالمسيح عليه السلام لم يأت بدين جديد، وإنما ديانته اليهودية وشريعته التوراة، ولكنه كان مصلحًا واعظا، لأن اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة، حتى صاروا كالماديين، فأرسله الله إلى خراف إسرائيل الضالة، ليهديهم إلى الروحانية، ويبالغ فيها، بمقدار ما بالغوا في الظواهر والماديات [٦].

وهذا ما تجده جليا في الفرق بين نصوص الإنجيل التي تأمر بالزهد في الدنيا وترك السعي خلفها والحث على الدخول في ملكوت الله[٧]، وبين نصوص التوراة التي ترى من خلال

(١) متى ١٧/٥.

(٢) متى ١٨/٥.

(٣) متى ١٩/١٩:١٨.

(٤) خروج ١٢/٢٠-١٦.

٥ يوحنا ٣٩/٥

(٦) انظر : مجلة المنار٥/٣٣٤.

(٧) هذا هو ديدن النصارى في دعوة الناس إلى الانضمام إلى النصرانية وهي كلمة غامضة إذ أن ملكوت الله هو كل شيء خلقه الله من ظواهر الحياة لذلك فإن لها عدة معاني مختلفة تفيد هذه العبارات عدة معان: حياة التقوى في القلب متى ٦/ ٣٣ والنظام الذي أتى المسيح لينظمه متى ٤/ =

تعاليمها السعي خلف الرزق والملك، بل إنها ترتب كثيرا من جزاء الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا، كطول البقاء على قيد الحياة وتكثير الرزق والتمكين للملك والفتك بالأعداء في حالة النصر عليهم [١].

ولقد سار أتباع المسيح الأوائل على ما سار عليه المسيح عليه السلام من التزامهم بأحكام الشريعة الموسوية، تقول مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس: (وقد كان الكتبة المسيحيون الأولون يستشهدون بجميع أجزاءه على وجه التقريب استشهادهم بوحي الله)[٢].

وهذا يتضح جليا في بعض نصوص العهد الجديد في الأخذ بسنة الختان[٣] وتقديس السبت[٤] ويحتفلون مع سائر اليهود بالأعياد اليهودية[٥] ويلتزمون بأحكام الطلاق[٦] ويشاركون في أداء العبادات في المعبد اليهودي

يقول نيافة الأنبا يو أنس: (والمسيحية كدين جديد صاعد منبثق من اليهودية التقت أول ما التقت باليهودية نفسها بل كان ينظر إلى المسيحية في أول أمرها أنها شيعة يهودية جديدة وساعد على هذه النظرة حرص اليهود المتنصرين على الاستمرار في ممارسة عوائدهم اليهودية)[٧].

=

١٧ و ١٣/ ١١ وتفضل شعب الله حسب اختيار الرب متى ٢١/ ٤٣ ومجد المسيح وتسلطه متى ١٦/ ٢٨ وسلطان الله على الكل متى ٦/١٠ والحالة السماوية متى ٨/ ١١ ورسالة بطرس الثانية ١/ ١١ كل ذلك يشير إلى اختلافهم في مفهوم هذه الكلمة. انظر: قاموس الكتاب المقدس ٩١٩.

(١) انظر مثلا: سفر التثنية ١٢/٥.

(٢) مقدمة الرهبانية اليسوعية – العهد الجديد- ص٨.

(٣) انظر مثلا سفر أعمال الرسل ١٥/١٥.

٤ متى ٢٤/٢٠

٥ كولوسي ١/٢

٦ غلاطية ١٢/٢

٧ محاضرات في التاريخ الكنسي، نيافة الأنبا يو أنس ص ١٠.

يقول jordan معبرا عن رأي عامة المؤرخين المعاصرين للمسيح:(لم يكن عيسى بشرا فحسب، بل كان على وجه التأكيد يهوديا خالصا، ألا ترى أن المرأة السامرية التي لقيته نادته تلقائيا، أنت يهودي وأنا سامرية[١])[٢]

ومما يدل على ذلك، ما يذكره علماء النصارى وكتابهم، من أن أتباع المسيح عليه السلام الأوائل لم يعرفوا ما يسمى بالعهد الجديد، لذلك لم يعظ بطرس يوم الخمسين [٣] سوى من من العهد الجديد، بل واستمرت الكنيسة بعد يوم الخمسين سنوات كثيرة بلا كتاب مقدس سوى العهد القديم [٤].

٥ - أنه جاء بالإنجيل:

ورد لفظ الإنجيل في نصوص العهد الجديد بأكثر من مسمى أطلق عليه، فقد ورد بلفظ إنجيل الله، وإنجيل المسيح وإنجيل نعمة الله، وإنجيل السلام، وإنجيل خلاصكم، وإنجيل مجد المسيح، وإنجيل الملكوت، أو بشارة الملكوت[٥].

ومما يدل على وجود ذلك الإنجيل قبل فقده، هو ورود ذكره في بعض رسائل العهد الجديد، فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ما نصه "إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا

---

١ يوحنا ٩/٤

(٢) Jordan,louis HENRY: ١٩٨٦ COMPARATIVE RELIGION. ITS GENESIS AND CROWTH, SCHOLARS PRESS, ATLANTA GEORGIA نقلا عن النصرانية، د/عرفان عبدالحميد فتاح، ص ٤٦

(٣) يوم الخمسين: هو عيد من الأعياد اليهودية وهو عيد الأسابيع ويزعم النصارى أن الروح القدس حل في الرسل وامتلأوا منه وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم حين كان كثيرون قد أتوا إلى أورشليم واجتمعوا بمناسبة هذا العيد وكان ذلك في يوم الخمسين وقد أخذت الكنيسة المسيحية تحفظه ضمن أعيادها – وهو عيد العنصرة انظر قاموس الكتاب المقدس ٣٥٠ وانظر أعمال الرسل ٢/١-٦.

(٤) انظر: كيف نفهم علم اللاهوت ١٠/٢ والمدخل إلى العهد الجديد للقس فهيم عزيز ص ١٤٦.

(٥) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٠.

عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح" [(١)]

وكذلك ورد لفظ إنجيل المسيح في إنجيل مرقس بلفظ البشارة: (بشارة يسوع المسيح ابن الله)[(٢)]ومثل ذلك ما ورد في رسالة بولس إلى رومة: (وأنا لا أستحي بإنجيل المسيح)[(٣)]

وورد بلفظ إنجيل الله، كما ورد في رسالة بولس إلى تيموثاوس الأولى:(ولكل من يخالف التعليم الصحيح الذي يوافق البشارة التي ائتمنت عليها بشارة الله المبارك) [(٤)]

وقد وردت غير ذلك من مسميات ذلك الإنجيل مما ورد ذكره في العهد الجديد كإنجيل السلام[(٥)]، وإنجيل مجد المسيح[(٦)]، وإنجيل الله [(٧)].

ومن الملاحظ نصوص العهد الجديد، قد ذكرت لفظ الإنجيل بلفظ المفرد ولم تذكره بلفظ الجمع، والنصارى لا يؤمنون بإنجيل واحد، بل يؤمنون بأربعة أناجيل هي عندهم في القداسة سواء.[٨]كما سيأتي – [٩]

٦ – الأخلاق والآداب:

حث المسيح في ثنايا كلامه المنسوب إليه في الأناجيل على جملة من المأمورات والمنهيات التي أمر بها بني إسرائيل والتي حث أتباعه على التمسك بها أيضا.

---

(١) غلاطية ٦/١.

(٢) مرقس ١/١.

(٣) رومة ١٦/١.

(٤) تيموثاوس الأولى ١١/١.

(٥) أفسس١٥/٦٥.

(٦) كورنثوس الثانية ٤/٤.

(٧) مرقس ١٤/١.

٨ انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس – العهد الجديد –، ص ٨ ووقانوس الكتاب المقدس، ص ١٢٠

٩ في المبحث التالي وهو حال النصارى بعد عصر المسيح عليه السلام.

ويمكن أن يطلق على تلك التعاليم بالأخلاق والآداب، وذلك لاشتمالها على كثير من الأخلاقيات المأمور بها، والأخلاقيات المنهي عنها، تلك الأخلاق التي أهملها قانون الإيمان المسيحي تمام الإهمال، ولم يشر إلى شيء منها البتة، وقد كان الأحرى بواضعي هذا القانون ألا يهملوها، ولو بإشارة، مادام أنهم نسخوا ديانة المسيح ومسخوها، واعتبروا قدسية ذلك القانون الذي يعتبر في مفاهيمهم هو الميزان الذي يوزن به النصراني من غيره[١] بل يعتبر هذا التقليد الكنسي عندهم (كلمة الله التي ألقى بها المسيح السيّد والروح القدس إلى الرّسُل ، وينقلها بحذافيرها إلى خلفائهم)[٢]فالكنيسة تعتبر اتفاق الآباء الإجماعي معصوما حينما يخص يخص تفسير الكتاب المقدس والعقيدة[٣]

والواقع، أن تلك التعاليم التي قررها المسيح والنواهي التي نهى عنها، كان متبعا فيها لشريعة التوراة، ويدلك هذا على وحدة المصدر ووحدانية المشرع، وكل تلك التعاليم هي التعاليم التي تصدر عن الأنبياء الكرام والرسل العظام، التي أوحاها الله إليهم وفرضها عليهم، وتعاليم المسيح الأخلاقية والأدبية جديرة بالذكر والتذكير، ليعلم حقيقة دعوة المسيح الحقيقية التي اختزلها النصارى بل طمسوها وعفوا عليها، بذكر صلبه وفدائه فقط، حتى ليخيل للناظر أن دعوة المسيح خالية من أخلاق وآداب ومأمورات ومنهيات، حتى لم يعد لها ذكر يذكر بين النصارى إلاماندر[٤]، وأمام هذا النادر يقف النصارى مبهوتين، معترفين بجلالة قدر يسوع المسيح ميقنين بلسان حالهم بعظمة تعاليم ذلك الإنسان، الذي كرم بالنبوة والرسالة، ولهذا

---

١ سبقت الإشارة إلى أهمية هذا القانون عند النصارى ص من هذا البحث

٢ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الأول، بهمة الشماس: جورج يلدا، لندن، ٢٠١٢، www.chaldean.org.uk، ص ١٩

٣ انظر : مدخل إلى علم الآباء، ص ١٥

٤ ولقد حاولت النصرانية المتعلمنة التنصل من تعاليم المسيح الأخلاقية، لتعارضها مع دساتير الديانة الجديدة التي ظهرت في عصر التنوير، وهي العلمانية وذلك لتعارضها مع تعاليم المسيح، فيقول دستور الولايات المتحدة الامريكية: (كلنا نعرف أن الإنجيل بعهديه ليس المنبع المناسب الذي نستقي من الأخلاق والمباديء الأخلاقية) الإلحاد وأسبابه، الصفحة السوداء للكنيسة، ص ١٦

تجد أن بعضهم في ذكره لتعاليم يسوع الأخلاقية يقارنه ببعض القواد أو الزعماء أو مؤسسي الحكومات، ولو كانت تلك القلوب ميقنة بألوهيته حق الإيقان لما قورن بالبشر، ولكنها منازعة ما تبقى من الفطر.

فممن ذكر بعض تلك التعاليم القس منسي يوحنا[1] في كتابه الدليل الصحيح لتأثير دين المسيح حيث يقول (إن مؤسس المسيحية يفوق جميع مؤسسي الحكومات والمشرعين العظام والأبطال الصناديد وحماة الأمم، فلم يفكر واحد فيما فكر فيه هذا الشخص العجيب، بل أفضلهم وأعظمهم وقف نفعه بالأخص على قومه، أو مملكته، أو أمته، أما يسوع ذلك النجار الجليلي البسيط، فله ما ينسب لأولئك)

ثم يبدأ مقارنة يسوع بنابليون[2] حينما قال: (ومما يدعوا إلى الغرابة، أننا نراه في مشروع أوسع وأصعب مما فعله نابليون..)، وتوصل لعظمة المسيح من خلال تعاليمه الأخلاقية حينما ذكر شيئا منها فيقول: (ترى قادة الأمم وأبطالها لا يخالطون إلاالعظماء..أما قائد المسيحية فلم يهتم إلا بالفقراء)[3].

ولكن يجب أن يسأل هنا: ما الداعي لعقد مقارنة المسيح وهو الإله الخالق مع عبد من عبيده وهو نابليون أو غيره؟

ولا يبعد عنه الأسقف يوأنس حينما يقول: (كانت حياة السيد المسيح بالجسد على الأرض عزوفا عن الدنيا ومباهجها، فلم يهتم بما يتكالب عليه الناس، ويقتتلون، من غنى ومجد وسلطان، فقد أتى ليؤسس مملكة روحية، قوامها قلوب البشر في المسكونة كلها.. لذا لم

---

١ هو القس منسى يوحنا ولد سنة ١٨٩٩ وتوفي سنة ١٩٣٠م الف ١٥ كتاب منها كتب عن تاريخ الكنيسه المسيحيه اشهرها و اهمها تاريخ الكنيسة القبطية. انظر: موقع كنيسة الانبا تكلا هيمانوت الحبشي القس، سير القديسين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٢ هو قائد فرنسي ولد عام ١٨٠٤م وتوفي عام ١٨١٥م قاد حملة صليبية على مصر تولى امبراطورية فرنسا. انظر: المنجد في الأعلام،ص ٥٦٧

٣ الدليل الصحيح في تأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٧٩-٨١

نسمع عنه أنه حارب أو غزا أو غنم غنائم أو سلب أو اخذ مال احد أو اغتصب زوجة أحد.. عاش المسيح له المجد كاملا في كل فضيلة) [1]

ويسأل هنا أيضا، إذا كان المسيح إلها باعتقاد النصارى، فلماذا تعقد مقارنة بينه وبين أراذل البشر المتخلين عن الفضائل الزناة والسراق واللصوص والمعتدين ؟

ولا شك أن الجواب هو الإحساس الفطري باجتماع المسيح مع غيره في البشرية والإنسانية، التي يشترك فيها جميع الناس، واختلاف المسيح مع غيره بالنبوة والرسالة التي اصطفاه الله لتبليغها، لأنهم رأوا إن تلك التعاليم الأخلاقية لا تصدر إلا من كمل البشر وأفاضل الناس، ولهذا جاءت تعاليمه الأخلاقية في غاية العظمة لارتباطها بالوحي الإلهي.

ويمكن أن تقسم إلى قسمين: الأخلاقيات والآداب الأمور بها، والآداب والأخلاقيات المنهي عنها، وذلك كما يلي:

القسم الأول: الأخلاق والآداب المأمور بها:

هناك جملة من الآداب والأخلاقيات التي أمر المسيح تلاميذه وأتباعه بها، وهي في جملتها تحوي جوهر رسالة المسيح عليه السلام، ومن ذلك ما يلي:

أ – الزهد في الدنيا:

حث المسيح عليه السلام أتباعه على الزهد في الدنيا مقابل الجشع الذي تملك اليهود، فقد رتبت التوراة المحرفة كثيرا من الجزاءات على الأعمال تدور حول التكثير في الرزق والتمكين والملك والفتك بالأعداء[2] بخلاف نصوص الإنجيل التي تأمر بالزهد في الدنيا وترك السعي خلفها وجزاء كثير من الأعمال هو الدخول في ملكوت الله [3]

فمن ضمن تلك النصوص المنسوبة إلى المسيح ما جاء في إنجيل متى قوله: (طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات طوبى للحزانى لأنهم يتعزون طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون طوبى للرحماء لأنهم يرحمون طوبى

١ إيماننا االأقدس، الأسقف يوأنس، ص ١٨٩

(٢) انظر مثلا: سفر التثنية ١٢/٥.

(٣) تقدم تعريف معنى ملكوت الله.

للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح)[1]

ب – الحث على التسامح:

جاءت النصوص الإنجيلية المنسوبة إلى المسيح بالحث على التسامح، وإماتة حظ النفس من حب النزعة الإنسانية في الانتقام والانتصار للنفس، جاءت تلك النصوص التي تضاد تعاليم التوراة المحرفة التي تشتمل على القسوة المفرطة مع الجوييم[(٢)] وتفرق بين اليهودي وغيره فتجوز الشهادة بالزور على غير اليهودي[٣] والربا مع غير اليهودي [٤] والأمر بقتل الدماء للمخالفين وقتل الأبرياء ما داموا من غير اليهود[٥] فوقفت النصوص الإنجيلية من تلك التعاليم المحرفة في التوراة موقف الضد للضد وأمرت بحب المخالفين والتسامح مع المخطئين فمن ذلك ما جاء في إنجيل متى (وإن أخطا إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ان سمع منك فقد ربحت أخاك وإن لم يسمع فخذ معك أيضا واحدا أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم

---

١ متى ٥/٤-١٢

(٢) وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية «جوي» التي تعني شعب أو قوم وقد انتقلت إلى العربية بمعنى غوغاء ودهماء وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود ولكنها بعد ذلك استُخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها انظر:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/٧٢.

٣جاء في التوراة "لا تشهد على قريبك بالزور" خروج ٢٠/١٦ وقالوا القريب بمعنى اليهودي.

٤جاء في التوراة إذا أقرضت فضة لأحد من شعبي الفقير عندك فلا تكن له كالمرابي ولا تفرضوا عليه ربا" خروج ٢٢/٢٥

٥ تثنية ٢٠/١٦ وعدد ٣٣/٥٢

شاهدين أو ثلاثة وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار)[1]

وكذلك قوله: (سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل للذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين لأن ها ن أحببتم الذين يحبونكم فأي اجر لكم أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك وان سلمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا فكونوا انتم كاملين كما ان أباكم الذي في السماوات هو كامل)[2]

ج – الحث على الصدقة:

ورد من ضمن ما ورد في نصوص الأناجيل في الأقوال المنسوبة إلى المسيح أنه حث على الصدقة بل وأمر بإخفائها حتى لا تعلم الشمال ما تنفق اليمين ورتب جزاءها على الله تعالى فقال: (وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية)[3]

وهو في ذلك متبع لنصوص التوراة التي حثت على الصدقة ورتبت كذلك جزاءها على الله تعالى، فقد ورد في نصوص الكتاب المقدس الحث على الصدقة على الفقراء والمعدمين، وأن الصدقة تعد من أعظم القربات التي تنال بها رحمة الله تعالى، فمن ذلك ما نصه:(لان الصدقة تنجي من كل خطيئة.. ولا تدع النفس تصير إلى الظلمة إن الصدقة هي رجاء عظيم عند الله العلي لجميع صانعيها)[4] وجاء أيضا:(الصلاة مع الصوم والصدقة خير من ادخار كنوز الذهب لأن الصدقة تنجي من الموت وتمحو الخطايا وتؤهل الإنسان لنوال

---

١ متى ١٨/١٥-١٧

٢ متى ٥/٤٤-٤٨

٣ متى ٦/٣-٤

٤ طوبيا ٤/١١-١٢

الرحمة والحياة الأبدية)[1] وجاء في بعض النصوص الحث عليها ببيان أنها تكفر الذنوب:(الماء يطفئ النار الملتهبة والصدقة تكفر الخطايا)[2]فالصدقة في نصوص الكتاب المقدس تعد من القربات المهمة التي يتقرب بها العبد إلى ربه تعالى، وأنها من الأخلاقيات التي حث الكتاب المقدس على التمسك بها.

د – الأمر بالإحسان إلى الأرامل والفقراء واليتامى:

ورد في ثنايا أقوال المسيح الحث على الإحسان إلى الأرامل والفقراء وانتقد أعداءه اليهود فقال: (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم لذلك تأخذون دينونة أعظم)[3] وهو في ذلك متبع أيضا لنصوص التوراة التي تحث على الإحسان إلى الأرامل واليتامى والفقراء، وتحذر من غمطهم حقوقهم، وقد جاء ذم الذين يتعمدون ظلمهم في كثير من النصوص، فجاء في سفر التثنية:(ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة، ويقول جميع الشعب آمين)[4] وورد أيضا النهي عن ظلم هؤلاء الضعفاء، فجاء في سفر زكريا في القول المنسوب إلى الرب:(ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير) [5] وقد ورد الحث على رحمة هؤلاء الضعفاء واستبقاء شيء من المحاصيل والثمار لهم على سبيل الصدقة:(إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها للغريب واليتيم والأرملة تكون لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يديك وإذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك للغريب واليتيم والأرملة يكون إذا قطفت كرمك فلا تعلله وراءك للغريب واليتيم والأرملة يكون)[6]وقد ورد في وصف الله تعالى

---

١ طوبيا ٨/١٢

٢ إستير ٣٣/٣

٣ متى ١٤/٢٣

٤ تثنية ١٩/٢٧

٥ زكريا ١٠/٧

٦ تثنية ١٩/٢٤-٢١

للأشرار الظلمة في القول المنسوب إليه:(تجاوزوا في أمور الشر، لم يقضوا في الدعوى دعوى اليتيم وقد نجحوا، وبحق المساكين لم يقضوا)[1]

وهذا القول المنسوب إلى أيوب يدعوا على نفسه إن قصر عمدا ليتيم فيقول: (إنك نتقد هززت يدي على اليتيم لما رأيت عوني في الباب، فلتسقط عضدي من كتفي، ولتنكسر ذراعي من قصبتها)[2]

ويصف يعقوب العمل الطاهر النقي عند الله فيقول: (الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم)[3]

فالواقع، أن نهي المسيح عن ظلم الأرامل والإحسان إلى الفقراء هو امتداد لنصوص العهد القديم التي تنهى عن ظلم الفقراء واليتامى والأرامل وتأمر بالرحمة والشفقة عليهم.

هـ – الأمر بالختان:

جاء الأمر بالختان والنهي عن ضد ذلك في كثير من النصوص، فقد جاء في ذكر العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم عليه السلام ما يلي: (هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختتنون في لحم غرلتكم...ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمي عهدا أبديا وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه نكث عهدي)[4] .

---

١ أرميا ٢٨/٥

٢ أيوب ٢١/٣١

٣ يعقوب ٢٧/١

٤ تكوين ١١/١٧–١٤

وقد فعل إبراهيم عليه السلام ما أمره به الله تعالى:(وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله)[١] وعلى هذا سار موسى عليه السلام فقد جاء في سفر اللاوين بخصوص المولود الذكر (وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته)[٢]

وكذلك المسيح عليه السلام فقد ختن وهو ابن ثمانية أيام (ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبي سمي يسوع)[٣] وهذا مما يدل على أن الختان هي من سنن المرسلين وقد أمر بها رب العالمين.

و – الأمر ببر الوالدين:

وردت كثير من النصوص التي تنص على وجوب البر بالوالدين وإكرامهما، وعدم غمطهما حقوقهما، فمن تلك النصوص ما يلي: (أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك)[٤] وورد أيضا هذا النص ذا المعاني العظيمة:(أكرم أباك بفعالك ومقالك بكل أناة لكي تحل عليك البركة منه وتبقى بركته إلى المنتهى فان بركة الأب توطد بيوت البنين ولعنة الأم تقلع أسسها لا تفتخر به وإن أبيك فإن هو ان أبيك ليس فخرا لك بل فخر الإنسان بكرامة أبيه ومذلة الأم عار للبنين يابني أعن أباك في شيخوخته ولا تحزنه في حياته و إن ضعف عقله فاعذر ولاتهنهو أنت في وفور قوتك فإن الرحمة للوالد لا تنسى وباحتمالك هفوات أمك تجزى خيرا وعلى برك يبنى لك بيت... من خذل أباه فهو بمنزلة المجدف ومن غاظ أمه فهو ملعون من الرب)[٥]

ثم جاء المسيح عليه السلام مقررا لما جاء في التوراة فيقول: (فان الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ومن يشتم أبا أو أما فليموت) [٦] وهذا يدل على عظم حقوق الوالدين والنهي عن عقوهما في شريعة الكتاب المقدس.

---

١ تكوين ٤/٢١

٢ اللاويين ٣/١٢

٣ لوقا ٢١/٢

٤ تثنية ١٦/٥

٥ إستير ٣/٩-١٨

٦ متى ٤/١٥ وانظر: مرقس ١٠/٧

القسم الثاني: الأخلاق والآداب المنهي عنها :

من جملة الأخلاق والآداب المنهي عنها ما يلي:

أ – النهي عن الزنى:

الزنا عند النصارى هو (خطيئة تلوث حياة الإنسان ونفسه وتنجسه وتستحق عقاب الله الصارم) [1].

وقد جاء المسيح عليه السلام بالنهي عن الفواحش محذرا من الوقوع فيها وذلك لتهاون اليهود في أمره ويدل على ذلك نسبتهم للزنا إلى كثير من أنبيائهم ووردت في ثنايا نصوصه بعض القصص التي تحوي شيئا من هذا القبيل دون ذكر العقوبة المترتبة على فاعليه في القصة، مع العلم بأن الزنا قد ورد النهي صراحة في نصوص التوراة ورتبت الجزاء الرادع لمرتكبيه وهو القتل، فعندما جاء المسيح عليه السلام ونصوص التوراة طافحة بذكر الفواحش ونسبتها إلى أنبياء الله وغيرهم شدد في ذلك وبين الخطأ الأول الذي يقع فيه الزناة وأنه يعد خطيئة تساوي مرتبة الزنى فقال:(قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن، و أما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم)[2]

ب– النهي عن الرياء

ورد النهي عن الرياء في أقوال المسيح المنسوبة إليه في نصوص الأناجيل في كثير من المواضع، فقد حث على إخلاص العمل لله، وحذر من فعل الكتبة والفريسيين من اليهود، الذين لا هم لهم إلا مراءاة الناس، ليتصدروا في المجالس، وليشار إليهم بالبنان فيقول: (ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين الحق أقول

---

١ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٣٧

٢ متى ٢٧/٥

لكم إنهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكيلا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية)[١]

وهكذا نجد أن رسالة المسيح عليه السلام أولت كثيرا من عنايتها في تهذيب الأخلاق وتعديل السلوك المادي البحث الذي طغى على كثير من شعب إسرائيل.

وهذا كله مما يبين ابتعاد النصارى عن تعاليم المسيح عليه السلام بعد تقنين قانون الإيمان المسيحي الذي قصر تعاليم المسيح على الايمان به ربا، وانه المخلص الفادي الذي قلت على خشبة الصليب من أجل فداء البشر.

خامسا: اضطهاده ونهاية أمره:

تدل كلمة الاضطهاد على المبالغة في الظلم والقهر[٢]وهذا المعنى يمكن أن يطلق عل المسيح عليه السلام في اضطهاد أعدائه له، وقد سجلت الأناجيل بإجمال، موقف اليهود من المسيح، وسجلت كذلك موقف المسيح من اليهود، والموقف بوجه عام هو موقف أخذ ورد، وشد وجذب، وتنافر وجدال.

فهم يصفونه بالتجديف والسحر ويعرضون بنسبه[٣]، وهو في المقابل يصفهم بأبناء الأفاعي والقادة العميان والمرائين[٤].

ولكن ذلك الجدال والخصام لم يكن من بدأ دعوة المسيح، وإنما الذي كان، هو أنهم تبعوه عند بدأ دعوته، عندما رأوا المعجزات وذاعت شهرته في الجليل كله[٥] ووصلت شهرته إلى

١متى ٦/١٧-١٨

٢ لسان العرب٤/ ٢٦١٦ والقاموس المحيط ٣٢١/١ و المعجم الوسيط ٥٤٥/١

٣ يوحنا ٤١/٨

٤ متى ٢٤/٢٣

٥ لوقا ٤٢/٤ و ١٥/٥

ذروتها عندما أشبع خمسة ألاف رجل ببضعة أرغفة[1] وقد كان يتبعه أحيانا في تنقلاته (جموع كبيرة من الجليل والمدن العشر وأورشليم واليهودية وعبر الأردن)[2].

ولكن تحول ذلك الإتباع إلى كفر به، وبدعوته، وذلك عندما يئسوا من أن يكون هو المسيح الملك المخلص لليهود من ظلم الأباطرة والقياصرة والممالك التي تعاقبت على اضطهاد اليهود وتشتيتهم.

فقد كان بنو إسرائيل يعانون في تلك الأوقات كثيرا من الدمار والحروب التي كانت تحدث بين البابليين والآشوريين كما أنهم أي بني إسرائيل كانوا قد أخرجوا من وطنهم ورغم عودتهم إلى وطنهم بسبب عطف بعض ملوك الفرس لم ينعموا بالأمن والسلام فضلوا معذبين من قبل الاسكندر الأعظم والمصريين والشاميين يعيشون أرقاء لهؤلاء الناس لدرجة أن الرومان احتلوا عاصمتهم أورشليم عام ٦٣ ق م وأخذوا يجبرونهم على مساعدة الحاكم المحلي المشهور بالقسوة والظلم هيرودوس الذي أثقلهم بالضرائب الثقيلة وصادر أراضيهم[3]

كان اليهود ينتظرون أن يكون المخلص المنتظر مؤيدا من الله ومباركا منه ولذلك أطلق عليه كلمة "مسيح" وفي العبرانية "مسيحا" والآرامية " مشيحا، وفي الإغريقية كرائستس أو خرستس[4]

---

١ متى ١٦/١٤ ومرقس ٣٦/٦ ولوقا ١٢/٩ ويوحنا ٥/٦

٢ متى٢٥/٤

٣ انظر: تاريخ الكنيسة، يواسابيوس، ص ٨٩ وتاريخ الأقباط، زكي شنودة، ١٠٩/١ وتاريخ الكنيسة، جـون لـوريمر، ص ٩٠ و IN SEARCH OF HISTORIC JESUS,BYL.RODDYANDC.E.SELLIER(NEWYORK,١٩٧٩) P.٢٤.نقلا عن المسيحية لساجد مير ص ٢٤ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ٤٨والمسيحية نشأتها وتطورها،شارل جنيبير، ص ١٦٩ و

٤ IN SEARCH OF HISTORIC JESUS,BYL.RODDYANDC.E.SELLIER(NEWYORK,١٩٧٩) P.٢٤. نقلا عن المسيحية لساجد مير ص ٢٤ وتاريخ الفكر المسيحي ٤٠/١ والمسيحيون الاوائلوالامبراطورية الرومانية ص ٥٢

ولذلك لا غرابة أن يهتم اليهود بالبشارات التي بشرت بمبعث النبي المسيح كل اهتمام، تلك البشارات التي بشر بها الأنبياء السابقين للمسيح، بالمسيح عيسى ابن مريم، على أنه نبي من عند الله، كسائر الأنبياء، ورسولا إلى قومه، كسائر الرسل، ولكن اليهود نتيجة للظلم الذي تجرعوا مرارته من بقية الشعوب التي تواصت عليه، تحول مفهوم النبي المسيح إلى مفهوم المسيح الملك المخلص، ولهذا كانوا ينتظرونه بفارغ الشوق والصبر، ولذلك عندما بعث يوحنا المعمدان[١] (أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولآويين ليسألوه من أنت. فاعترف ولم ينكر وأقر: إني لست أنا المسيح، فسألوه إذا ماذا، إيليا أنت ؟ فقال: لست أنا، فقالوا له: من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك ؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال إشعيا النبي)[٢]

ولهذا وقعوا في صدام معه، مادام أنه ليس المسيح المخلص الذي يخلصهم من ظالميهم ويرقيهم إلى أعلى درجات المجد والرفاهة[٣]، وهذا التصادم يتضح في مخاطبة المعمدان لهم حينما يقول، كما في إنجيل متى: (يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا..)[٤]

لقد كان اليهود ينتظرون ذلك الملك المسيح الذي يكون (قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته)[٥]

فكان الأمر المهم لكل يهودي هو أن المسيا أو الملك المنتظر، لا بد أن يكون من نسل داود، لكي يحرر الشعب من الاستعباد والاحتلال الأجنبي، ويجلس على كرسي داود أبيه[٦]

---

١ متى ١/٣

٢ يوحنا ١/١٩-٢٣

٣ انظر : قاموس الكتاب المقدس ص٨٦٠

٤ متى ٧/٣

٥ إشعيا ٤٢/١-٤

٦ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٣٢/١

ونتيجة لهذا الظلم والاضطهاد والتنكيل بهم تجددت الأحلام المسيانية، ونشطت الأحزاب السياسية والدينية القديمة والحديثة، فكلما كان يزداد الظلم والضغط الروماني على هذا الشعب، كلما كان يزداد اشتياقه لظهور المسيا وتكثر أحلامه بمخلص لتخليصه من قبضة هذا الروماني العاتي الظالم[1].

هذا المسيا الذي ينتظرونه لا يحرر الإسرائيليين من قبضة الرومان فحسب، بل هو الملك المبجل، الذي أهالوا كل صفات القوة والجبروت عليه، فهو الذي (أمامه تجثوا أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب.. ويسجد له كل ملوك الأمم كل الأمم تتعبد له)[2]

لقد انتظروا ذلك المسيح الذي حدثتهم عنه التوراة بأنه عندما يقوم (ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب ومسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما، الساكن السموات يضحك الرب يستهزئ بهم حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيضه)[3]

تحروا المسيح الذي ذكرت التوراة عنه بأنه (غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقا وعدلا في الأرض في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا)[4]

هو في أذهان اليهود ذلك الملك العادل المنصور الوديع الذي يكون (سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض)[5] الذي يكون في عهده (رب الجنود يحامي عنهم فيأكلون ويدوسون حجارة المقلاع ويشربون ويضجون كما من الخمر.. ويخلصهم الرب إلههم في ذلك اليوم كقطيع شعبه بل كحجارة التاج مرفوعة على أرضه)[6]

---

١ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٢١٤/١

٢ مزمور ٧٢ وإشعيا ٢٣:٤٩ و٤٠/١-٢ و٥٥/٥

٣ مزامير ٢/١-٦

٤ إرميا ٢٣/٥

٥ زكريا ٩/٩

٦ زكريا ٩/١٥

ولذلك عندما علموا بالمسيح ومعجزاته قالوا (بالحقيقة هذا هو النبي الآتي إلى العالم وعرف يسوع أنهم يستعدون لاختطافه وجعله ملكا عليهم فابتعد عنهم ورجع وحده إلى الجبل)[١]

إذن، تحققت أحلام اليهود المسيانية، فها هو المسيح الذي بشرت به التوراة يظهر في الجليل، وبين ظهرانيهم، وها هم عرفوه، وعلموا أنه المسيح المبشر به، ولذلك أرادوا أن يخطفوه ويملكوه، ولكن، هل آمنوا به واتبعوه ؟ أم كذبوه وكفروا به ؟

في الحقيقة، عندما استمع اليهود إلى مواعظ المسيح التي تحث على الزهد في الدنيا والإخلاص لله وترك حب الرياسة والرياء ومهاجمة الكتبة والفريسيين الذين (يحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي)[٢] والتحذير أتباعه من أفعال أولئك عندما يقول: (وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا إخوة ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أبكم واحد الذي في السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح وأكبركم يكون خادما لكم فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع)[٣]

عندما سمعوا كل ذلك، نفروا عنه وكذبوه، فهذه التعاليم في واقعها لا توافق أمزجة الكتبة والفريسين الذين كانوا ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[٤].

ولذلك عندما يئسوا من أنه هو الملك المسيح المخلص الذي ينتظرونه (جاء اليهود بحجارة ليرجموه)[٥] وقالوا عنه بأنه مجدف[٦] واتهموه بالسحر وأنه تعلم السحر في أرض مصر وعرضوا

---

١ يوحنا ٦/١٤-١٥

٢ متى ٢٣/٦

٣ متى ٢٣/٦-١١

٤ سورة البقرة (٩٦).

٥ يوحنا ١٠/٣١

٦ متى ٢٦/٦٥

وعرضوا باتهامه بأنه ابن زنا في جوابهم لقوله (أنتم تعملون أعمال أبكم فقالوا له إننا لم نولد من زنا ولنا أب واحد وهو الله)[1] وذلك لأنه ولد من غير أب.

يقول رونالد بينتون[2]:(فقد أبغضه رجال الدين لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة، أما عامة الشعب فقد تركوه، لأنه لم يستخدم قوته المعجزية في طرد جنود الرومان الذين استعمروا فلسطين، سيما وأن اليهود كانوا يؤمنون بأن الله سيرسل لهم "المسيا" أي المسيح ليخلصهم، أما الأغنياء فقد خافوه لأسباب تختلف عن هذه.. فلم يهمهم أمر السبت، ولم يريدوا حربا ضد الاستعمار الروماني، ولكنهم غضبوا منه لأجل ما فعله في الهيكل، عندما طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارف، وطرد الأبقار والأغنام، التي أحضرها الكهنة والأغنياء للتجارة فيها، إذ كانوا يبيعون الذبائح للقادمين بلاد بعيدة بأسعار خيالية، وقد غضب الأغنياء حين حرمهم من المكاسب الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها، مستغلين الشعب الذي جاء للعبادة)[3]

فبعد هذا التحول المبني على الهوى الذي سيطر على نفوس اليهود، شككوا فيه، وفي دعوته، وبدأو يوحون لتلاميذه بأن ذلك المسيح ليس نبيا، ويتلصصون عليه في حركاته وسكناته[4] على أمل اكتشاف ما يظنون أنه دليل دامغ على صدق دعاواهم.

فكانوا يقولون لتلاميذه (لماذا يأكل معلمكم مع جباة الضرائب والخاطئين)[5] فأجابهم بأن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى[6].

---

١ يوحنا ٨/٤٠

٢ أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة بيل الامريكية

٣ مواقف من تاريخ الكنيسة، رونالد بينتون، ص ٧ وانظر: زمن العهد الجديد، جمسو، إرمانغر، ص ١٠٦

٤ انظر: مرقس ٣/٢

٥ متى ٩/١١

٦ لوقا ٥/٣١

وحاولوا في نفس الوقت أن يشككوه هو في تلاميذه، فقالوا له (تلاميذ يوحنا يصومون ويصلون كثيرا ومثلهم تلاميذ الفريسيين أما تلاميذك فيأكلون ويشربون)[١].

وقالوا له أيضا: (انظر تلاميذك يعملون ما لا يحل لهم في السبت)[٢].

لقد ظنوا أنهم بهذه الأقوال يستطيعون أن يفرقوا بينه وبين تلاميذه، ولكنهم عندما رأوا عدم جدوى هذا الأمر، أخذوا يطلبون من المسيح آية [٣] لأنهم ظنوا أن ذلك فيه إحراج للمسيح أمام تلاميذه، إلى أن اهتدوا إلى أن يفتئتوا الأكاذيب عليه ليسهل الحكم عليه بتهمة التجديف وهي القتل (فازداد سعي اليهود إلى قتله لأنه مع مخالفته الشريعة قال إن الله أبوه فساوى نفسه بالله)[٤] فمقاومة اليهود لم تقتصر على المشادة الكلامية وحسب بل تخللها محاولات جادة للقتل [٥]

وتهمة التجديف، تعد من أكبر المبررات عند اليهود للقضاء على أي يهودي، مهما كنت مرتبته، ولذلك أرادوا أن يوجهوا هذه التهمة إلى المسيح بصورة رسمية، فأوفد السنهدرين[٦] بعضا من رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب إلى لمسيح، وهو يعلم في الهيكل، لكي يستجوبوه رسميا من هو، وما هو سلطانه في أعماله هذه كلها ؟ ليفوزوا بتصريح منه يأخذونه ضده كمستند رسمي[٧].

---

١ لوقا ٥/٣٣

٢متى١٢/٢

٣ متى ١٢/٣٨

٤ يوحنا ٥/١٨

٥ انظر : المسيح، حياته أعماله، الأب متى المسكين، ص ٣١٢

٦ السنهدرين: هو مجلس اليهودي الكبير والمحكمة العليا للأمة اليهودية ، ويمثل الشعب أمام الرومان ، ، يتكون من ٧١ عضوا . انظر :قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨٩

٧ انظر : المسيح، حياته أعماله ص ٣٦٠ ومتى ٢١/٢٣

فلما لم يظفروا على شيء من ذلك (اجتمع في ذلك الحين رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب في دار قيافا رئيس الكهنة وتشاوروا ليمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه) [(١)].

ولكن اليهود في ذلك الوقت كانوا تحت وطأة الرومان ولا يمكنهم فعل ذلك إلا بموافقة الرومان، والرومان الوثنيين لا يهتمون لقضايا ومنازعات اليهود الدينية، لذلك أراد اليهود أن يثيروا حفيظة الرومان على المسيح، باتهامه بالسعي لزعزعة سياسة الإمبراطورية الرومانية، فاتفق الفريسيين مع الهيرودسيين (مع أنهم في عداوة وبغضة معا ومبادئهم تختلف مع بعضها اختلافا شديدا ولكن العداوة للمسيح قد جمعتهم... والهيروديسيين هم فئة سياسية أكثر منها دينية وعملها هو الموالاة لروما وحفظ هدوء الشعب من المؤامرات المضادة لروما)[٢] فتقدم أولئك الفريسييون والهيرودسييون نحو المسيح، وقدموا لكلامهم بمقدمة جميلة، ظنا منهم أنها تغري المسيح بأن يتكلم بما يشفي صدورهم، مما يسهل عليهم إقامة الحجة عليه بمخالفته للرومان وقالوا له: (يا معلم إنك صادق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس بل بالحق تعلم طريق الله) وبعد هذه المقدمة الموجزة المنمقة البليغة أفصحوا عما يريدون منه فقالوا: (أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟)[٣]

فماذا عساه أن يجيب ؟ فلو أنه أجاب بأنها لا تجوز، لعد ذلك ثورة ضد السياسة الرومانية ولم تتوانى تلك الإمبراطورية في القبض عليه، ولو أجاب بأنه يجوز، لوقع في عداء الشعب اليهودي بأكمله بل ربما تجمهر حوله غوغاء الناس وآذوه بل ربما قتلوه، إذ أقر احتلال الرومان لأراضي اليهود، فما كان منه إلا أن قال لهم (لماذا تجربونني ؟ إيتوني بدينار لأنظره فأتوا به فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة فقالوا له لقيصر فأجاب يسوع وقال لهم أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)[٤].

---

(١) متى ٢٦/٣.

٢ المسيح، حياته أعماله، الأب متى المسكين،دير القديس أنبا مقار، ص ٣١٢

٣ مرقس ١٢/١٤

٤ مرقس ١٢/١٥-١٧

فبين لهم أنهم هم الذين يتعاملون بعملة قيصر وعليه فهم يعتمدون في سياستهم على الإمبراطورية الرومانية، ثم بين أن علاقتهم بقيصر لا تمنعهم من أن يمارسوا عبادتهم لله[1]

ولكن أجوبة المسيح على أسألتهم التعنتية لم تشفي غليل اليهود، فاستنفدوا كل وسائلهم لدى الرومان في استصدار الحكم على المسيح بالقتل صلبا، فرضخ الرومان لتلك المحاولات وأصدر الوالي الروماني الأمر بالقبض عليه[2]

وهنا بدأ الهجوم السافر على المسيح للقبض عليه وهو في مكان اسمه جثسيماني حيث كان حزينا كئيبا يصلي وعرقه يسل كأنه قطرات دم[3]، هجم عليه هجوما شرسا من قبل الرومان واليهود، ذلك الهجوم الهمجي الذي لا هوادة فيه، ولهذا – كما تذكر الأناجيل – قال المسيح لتلك الجموع (كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ولم تمسكوني)[4]

وبحسب روايات الأناجيل، فبينما كان المسيح في تلك الحال، تقدم إليه تلميذه الخائن، ومعه كثير من الجنود وألقوا القبض عليه، وفر تلاميذه هاربين[5] ثم ذهبوا به إلى رؤساء الكهنة[6] وكالوا عليه أنواعا من التهم كمخالفته للشريعة وأنه ضد الهيكل [7]، كما يقول لوقا: (وقام رؤساء الكهنة ومعلمو الشريعة يشددون عليه التهم)[(8)]ومنها قولهم: (أنه يثير الشعب بتعليمه

---

١ انظر : المسيح، حياته أعماله، الأب متى المسكين،دير القديس أنبا مقار، ص ٣١٢

٢ انظر: تاريخ الكنيسة القبطية،الشماس منى القمص، ص٥٥

٣ انظر: متى ٣٦/٢٦ ولوقا ٣٢/١٤-٤٢

٤ متى ٥٥/٢٦

٥ متى ٣٦/٢٦-٣٩ ولوقا ٣٢/١٤-٤٢

٦ لوقا ٥٤/٢٢ ويوحنا ١٣/١٨-١٨

٧ انظر: مختصر العليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٤٤

(٨) لوقا ١٠/٢٣.

بتعليمه في اليهودية كلها) [1] ثم ذهبوا به إلى مشيخة الشعب السنهدرين[2] ثم ذهبوا به إلى بيلاطس البنطي والي الرومان على اليهودية[3]، فتلكأ بيلاطس في قتل المسيح فأراد اليهود أن يقنعوه بقتله لأنهم –كما قالوا – لا يجوز لهم أن يقتلوا أحدا[4].

فذكروا لبيلاطس أنه يمنع الناس من دفع الجزية لقيصر، وأرادوا إلصاق تهمة سياسية خطيرة به، فلم يتهموه بأنه نبي كذاب، أو مجدف، لأن كل هذه الأوصاف التي يمكن لليهود أن يصفوا بها يسوع، لا قيمة لها في عيني بيلاطس الحاكم الروماني، فإن مهمته ليست حفظ الدين اليهودي معصوما من الغلط، بل السهر على رعاية المصالح الرومانية والضرب بشدة على كل من يقاوم سلطان قيصر[5]

ولكن بيلاطس قال لليهود:(لم يصدر عنه شيء يستحق القتل)[6] وقال أيضا:(لم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون)[7] ولكنهم ألحوا عليه إلى أن رضخ لرغباتهم وسلمه إلى الجنود ليصلبوه فصلب[8] .

وهنا أسدل الستار على حياة يسوع المسيح في الأرض، غير أننا إذا نظرنا بعين الإنصاف إلى قصة القبض على المسيح وصلبه، نرى أن هذه الواقعة لا يمكن أن يسلم بأنها تنطبق على المسيح.

لقد صلبوا إنسانا، ولكن، هل ذلك الإنسان هو يسوع المسيح أم غيره ؟ ومال الدليل على أنه هو المسيح ؟ ومن رآه معلقا على خشبة الصليب ؟، وهل تبعه تلاميذه أم فروا حينما

---

(١) لوقا ٥/٢٣.

٢ لوقا ٦٦/٢٢

٣ متى ٢/٢٧

٤ يوحنا ٣١/١٨

٥ انظر : تاريخ الفكر المسيحي ٣٣٩/١

٦ لوقا ١٥/٢٣

٧ لوقا ١٤/٢٣

٨ لوقا ٢٥/٢٣ ومتى ٢٦/٢٧

اقتيد إلى الصليب ؟ وهل من الممكن أن يصلب رب العالمين ويعلق ويحمل من قبل عبيده ؟ وأين الاب منه حينما كان يبكي ويدعوا الله أن يصرف عنه هذه الكأس ؟ كل إجابات تلك الأسئلة، تدل على بطلان دعوى صلب المسيح عليه السلام، في موضع دراستها من هذا البحث[1].

ويبدوا أن بعض النصارى قد فطن إلى أمر خطير، فرأى أن تصوير المسيح بصورة الخائر الخائف المصلوب يعف من قيمة ذلك الإله أو ينافيها، فأنكر كل ذلك ولو كان مخالفا للكتب المقدسة، كقول القس منسي يوحنا مثلا عندما يقول: (ما عاش يسوع مسكينا خائفا ولم يمت شاكيا متوجعا بل عاش قويا وصلب شجاعا ومات جبارا لم يكن يسوع طائرا مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الأجنحة المعوجة)[2]

فهل كلام القس هو الصواب أم كلام الأناجيل ؟

والحقيقة أن كلاهما خطأ فلم يكن جبارا ولا عاصفة هوجاء، وبالمقابل لم يصلب ويعلق على خشبة الصليب ولم يطعن، ولم يدفن. ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾[3].

والغريب في الأمر أن الكنيسة قد برأت اليهود من دم المسيح بعد ذلك، ورأت أن اليهود لم يكونوا أعداء للمسيح، في مخالفة فاضحة لنصوص الكتاب المقدس، ورأت الكنيسة أنه (لا يمكن إسناد آلام يسوع وموته في غير تمييز، لا إلى جميع اليهود الذين عاشوا آنذاك، ولا إلى الذين جاؤوا من بعد في الزمان والمكان)[4]

---

١ سيأتي الحديث عن عقيدة النصارى في الصلب والفداء وإبطالها خلال هذا البحث.

٢ الدليل الصحيح في تاثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٩٤.

٣ سورة النساء آية ١٥٨

٤ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٤٥

المبحث الثاني

النصارى بعد عصر المسيح عليه السلام

من المناسب بعد عرض عصر المسيح عليه السلام ودعوته، أن يعرض هنا العصر الأول لما بعد المسيح عليه السلام، وذلك للتدرج الذي يهدف إلى بيان كيفية انحراف المسيحية عن أصلها الأول، وإقرارها بقانون الإيمان المسيحي الذي طمس هويتها، وغير لبها، بدأً من دراسة العصر الذي اصطلح على تسميته لدى النصارى، بعصر الرسل، وانتهاءً بعصر إقرار قانون الإيمان المسيحي، والدراسة التاريخية لعصر ما بعد المسيح عليه السلام لها أهمية كبيرة، حتى عند المسيحيين أنفسهم، ولذا يصرحون بأن (عصر الرسل هو المرجع الاساسي لنا في كل شيء...إنه يعطينا صورة للكنيسة كما تسلمها الرسل من السيد المسيح نفسه)[1]

ولهذا، فإن دراسة تاريخ المسيحية منذ عصر المسيح إلى تقنين قانون الإيمان المسيحي هو جزء لا يتجزأ من دراسة قانون الإيمان المسيحي ذاته، لأن دراسة تاريخ الكنيسة – كما يقول الانبا يوأنس– هو أفضل تفسير للمسيحية ذاتها، لأنه يبين التطور الأدبي والديني للجنس البشري، والخطة الإلهية للفداء، كما أنه يستمد قيمته وأهميته باعتباره المدخل لحالة المسيحية الآن، حيث يشتمل على حقائق حية وقوانين المسيحية (ومن يدرس تاريخ الكنيسة فإنما يدرس المسيحية ذاتها في كل أوجهها)[2]

ودراسة هذا التاريخ المسيحي يقوم على معرفة الأحداث التي جرت على النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام، والتي أثرت في سلوكهم الديني، ومنهجهم العقدي، ومن ذلك ما يلي:

---

١ الكنيسة في عصر الرسل، للانبايوأنس ص ١٢

٢ نفس المرجع، ص ١٨

أولا: دعوة النصارى لعالمية الديانة النصرانية:

بعد أن رفع المسيح من بين أظهر بني إسرائيل، لم يكن هناك من أتباعه سوى جماعة قليلة، خلفها المسيح عليه السلام، وقد نمت هذه الجماعة التي تركها بعده نموا سريعا[1]، بعد أن كانوا اثنا عشر رجلا[2] وانضم تحت لوائها يهود ممن عاشوا في الشتات ومن مواطني الجليل واليهودية[3] بل بعض الكهنة العبرانيين، ومن أول الأمر، أطلقوا لقب "كنيسة"" على جماعتهم[4]

ولهذا يعتقدون أنه بعد أن صعد المسيح إلى السماء لم يترك خليقته التي أتى ليفديها بدون رعاية بل اختار اثنا عشر تلميذا وسبعين رسولا وقال لهم "أقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي"[5] ويعتقد النصارى أن (هؤلاء الرسل قد انتشروا في كثير من البلدان للتبشير بالإنجيل اعتمادا على ما نسب في إنجيل متى إلى المسيح من أنه قال: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم.." [6])[7]

ويرى النصارى أنه امتثالا لهذه الوصية طفق التلاميذ والرسل (يعلمون يبشرون بتعاليم معلمهم الذي قال لهم " من علم وعلم فهذا يدع عظيما في ملكوت الله "[8])[9]

وراح الرسل بعد أن نالو موهبة الروح القدس وامتلئوا من قوة العلاء – في نظر النصارى – يجوبون البلدان، وينادون باسم المسيح وإنجيله، ويدعون الناس إلى الانضواء تحت راية

١ انظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص١٢

٢ متى ١٦/٢٨

٣ مرقس ١/١٤-٢١ ومتى ١٢،٤-١٧

٤ انظر : تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) حبيب سعيد،ص٣٦

٥ لوقا ٣٦/٢٤

٦ متى ١٩/٢٨

٧ موجز تاريخ الكنيسة، الأب ديوسقورس أسقف المنوفية، ص ٤١

٨ متى ١٩/٥

٩ الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا، ص ٤٠

المخلص[1] بقلب واحد، ونية صالحة واحدة، وعزم ثابت، لرد الضالين من الرعية الناطقة، إلى إلى راعيها الصالح الحقيقي[2]

وقد بين الأسقف ديوسقورس[3] انتشار الرسل الإنجيليين بحسب أشهر مناطق تبشيرهم التي ذهبوا إليها وهي كما يلي:

الفرقة الأولى: التي عملت في اليهودية وتخومها وتتكون من الرسل بطرس ويعقوب البار ومتياس الذي حل محل يهوذا الاسخريوطي

الفرقة الثانية: التي عملت في آسيا الصغرى وما حولها وتتكون من الرسل فيلبس وبرتولوماوس ويوحنا وينسب إلى الأخير إنجيل وثلاث رسائل وسفر الرؤيا

الفرقة الثالثة: التي ذهبت إلى إيران والهند يهوذا وسمعان القانوني وتوما

الفرقة الرابعة: التي ذهبت إلى أقاليم أوربا المختلفة أندراوس ويعقوب الكبير وبولس ولوقا الإنجيلي

الفرقة الخامسة: التي ذهبت إلى مصر وأثيوبيا بإفريقيا وتكون من متى ومرقس[4]

ومنهم من ذهب كذلك، إلى بلاد الفرات وما ورائها، حيث يرى بعض المؤرخين أنه قد انتشر الإيمان بالمسيح المسيح المخلص في هذه الفترة نفسها في ماوراء الفرات ويرون أنه يعود الفضل في ذلك إلى الرسول توما وإلى تلميذه أو أخيه أدي [5] ويرى بعضهم أن توما

---

١ انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، الجزء الاول، الاب: البير ابونا، ص ٤

٢ اانظر: لجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا، ص ٤٠

٣ وهو استاذ التاريخ بالاكليريكية القبطية وأسقف مدينة المنوفية توفي عام ١٩٧٦م.

٤ انظر: موجز تاريخ المسيحية، للأسقف ديوسقورس ص والدليل الصحيح في تأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٩٤.

٥ انظر: كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى،اسعد رستم، ١/ ٢٥

جاوز النهرين إلى بلاد الفارس[1] ويرى آخرون أن النصرانية دخلت أولاً في حاضرة حوراني بصرى[2].

ويتفانى بعض مؤرخي النصارى في إثبات تبشيرهم في بلاد العرب، وانتشار النصرانية فيها، ويزعم بأن التقاليد القديمة تتواصل وتتفق على أن بعض الرسل تلمذوا أمم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة[3]

لقد انتشر أتباع النصرانية – في نطر النصارى- في شتى البلدان بغرض التبشير بالمسيحية[4] وكان هدفهم كما يقول الأسقف ايريناوس[5] هو خلق:(الكنيسة الكاثوليكية المنتشرة في جميع جميع أرجاء العالم كله حتى إلى نهاية الأرض)[6]

إن انتشار تلاميذ المسيح للتبشير، تعد خطوة هامة في تاريخ الديانة النصرانية، وأمرا جديدا على الديانة لم يعرف في عهد المسيح عليه السلام، وهي بذلك، تعد أولى الأمور الطارئة

١ التاريخ الكنسي، يوسابيوس القيصري ص ويذكر إن توما ذهب إلى بلاد الفرثيين وهي بلاد فارس. انظر: قاموس الكتاب المقدس ٢٢٧ و٧٦٦

٢ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب لويس شيخو، ص ٢٤

٣ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص٢٢ ودليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة المجلد الثاني ص ١٠

٤ كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ٣٤

٥ هو من أكبر علماء الكنيسة الاسكندرية في عصورها الاولى عاش مابين سنة ١٤٠م وسنة ١٩٠م له له مصنفات كثيرة ولكن لم يتبق منها الا واحد او اثنتين اشهرها كتاب كشف الغنصوية الباطلة الكاذبة ودحضها، انظر: اباء الكنيسة، اسعد رستم، ص ٩٦ وتاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢٩٣ وما بعدها، و اباؤنا في الايمان، الاب لويس ساكو، ص ٥١-٥٢

٦ نقلاعن التاريخ المسيحي المظلم ص ٢٩ والدليل الصحيح في تأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، يوحنا، ص ٩٨ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ص ٢٥

التي حدثت لأتباع المسيح بعد رفعه، ولهذا يسمي مؤرخو الكنيسة بدايات عصر الدعوة لعالمية النصرانية بالعصر الرسولي، وهي عندهم بدايات التبشير [١]

لقد كانت هذه الخطوة – إن صحت – هي اللبنة الأولى في تحريف الديانة النصرانية.

ولكن الحقيقة، أن مثله هذه الدعاوى التي ألصقت بتلاميذ المسيح عليه السلام، لا ينبغي أن تمر مرور الكرام على التاريخ.

إذ الأقرب إلى الحق والحقيقة — والله أعلم – أن مثل هذه النصوص التبشيرية بين الأمم لا تنطبق إلا على تلاميذ بولس لا على تلاميذ المسيح، حيث إن نصوص الأناجيل المعتبرة عند النصارى قد نصت بوضوح، على قصر دعوة المسيح عليه السلام على شعب اليهود، دون غيرهم، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، لم يعتمد في نقل هذه الأخبار عن انتشار التلاميذ سوى ما سطره لوقا وبولس، في كتبهم في العهد الجديد، فسفر أعمال الرسل للوقا كان بالحري أن يسمى سفر أعمال بولس، إلا إن كان يقصد رسل بولس وليس رسل المسيح، – وليس هذا مقصده – فقد ملأ سفره بأعمال بولس وأسفاره في سبيل نشر ديانته، مع أنه لم يذكر شيئا عن سفر فرقة من تلاميذ المسيح للتبشير بالمسيحية، سوى بعد أن اهتدى بولس إلى المسيحية.

وأما قبل اهتداء بولس إلى المسيحية فكل ماذكره[٢] عن تلاميذ المسيح أنه قال:" وكان كلام الله ينتشر وعدد التلاميذ يزداد كيرا في أورشليم واستجاب للإيمان كير من الكهنة "[٣].

وأما بعد اهتداء بولس فقد ذكر لوقا أن بعض التلاميذ كانوا خارج اليهودية[٤] ولا يمنع أن يكون لوقا رأى أن في اختلاق نسبة السفر إلى بعض تلاميذ المسيح للتبشير تعزيز لدعوة

---

١ تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) حبيب سعيد، ص ٣٢ وتاريخ العالم الغربي، ل،ج،شيني، ص ٨٣ وزمن العهد الجديد، جمسو، إرمازنغر، ص ٩٥

٢ وذلك حسب اطلاعي القاصر

٣ أعمال الرسل ٦/٧

٤ أعمال الرسل ٩/١٠

بولس في عالمية الدعوة المسيحية[1]، أما دعوة بولس بين الأمم خارج اليهودية فقد أطنب لوقا في ذلك كثيرا، حيث ذكر ذهاب بولس إلى دمشق[2] قبرص[3] والى نيابوليس وفيلبي[4]وتسالونيكي[5] وبيرية[6]واثينا[7] وكورنثوس[8] وافسس[9] ومكدونيا واليونان[10] وروما[11] ومالطة[12]

ولهذا، فالذي يثبت – على فرض صحته – هو سفر بولس، دون تلاميذ المسيح، ولهذا لما تفطن بعض النصارى لعدم الثقة في هذا المصدر الوحيد، شكك في صدق هذا المصدر وصحة أخباره، حيث يقول الأب البير إبونا في دخول تلاميذ المسيح لبعض المناطق :(إن دخول المسيحية إلى مابين النهرين موضوع بحث ونقاش . فليس ثمة براهين قاطعة تؤكد أو تنفي دخولها إلى هذه المنطقة منذ القرن الأول الميلادي، أي منذعهد الرسل أوتلاميذهم)[13].

وما بين النهرين منطقة واسعة تشمل ما بين دجلة والفرات وجبال كردستان وجبال زاغروس وبادية الشام[14] وزاغروس هذه تشمل غرب ايران ومضيق هرمز[1] وهذا يكذب ما نسب إلى

---

١ كما ذكر ذلك عن

٢ أعمال الرسل ٢/٩

٣ أعمال الرسل ٤/١٣

٤ أعمال الرسل ١١/١٦-١٢

٥ أعمال الرسل١/١٧

٦ أعمال الرسل١٠/١٧

٧ أعمال الرسل ١٦/١٧

٨ أعمال الرسل١/١٨

٩ أعمال الرسل١/١٩

١٠ أعمال الرسل١/٢٠-٢

١١ أعمال الرسل١/٢٧

١٢ أعمال الرسل١/٢٨

١٣ الكنيسة الشرقية، الأب البير إبونا، ص ٥

١٤ المنجد في اللغة والأعلام ص ٥٠٨

التلاميذ من ذهابهم إلى تلك المناطق، ويكذب ما نسب إلى توما الرسول من ذهابه إلى بلاد الفرس والعراق للتبشير، مع أن توما هو الذي وصف بأنه ذا مزاج سوداوي[2].

ومثله كذلك ذهاب بطرس إلى روما وتأسيسه كنيسته التي سميت بالكاثوليكية[3] ولذلك يرون أن أسقف روما (يتمتع بتسلسل بركة رسولية لا غش فيها ولا جدال)[4] ولكن عدم وجود البرهان على صحة هذه الدعوى يضطرنا إلى الحكم بكذب هذه السلسة الرسولية، والقول بأن ادعاء ذهاب بطرس إلى روما غش وجدال، حيث إن بطرس لم يثبت أنه ذهب إليها[5] ولا إلى بلاد اليونان ولا إلى مصر ولا إلى روما ولا قريب منها –كما يرى أصحاب الكنيسة الأرثوذكسية – (فليست إلا من صنع المسيحيين.. ليجعلوا من بطرس..كارزا للعالم أجمع ومبشرا كل الخليقة)[6]

---

١ المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٧٦

٢ قاموس الكتاب المقدس ٢٢٦

٣ واستدلوا بالقول المنسوب إلى المسيح حيث قال له:(وأنا أقول لك: أنت صخر، وعلى هذا الصخر أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تصمد أمامها .وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات: فكلما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وما تحله على الأرض يكون محلوًلا في السماوات) متى ١٨/١٦ حيث يستدلون بذلك على ذهابه لروما وبنا كنيسته، انظر: تاريخ المسيحية في سفر أعمال الرسل، الارشمندريت يوسف درة الحداد، ص ٢١١

٤ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، اسعد رستم، ١٦١/١

٥ مع أن بطرس وصف بكثير من الصفات الناقصة كتوبيخ المسيح٢٣/١٦ لبطرس متى وإنكاره للمسيح متى ٧٤/٢٦ وهم يؤسسونه ذا الاعتقاد على ما جاء في إنجيل متى٨/١٦ ويرد البروتستانت على ذلك بان هذه الآية تقرأ نقلاً عن اللغة اليونانية هكذا،لغة الأناجيل" أنت بطرس (حجرصغير) وعلى هذه البترا (حجركبير) أبني كنيستي ."فقد استعمل المسيح كلمتين مختلفتين للدلالة على معنيين مختلفين. فقد دعا تلميذه باسم" ب طرس"،أي حجرصغير .ولكنه عندما ذكر الشيء الذي يجب أن تبني عليه الكنيسة، قال" تبرا " أي صخرة كبيرة.

٦ الكنيسة في عصر الرسل، الأنبايوأنس، ٤١٢

ووافق في تكذيب ذلك أيضا أتباع الكنيسة البروتسنتانية، ولهذا يرد أتباع المذهب البروتستانتي أيضا على أتباع المذهب الكاثوليكي بقولهم: (أين هو البرهان على الاعتقاد برئاسة بطرس؟ ففي الكتاب المقدس" العهدالجديد "الذي يحتوي على سبعة وعشرين سفراً موحى بها من الله ، لا يوجد ذكر يؤيده .إن هذا الصمت يوضح أن بطرس لم يكن في وقت ما في روما ، لأنه لو وجد هناك، فلا بد من ذكر الأمر في أحد كتب العهد الجديد، فالقديس بولس كتب رسالة مطولة إلى أهل روما ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن وجود بطرس فيها .وبولس نفسه عاش في روما سنتين ، وأثناء إقامته فيها كتب عدة رسائل ، لكنه لم يأت على أي ذكر لوجود بطرس في المدينة ، الأمر الذي كان يجب عليه ذكره لو أن بطرس كان حقاً في روما)[١]

وتصديق القائلين بصحة ذهب بطرس إلى روما ليس بأولى من تصديق القائلين بعدم ذهابه إليها، بل تميل كفة المنكرين لذاهبة على القائلين بها، وذلك لعدم وجود الدليل على صحة ما ذهب إليه أهل أثبات ذهابه.

والعجيب أن بطرس هذا، تحاول كل كنيسة أن تلحق شرف ترأسه لها، بل انتسابه إليها، فالكنيسة السريانية الأنطاكية[٢] الأرثوذكسية تنسب إلى بطرس افتتاحها وترأسه لها، بل يصر آباؤها على أن (بطرس الرسول هو الذي أسس الكنيسة في أنطاكية)[٣] .

١ انظر: العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، صموئيل بندكت، ترجمة القس يعقوب قاقيش، موقع كلدان للمسيح، www. Chaldeanllmaseh.com. وانظر: المباحث في اعتقادات بعض الكنائس لمؤلف بروتستانتي مجهول، تحت الباب الثامن بعنوان: في المفاتيح، ص ٣٦

٢ الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالسريانية :ܥܕܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܬܪܝܨܬ ܫܘܒܚܐ ويعتقد السريان أن كنيستهم تأسست في القرن الأول للميلاد على يد تلاميذ المسيح .انظر : تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، ترجمة إسحاق عبيد ص ٢٣٧ وكنيستي السريانية، المطران، إسحاق ساكا، ص ٢٥

٣ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ١/ ١٩

وادعى مثلهم كذلك الصوريين[١] والصيداويين[٢] والطرابلسيين[٣] وأهل قيصرية فلسطين[٤] وغيرهم بأن بطرس افتتح كل تلك الكنائس[٥]

وأماما اشتهر عن يعقوب من أنه ذهب إلى اسبانيا[٦]، قول عار من الصحة، ولا يعضده دليل ولا برهان، ولهذا يصرح بعض من قرب من الحقيقة منهم بقوله عن يعقوب: (أما عن جهوده في الكرازة فمعلوماتنا عنه ضئيلة، لكن التقاليد تجمع على أن ميدانه في التبشير كان في اليهودية والسامرة، أما القول بأنه كرز بالإنجيل في اسبانيا، فقول ليس له أسانيد تاريخية)[٧] تاريخية)[٧] وقس على ذلك كل ما اتهم به التلاميذ والرسل.

وقد أشار بعض لاهوتيي المسيحية إلى هذه الحقيقة الضائعة، حيث صرح بعضهم بأن كثيرا من الكتابات المنحرفة والتعاليم الدخيلة، طرأت على المسيحية بدأً من القرن الثاني من قبل منحرفين عن المسيحية، (وأصبح من ثم مقياس تلك الكتابات سلطة الرسل المتحدرة رأسا من المسيح... ليبرروا تعاليمهم المنحرفة)[٨]

---

١ نسبة إلى صور وهي مدينة فينقية قديمة كانت تابعة لمصر في القرن الخامس عشر ق. م . انظر :قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٩

٢ نسبة إلى صيدا وهي مدينة فينقية قديمة تقع بين جبال لبنان والبحر المتوسط. انظر : قاوس الكتاب المقدس، ص ٥٦٥

٣ مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا .انظر: معجم البلدان ٢١٦/١ والرحلة الشامية ص ١٤٧ .

٤ نسة إلى مدينة قيصرية وهي تقع في فلسطين بين عكا والقدس. انظر : قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٥٥

٥ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ١/ ٢١

٦ هي كانت دولة اسلامية تسمى الاندلس احتلها النصارى عام ١٤٦٩م، وأصبحت دولة أوربية تقع بين البرتغال وفرنسا . انظر : المنجد في الأعلام ص ٤٣

٧ الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الأنبايوأنس، ص ٤١٦

٨ الاباء الرسوليون، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص٣٨

ولو كان تلاميذ المسيح قد ذهبوا بالفعل إلى كل تلك البلدان ، بغرض التبشير ، لاشتهر أمرهم ، وتواتر خبرهم ، وشهد بذلك أعدائهم قبل أتباعهم ، إلا أن كل ذلك لم يحصل ، بل يصرح كبار المؤرخين بضد ذلك تماما ، حيث يصرحون بأنه (يغشى الغموض التام شطرا كبيرا من تاريخ المسيحيين في القرنين الاوليين من الحقبة المسيحية فمع أنهم انتشروا في كل أرجاء العالم فإننا لا نعرف إلا القليل النادر من فكراتهم أو طقوسهم وطرائقهم أثناء ذلك ..)[1]

والحق أن منشأ ذلك الغموض التام لحلاتهم وطرائقهم وطقوسهم في أثناء جولاتهم بالتبشير في العالم ، منشأ ذلك ، هو لأنهم لم يذهبوا أصلا للتبشير بها بين الأمم ، ولهذا لا يعد ما وصف به تلاميذ المسيح من التبشير بالمسيحية بين الأمم أمرا مسلما، بل هو يناقض تعاليم المسيح وتعاليم تلاميذه الحقيقيين أيضا ويكذبه التاريخ ولا يعضده الدليل.

كيف لا، وقد علمهم المسيح ذلك أثناء مكوثه بينهم، فينقل متى في إنجيله محاورة موجزة بين المسيح وبين بطرس (...فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال يسوع الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)[2]

فالمسيح قال لهم إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط ، ولم يقل لهم أنهم يدينون شعوب العالم، وهذه كناية أو إشارة إلى أن رسالته وهم من بعده قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من أسباط الاثنى عشر -بغض النظر عن صحة هذه العبارة -.

وأكد عليهم ذلك عندما أرسلهم لينشروا دعوته بين اليهود بأن يقصروا الدعوة على اليهود ، بل وحذرهم من دخول مدن الأمم الأخرى ، ولو كانوا جيراناً لليهود (هؤلاء الإثنا عشر

---

[1] معالم تاريخ الانسانية، ولز، ص ٢٨

٢ متى ٢٨/١٩

أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)[1]

فتلاميذ المسيح الحقيقيين كانوا على علم بحرمة دعوة غير اليهود ويدلل على هذا قول بطرس كبير الحواريين – المفترى عليه – لتلاميذ المسيح (قد علمتم أنه قيل لكم لطريق الأمم لاتمضوا) وهذا كان بعد رفع المسيح، لعلم أولئك الحواريين وغيرهم من تلاميذ المسيح الصادقين أن دعوة نبيهم مقصورة على اليهود فقط.

ويدلك على أخذ تلاميذ المسيح بوصية المسيح في دعوة اليهود فقط، ما جاء في الدسقولية أو تعاليم الرسل، التي نسبت إليهم، والتي هي موضع تبجيل وتقديس لدى النصارى حيث قالوا فيها في وصاياهم لعموم أتباع المسيح: (تحفظوا أيضا أنتم من أن تتفرغوا لما فيه هلاككم، أي أن تجتمعوا مع الأمم في مجامعهم فإنه هلاك لكم وغوية...يجب أن يهرب المؤمنون من الحنفاء لينالوا النجاة لأنفسهم)[2]، وهذا يشير إلى اهتمامهم بعدم دعوة غير اليهود، بل وعدم المكوث والاجتماع معهم.

تقول دائرة المعارف البريطانية: (إن الأوائل من رجال الإيمان المسيحي كانوا يهودا كما كان يسوع نفسه لذا فإن المسيحية الأول إنما كانت في الحقيقة مجرد حركة داخل الديانة اليهودية)[3]

وكل هذا، يدل دلالة واضحة على أن دعوة المسيح عليه السلام كانت مقتصرة في أصلها على بني إسرائيل، وتبعه على ذلك تلاميذ المسيح الحقيقيين، وعدم التسليم بما جاء رسائل بولس ولوقا وغيرهم من نسبة الدعوة لعالمية النصرانية، من قبل المسيح، أو من قبل تلاميذه، ولا شك أن هذه النصوص التي تدعي ذهاب تلاميذ المسيح للتبشير بين الأمم إما محرفة أو زائفة [4].

---

١ متى ٥/١٠

٢ الدسقولية، تعريب القمص مرقس داود، ص ١٠٣

٣ الدائرة البريطانية ٦٩٣/٥ نقلا عن مصادر النصرانية ٧٣/١

٤ الإنجيل والصليب عبدالاحد داود، ص ٧٢

ولهذا لما فطن بعض النصارى لهذه التهم الملفقة على تلاميذ المسيح، والأسفار المخترعة المكذوبة عليهم، وتكذيب التاريخ الصحيح لها، لم يجد أمامه إلا أن يقول:(في الواقع أن قصة الكرازة بالإنجيل غامضة، فنحن لا نعرف ماذا قال الرسل في كرازتهم، بل وأين ذهبوا وكرزوا على وجه التحديد)[١]

وهو ما اعترف به أيضا بعض كتاب الكنيسة المنصفين الذين يرون أنه (يصعب على المؤرخ المدقق أن يتتبع بطرس وغيره من المبشرين ليتثبت من كيفية تأسيس الكنائس)[٢]

وقصرت الفطنة عن بعض كتاب النصارى أمام هذه البراهين، فحاول أن يخلط الصحيح بالسقيم ويعمي حقيقة الأمر، فيقول مثلا الارشمندريت يوسف درة الحداد[٣]: (تظهر المسيحية ، في دعوة الرسل الأولى، كنيسة أي جماعة منظمة تحت قيادة شرعية قائمة تكمل كنيست العهد القديم ؛ لكنها تستقل عنها في عقيدتها الجديدة ، في الله والمسيح ، وفي شريعتها الجديدة ، وفي صوفيتها الجديدة)[٤]

والعاقل يعلم أن استقلالها في اعتقادها في الله والمسيح وشريعة جديدة، يضاد قوله "تكمل كنيست العهد القديم" فماذا بقي إذن من الشرع القديم؟، ولكن هذا التضليل هو لغرض إثبات أن دعوة المسيح لم تقتصر على اليهود بل استقلت عنهم وأصبحت دعوة امية عالمية.

ومنهم من حاول خلق الأعذار المقنعة – في نظره– لنشر المسيحية بين الأمم، فيقول ج.ج.ديفز [٥]: (كان الذين أعلنوا التعليم في المرحلة الأولى يهودا لكن سواء بحكم الظروف أو اعتمادا على وجهات النظر لم يعودوا قادرين على قصر دعوتهم على مواطنيهم)[٦]

---

١ الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الأنبايوأنس،ص ١٣٦

٢ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ص ٢٠

٣ هو أديب لبناني مسيحي ولد سنة ١٨٦٥م انصرف إلى التدريس وتوفي عام ١٩٤٩م. انظر: المنجد في الأعلام ص ٢١٤

٤ تاريخ المسيحية في سفر أعمال الرسل، الارشمندريت يوسف درة الحداد، ص ٢٠١

٥ وهو محاضر علم اللاهوت في جامعة بريمنجهام

٦ موسوعة الأديان الحية، ر.س.زينر، الجزء الأول، ص ١٢٢ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ٢٢/١

ولم يبين لنا لماذا لم يعودوا قادرين على استمرار دعوة اليهود، وهل تبرموا من عدم المقدرة، وأين تبرموا من ذلك، ولم يوجد مايشير إلى ذلك في كتب العهد الجديد المحرفة والمختلقة، وكيف يمكن أن يصدق أنهم لم يعودوا قادرين على دعوة جيرانهم اليهود؟، مع أن الأناجيل تثبت ذهاب بعضهم إلى أبعد من ذلك بكثير ؟

وبهذا يتبين، أنه بعد تقصي الحق والحقيقة والتمحص والتدقيق والتثبت والتحقيق، أن تلاميذ المسيح قصروا دعوتهم على اليهود فقط، وأنه لم تعتمد عالمية المسيحية وانتشارها خارج شعب اليهود، إلا بعد رفع المسيح من قبل أصحاب الدعوات المنحرفة، وليس من قبل تلاميذ المسيح [1]

ثانيا: ضياع إنجيل المسيح:

سبق القول بأن المسيح عليه السلام قد أنزل عليه كتاب مقدس وهو الإنجيل، وقد ورد ذكره في كثير من نصوص العهد الجديد، إلا أن النصارى كتبوا عشرات الأناجيل والتي حكم ببطلانها في مجمع نيقية سوى أربعة أناجيل، ألبست لباس القدسية، واعتبرت مقننة ومقدسه، وهي إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا [2].

ولا شك أن الإنجيل المذكور في العهد الجديد ليس واحدا من هذه الأناجيل، لأن هذه الأناجيل لا تتنسب إلا إلى أصحابها باتفاق النصارى، ولأن المسيح قد وعظ به، ولم يكن واحدا من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق، وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه وهم لايزالون بعد في دور التعلم، ولأن هذا الإنجيل قد ذكر في هذه الأناجيل على

---

١ وعلى رأسهم بولس الذي يقول: (فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء، لأخلص على كل حال قوما. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل، لأكون شريكا فيه)

٢ انظر المبحث السابق وهو المسيح عليه السلام ودعوته.و انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس – العهد الجديد – ص ٨

أنه قائما في عهد عيسى عليه السلام، ولأنه قد ذكر من غير نسبة، وليس واحدا من هذه الأناجيل تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه، ولأنه ذكر أنه منسوبا إلى المسيح الابن وليس واحد من هذه الأناجيل يستحق هذا الاسم [١].

بالإضافة إلى أن هذه الأناجيل لا تشتمل إلا على القليل من أقوال عيسى عليه السلام، ومعظم ما جاء فيها عبارة عن تاريخ المسيح وأحواله [٢].

وبعد هذا يحق لنا أن نقول: أين هذا الإنجيل وهل هو موجود ؟

ولكن الإجابة، هي أن ذلك الإنجيل فقد من الوجود، يقول أتين دينيه الرسام الفرنسي[٣] الذي أسلم بعد دراساته الواسعة للأديان:(أما إن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه، فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر، ولم يبق له أثر، أو أنه أبيد)[٤].

ويرجح المؤرخون المختصون أن الأناجيل الأربعة جميعها، تعتمد على نسخة آرامية مفقودة يشيرون إليها بحر "ك" من كلمة كويل "quelle" بمعنى الأصل، ومنهم من يسمي هذه النسخة لوجيا "logia" بمعنى الأقوال، ويريدون بها الأقوال الشفوية التي سمعت ثم كتبت على القول الراجح عندهم باللغة الآرامية، ويعللون اتفاق متى ولوقا في بعض النصوص باعتمادها معا على تلك النسخة المفقودة[٥]

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٥١.

(٢) الإنجيل والصليب ص ١٤.

(٣) أتين دينيه: رسام فرنسي أعلن إسلامه وتسمى بعد ذلك بناصر الدين برع في التصوير وله لوحات معروفة ألف بالفرنسية كتاب "محمد" بالاشتراك مع سليمان الجزائري وله بالفرنسية " حياة العرب" و"حياة الصحراء" و"أشعة خاصة بنور الإسلام" ترجمت إلى العربية توفي سنة ١٩٢٩م.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص٤٨ والأعلام ١/٨٣.

(٤) الأديان في القرآن لمحمود الشريف ص ٢٠٧.

٥ انظر: موسوعة عباس محمود العقاد، حياة المسيح، عباس محمود العقاد، ١/ ١٧٣

وهناك عدة عوامل وأسباب تضافرت على فقد ذلك الإنجيل، أدت في نهاية المطاف إلى فقدانه وضياعه، ومن أهم تلك الأسباب، هو أن ذلك الإنجيل لم يدون كالتوراة، بل كانت تتناقله ألسنة الحفاظ مدة طويلة من الزمن، إلى أن ابتدئ في كتابة الأناجيل، بالإضافة إلى ما مر على النصارى من الاضطهادات التي قاسوها.إلى ظهور كثير من الأفكار المنحرفة التي أسهمت في ضياع الإنجيل الذ يحوي العقائد الحقة.

وبوجه عام، فإن ذلك الإنجيل فقد سواء دونت بعض تعاليمه أم كان كله عن طريق المشافهة، إلا أنه من المؤكد أنهم فقدوه وضاع من بين أيديهم، ثم بعد ذلك الضياع تناقلت الألسن ما بقي من بقايا ذلك الإنجيل إلى أن دونت تلك الكتب التي سموها بالأناجيل.

تقول الرهبانية اليسوعية في المدخل إلى العهد الجديد: (وأما أقوال الرب وما كان يبشر به الرسل فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدة طويلة ولم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر الرسل بضرورة ما من تدوين أهم ما علمه الرسل وتولي حفظ ما كتبوه وما كان بد من أن تثار ذات يوم مسألة المكانة العائدة لهذه المؤلفات الجديدة وإن حظي في أول الأمر التقليد الشفهي بمكانة أفضل كثيرا مما كان للوثائق المكتوبة)[(١)].

ويقول موريس بوكاي[٢]: (وقد نسج المبشرون كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة الروابط بين هذه الراويات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد) [(٣)].

---

(١) مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس – العهد الجديد– ص٨.

٢ هو كاتب وطبيب فرنسي كان كاثوليكا عاش فترة شبابه بالمغرب إبان احتلال فرنسل للمغرب ؟، اطلع على القران الكريم وانبهر بما فيه من الابات المتعلقة بالظواهرالكونية، ويرى كثير من الباحثين أنه اعتنق الاسلام. انظر: رجال نور الله قلوبهم لمصطفى غزال ١٦٥/١

(٣) التوراة والإنجيل والقران والعلم ص ٧٧.

ويقول عبد الأحد داود(1):(لم تكتب آية واحدة من الآياتالإلهامات الربانية النازلة على المسيح...وإنما بلغها المسيح بصورة المشافهة وتنوقلت كذلك عنه بالشفاه) (2).
ويقول عبدالرحمن البغدادي[3]: (وأما أحديثه ومواعظه عليه السلام فكانت شفهية لم تحصرها الدفاتر ولا سطرتها الأقلام في زمنه عليه السلام ولا في زمن متقارب منه لأن دينكم نشأ في الناصرة بين جماعة من صيادي الأسماك قليلي العدد والسبب الداعي لعدم التمكن من تسطير أقواله وتحرير أحواله: اختلاط عددهم القليل مع استيلاء الجهل على الكثيرين من أمة اليهود الكثيرة العدد وما هم عليه من العتو والجبروت والسلطة)[٤]
وبهذا يتبين أن الإنجيل الذي نزل على المسيح عليه الصلاة والسلام قد ضاع بين واندثر بين ركام الظروف العصيبة التي عاشها النصارى آنذاك ثم كتبت عدة أناجيل بعد ذلك من عدة أشخاص ضمنها كل واحد منهم ما يراه من الاعتقادات بالإضافة إلى بعض أقوال المسيح عليه السلام مما حفظته وتناقلته الألسن.

ثالثا: انفصال النصارى عن شرائع التوراة:

سبق القول بأن المسيح عليه السلام كان متبعا لشريعة التوراة، مقتفيا أحكامها، متبعا لشرائعها، ولهذا نص على أنه متبعا للناموس، ولم يأت بدين جديد، بل متمما له، ومخففا من أحكامه[٥].

---

(١) هو "بنجامين كلداني " ولد عام ١٨٦٧م في "أورميا" من بلاد فارس تسمى بعد إسلامه بعبد الأحد داود كانت له جهود كبيرة في الدعوة إلى التنصير قبل إسلامه وعندما أسلم أصبحت له جهود كبيرة في الدعوة إلى الإسلام وفضح النصرانية من أهم كتبه كتاب " الإنجيل والصليب" وكتاب " محمد في الكتاب المقدس" انظر: محمد في الكتاب المقدس ص ٢٥ والإنجيل والصليب ص ١٢.

(٢) الإنجيل والصليب ص ٢٠٩.

٣ هو عبدالرحمن بن سليم بن عبدالرحمن البغدادي المعروف بالباجه جي زاده ولد سنة ١٢٤٨هـ وتوفي عام ١٣٣٠هـ له تصانيف كثيرة من أشهرها الفارق بين المخلوق والخالق. انظر: الأعلام للزركلي ٣٠٧/٣

٤ الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٧

٥ كما قال "ما جئت لأنقض الناموس وإنما لأتممه " وقد جاء في القران الكريم قوله تعال: (ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأخفف عنكم بعض الذي حرم عليكم)

ولكن هذا الواقع قد تغير تغيرا جذريا بعد فترة وجيزة من رفع المسيح عليه السلام، فخرجت النصرانية من دائرة اليهودية، ومن العمل بشرائع التوراة، وأول شذرات هذا المفهوم الجديد – إن صح الخبر – كان في خطبة يعقوب الذي اقترح على تلاميذ المسيح أن يحصروا المحرمات على الأمم في أربعة أمور، وكان ذلك المجمع بعد مضي اثنتين وعشرين سنة من رفع المسيح عليه السلام [1].

فقد جتمع فيه التلاميذ وبولس، وقرروا إسقاط جميع أحكام التوراة عن الذين يهتدون من الوثنية إلى دين المسيح سوى أربعة أشياء، كما جاء في رسالة ذلك المجمع إلى الوثنيين المهتدين، كما في سفر أعمال الرسل: (فقد حسن لدى الروح القدس ولدينا ألا يلقى عليكم من الأعباء سوى ما لابد منه وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنى فإن احترستم منها تحسنون عملا)[2].

ويعتمد النصارى على ما ذكره لوقا في سفر أعمال الرسل في عرضه لمبادئ الدعوة الجديدة التي تلصق بتلاميذ المسيح، وبنوا على ذلك وجوب الأخذ عن ماجاء به تلاميذ المسيح حيث يعتقدون أنهم (صحابة المسيح ، والشهود العيان لرسالته واستشهاده وقيامته ورفعه حيًا إلى السماء ، في المجد الإلهي ، كانت "الشهادة للرب يسوع"[3] والاستشهاد" باسم ربنا يسوع المسيح"[4]و "بقيامة الرب يسوع"[5]... ودعوتهم بمسيحية يسوع تقوم على تلاوة مشاهد من إنجيل المسيح ، وعلى الاستشهاد بكتاب الله .فيسوع هو "الذي تكلم الله عنه منذ القديم ، على فم أنبيائه القديسين "[6])[7] وهذا الكلام المنمق عن صحابة المسيح يقصد يقصد به وجوب الأخذ بما جاء في إنجيل لوقا من نسخ صحابة المسيح لأعمال الناموس .

(١) انظر: موسوعة آباءالكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ٣٩/٣ والمجامع الكنسية، الانبا:يوأنس،ص ٢

(٢) أعمال الرسل ٢٨,٢٩/١٥.

٣ أعمال الرسل ٢١/١

٤ أعمال الرسل١٥/٢٦

٥ أعمال الرسل ٣٣/٤

٦ أعمال الرسل ٢١/٣

٧ تاريخ المسيحية في سفر أعمال الرسل، الارشمندريت: يوسف درة الحداد، ص ١٤٥

ولكن ، هيهات أن يلتصق هذا الافتراء بتلاميذ المسيح عليه السلام ، فكيف يلصق بتلاميذ المسيح بأنهم شرعوا عدم العمل بالتوراة؟ ، إلى اختراع عقائد جديدة لم تعهد في التوراة ولا الأنبياء، بل لم تعرف من قبل في الديانة اليهوية بأسرها، ولا في تعاليم المسيح، ولذا يعتبر كل ذلك، من الأخبار التي تضاد تعاليم المسيح، وتعاليم تلاميذه وصحابته، مع عدم وجود دليل معتمد يمكن أن يستند إليه في ذلك سوى ما ورد في العهد الجديد، الذي يحتاج هو أيضا أدلة على صحة أخباره وصدقها، وهاك بعض الأدلة التي تدل على بطلان ما نسب إلى تلاميذ المسيح :

أ – وجود النصوص النقلية المضادة في العهد الجديد:

فقد ورد فيه من أقوال المسيح ما يدل عل مضادة مفهوم النصارى في الدعوة إلى عالمية المسيحية، وذلك حينما يعلنها وبكل صراحة، في خطابه الى غير اليهود بقوله:" أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم لأن الخلاص هو من اليهود"[1] إلى استشهاده بكثير من نصوص التوراة في الأحكام والعبادات والعقائد [2]

ب – عمل تلاميذ المسيح بعد المسيح:

ومما يدل على زيفها أيضا هو ما اشتهر عن تلاميذ المسيح الحقيقيين أيضا،حيث إنهم كانوا (يستشهدون بجميع أجزاء العهد القديم استشهادهم بوحي الله)[3].

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: (أن أسبق حواريي المسيح ظلوا اهتمامهم إلى جعل النصرانية دينا لليهود وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل)[4]

---

١ يوحنا ٢٢/٤

٢ انظر: ص من هذا البحث، المبحث الاول: المسيح عليه السلام ودعوته.

٣ مقدمة الرهبانية اليسوعية الفرنسية للكتاب المقدس، – العهد القديم – ص ٨ ودائرة المعارف البريطانية نقلاع ن دراسات معاصرة في العهد الجديد لمحمد البار، ص ٦٨

٤ نقلا عن الميزان في مقارنة الأديان، المستشارمحمد عزت طهطاوي، ص ٢٨٩

يقول الأنبايوأنس: (ينظر إلى المسيحية في أول أمرها أنها شيعة يهودية جديدة وساعد على هذه النظرة حرص اليهود المتنصرين على الاستمرار في ممارسة عوائدهم اليهودية) [1]

والحقيقة هي ليست عوائد وإنما هي شرائع وأحكام ووصايا وتعاليم، وتصوير نيافة الأنبا بأن أولئك اليهود المتنصرين ثلة قليلة قول يجانبه الصواب، حيث كان كل تلاميذ المسيح من اليهود المتنصرين.

فلم يقدر المسيحيون الأوائل أن ينبذوا النص التوراتي (لأن مواعظ يسوع نفسه وكذلك الأناجيل القانونية تستند دوما على الناموس والأنبياء)[2]

ويدلل على هذا اعتماد تلاميذ المسيح على التوراة تعاليم الرسل التي تسمى ب"الدسقولية" -بغض النظر عن صحة نسبتها إلى الرسل- حيث استشهدوا بكثير من تعاليم التوراة وشرائعها في تعاليمهم كقولهم: (أما اذا قعدت في بيتك فاقرأ في الناموس والملوك والأنبياء) وقولهم: (ما الذي يعجز في ناموس الله حتى تلتفت إلى محلات الأمم فان أردت إن تقرا في كتب السير فلك أسفار الملوك وان كنت تطلب كتب الحكماء فلك الأنبياءوأيوبوأمثال سليمان هذه التي تجد فيها حكمة حسنة أفضل من كل فلسفة وكل حكمة من اجل إنها كلمات الله الرب الحكيم وحده وان كنت تحب إن تغني فلك المزامير وان كنت تطلب معرفة ولادة الأوليين وخلقة العالم فلك التوراة..اقرأأيضا في الناموس الآخر وابعد أيضا عن كلام الغريب الذي جعل فيه)[3]

تقول دائرة المعارف البريطانية: (إن المسيحيين الأوائل ظلوا لمدة القرن الأول بعد الميلاد بأكمله ليس لديهم أنا جيل معترف بها وكانوا لا يعترفون سوى بالعهد القديم ويقرءونه في مجامعهم بل كانوا معظم الوقت يتعبدون في نفس المعابد اليهودية وكذلك فعل يسوع طوال حياته على الأرض وفي منتصف القرن الثاني الميلادي بدأ المسيحيون يقرؤون مختارات من الأناجيل المختلفة في طقوسهم بالإضافة إلى كتب العهد القديم وخاصة المزامير وكانت

---

١ محاضرات في التاريخ الكنسي، نيافة الأنبا يو أنس ص ٩

٢ المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧١

٣ الدسقولية، تعريب القمص: مرقس داود ص ٢١-٢٢

الترجمة اليونانية السبعينية للعهد القديم هي المعتبرة ولم يدخل العهد الجديد ضمن الكتاب المقدس إلا في فترة متأخرة ثم أخذت بعض الكنائس المسيحية منحى جديدا وهو إهمال العهد القديم والاعتماد فقط على العهد الجديد قي الطقوس الدينية بالإضافة إلى مقاطع متعددة من المزامير) [(١)].

فلا يبعد أن يكون تهمة تلاميذ المسيح بالتنكر للناموس، بل وكل ذلك المجمع من مخيلة بولس لإلصاق تهمة إسقاط أحكام التوراة لتلاميذ المسيح الحقيقيين، خصوصا وأن بولس أستاذ لوقا هو أول من نادى بإسقاط أحكام العهد القديم[٢] ولذا، ليس ببعيد أن تكون كل هذه القصة من مختلقات بولس، أو تلميذه لوقا، الذي سطر كثيرا من الأساطير والخرافات في إنجيله، في سبيل إثبات تعاليم بولس[٣]

واستمع إلى قول كاتب الكنيسة الأنطاكية النصراني أسعد رستم[٤] عندما يصف جماعة التلاميذ الحقيقيين:(وأتباع هذه الجماعة لم يؤمنوا بمجمع أورشليم ولم يباركوا عمل الرسول بولس وأتباعه في التبشير بين الأمم والغريب المستغرب أنهم لم يقفوا عند حد هذا الاختلاف بل تأثروا بولس العظيم في آسيا الصغرى وبلاد اليونان مبينين خطا الرسول موجبين الختان وحفظ الشبت وما شاكل ذلك من فرائض الناموس وعظم امرهم فخشي بولس سوء العاقبة فرد برسائل ست بعث بها إلى كنائس معينة فلاقت رواجا كبيرا)[٥]

ج – عدم وجود المصدر المعتمد في نقل صحة انفصال تلاميذ المسيح عن التوراة:

---

(١) الدائرة البريطانية ٩٧٤/٢ نقلا عن دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، لمحمد البار ص ٦٨.

٢ انظر: كورنثوس ٢٠/٩-٢٣

٣ انظر مثلا: لوقا، الاصحاح الثالث والعشرون.

٤ هو أسعد جبرائيل رستم ولد سنة ١٨٧٥م وتوفي سنة ١٩٦٩م مؤرخ وشاعر لبناني، له كتب كثيرة من أشهرها اباء الكنيسة، وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى. انظر: المنجد في الإلام، ص ٢٦٣

٥ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،أسعد رستم، ص٣٢

إن قصة المجمع الذي نسب إل تلاميذ المسيح لم ينقل نقلا موثقا ولا رواه عدول ثقات، يمكن أن يعتمد عليهم في نقل الأخبار، فلم ينقله سوى لوقا في سفر أعمال الرسل، حيث إن أعمال الرسل يكاد يكون المصدر الوحيد في إثباتها، وهذا الذي افتراه لوقا في إنجيله هو موضع قبول لدى المسيحيين، حيث يعتقدون أن ما لوقا هي مجمل تعاليم المسيح حيث يقولون: (فالخطوط العريضة لما كان يعتقده المسيح هي نفسها الواردة في تعاليم الرسل التي نجدها في سفر أعمال الرسل)[1].

ولكن لوقا غير مؤتمن في نقل أخبار تلاميذ المسيح فضلا عن تعاليم المسيح، وذلك لأنه كان مترجما لأراء بولس وتابعا له، بل من تلاميذه ومحبوبيه[2] لا ناقلا لتعاليم المسيح ووصاياه، وبولس كان مناصبا العداء للتلاميذ عداوة ظاهرة، ويبرهن على هذا، الهجوم الشنيع الذي شنه بولس وتلاميذه على تلاميذ المسيح، لأنهم يعملون بالختان [3] ووصفهم بـ (الإخوة الكذبة.. الذين دخلوا اختلاسا...)[4] ومع شتمه لرسل المسيح وتلاميذه، نراه يدعيها لنفسه فيقول:(بولس رسول ليس من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الاب)[5] وهذا في غاية التناقض، أن يزدري أمرا ثم يدعيه، فشتم رسل المسيح ثم ادعى أنه من رسل المسيح.

د – أن هذا المجمع لم يوافق عليه كل تلاميذ المسيح :

لو افترضنا صحة وقوع هذا المجمع فإنه من المؤكد أنه اقتصر على بولس وصحابته ولم يحضره صحابة المسيح ، ولو افترضنا أنهم حضروه ، فإنه من المؤكد أيضا أنهم لم يوافقوا على تعاليم هذا المجمع ، وهذا ما ذهب إليه بعض النصارى حينما يقول : (إن مقررات مجمع القدس هذا أحرزت استقراراً جزئياً ووقتياً ولم تضع حداً حاسماً نهائيا للخلاف ، ذلك أن الكنائس

١ موسوعة الأديان الحية، ر.س.زينر.، الجزء الاول، ص ١١٩

٢ كولوسي ٤/١٤

٣ رومية ٢٥/٢٩

٤ غلاطية ٢/٤

٥ غلاطية ١/١١

المسيحية الأممية رضيت بحكم المجمع واعتبرته نصراً لها وقراراً نهائياً بالنسبة لحياتها ، وأما الجماعة اليهودية المتنصرة والتي بقيت متأثرة بيهوديتها وبالناموس لم تقبل قرارات مؤتمر القدس، واعتبرت ذلك بمثابة هزيمة)[١]

هـ - لو افترضنا صحة ذلك المجمع فإنه لا يدل على انفصال التلاميذ عن التوراة:

فلو افترضنا صحته لما عدا أن يكون ما قرره يعقوب وتلاميذ المسيح، عن أن يكون من قبيل التدرج في الدعوة، بغرض عدم إثقال كواهل المسيحيين الجدد، بكثرة التعاليم، وإنما يكون البدء بالأهم فالأهم – بغض النظر عن صحة هذه النظرة – والله أعلم.

ويدلل على هذا قول يعقوب نفسه (لذلك أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم)[٢] فصرح بأن السبب في ذلك هو حتى لا يثقل عليهم من أول وهلة، بغض النظر عن صحة اجتهاده في ذلك من عدمه.

وعلى كل حال، فإن المتفق عليه هو أن بولس هو من أرسى دعائم انفصال النصارى عن التوراة فقد رسخ بولس هذا المفهوم تمام الترسيخ، وابتدع في الديانة النصرانية مفاهيم لم تكن معهودة من قبل، وأدرج فيها من الأساطير الشيء الكثير، مما كان له أكبر الأثر على مفاهيمها، ففقدت الديانة النصرانية بعد ذلك توازنها المبني على شريعة التوراة، بل سقطت في حضيض الأديان الوثنية.

وهكذا استمر الحال حتى انفصلت النصرانية عن التوراة، أو كادت أن تنفصل، ولهذا فإن النصرانية الجديدة تعلم تلاميذها –كما في كتاب مختصر تعليم الكنيسة الكاثوليكية – (أن الشريعة القديمة على كونها مقدسة روحانية وحيدة فهي ناقصة إذ لا تمنح بذاتها قوة الروح القدس ونعمته للقيام بها)[٣] أو تعلمهم (أن تلك الشريعة لم تزل قانون حياة المؤمن الصالحة على أن تبريره وخلاصه ليسا بها)[٤] .

---

[١] كنيستي السريانية، المطران، اسحاق ساكا، ص ٢٠

٢ أعمال الرسل ١٩/١٥

٣ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ١٢٨

٤ علم اللاهوت النظامي ص

فما الفائدة منها إذا كانت قانون حياة، مع عدم الاعتبار بتعاليمها، وأن تعاليمها لا تبرر الإنسان ولا تخلصه، فهذا تناقض عجيب.

وسأذكر هنا بعض الأمثلة على ذلك مما يدل على ترك النصارى لشرائع التوراة:

أ – إن أول ما يؤخذ على النصارى – في تركهم لشريعة التوراة –، هي الوثنية التي نشأت بعد عصر المسيح عليه السلام، حيث ظهرت أفكار خالفت التوحيد الصريح الذي نصت عليه في التوراة، فقد كان الأساس الأول لشريعة موسى قول الله له: أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق ومما في الأرض من تحت ومما في الماء من تحت الأرض لاتسجد لهن ولا تعبدهن [(١)].

وعلى هذا درج جميع أنبياء بني إسرائيل، حتى المسيح عليه وعليهم الصلاة والسلام، والمسيح لم ينسخ من هذا الناموس، إلا بعض الرسوم الظاهرة، والتشديدات في المعاملة، أما الوصايا العشر، ورأسها التوحيد والنهي عن الشرك فلم ينسخ منها شيئا [(٢)]

ومما يؤيد ذلك، ما ورد عن المسيح في إنجيل يوحنا فيما نسب إليه "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" [(٣)] وغير ذلك من عبارات التوحيد.

لكن النصارى، قد أهملوا أول ركن في التوراة، وأول وصية من الوصايا العشر، وآمنوا بالمسيح ربا وإلها يدعونه مع الله، وأضافوا روح القدس فآمنوا بالثالوث المقدس[٤]، والعجب أنهم بعد ذلك يدّعون أن التوراة جزء من كتابهم المقدس! فإما أن ينفوا إيمانهم بالتوراة، وإما أن يؤمنوا بماجاء فيها ويتبرؤوا من الوثنية والتثليث.

ب– أمرت التوراة كما هو مسطر في الوصايا لعشر بالنهي عن اتخاذ الصور والتماثيل، كما جاء في سفر الخروج: (لا تصنع لك منحوتا ولا صورة شيء مما السماء من فوق ولا مما في

---

(١) تثنية ٥/٨.

(٢) تفسير القران الحكيم المشهور بتفسير االمنار ٢٦١/١٠.

(٣) إنجيل يوحنا ٣/١٧.

٤ وسيأتي الحديث عن عقيدة التثليث والرد عليها خلال هذا البحث.

الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض لا تسجد لها ولا تعبدها لأني أنا الرب إلهك إله غيور) (١).

وقد جاء في التوراة: (فتنبهوا لأنفسكم من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم فتصنعوا لكم تمثالا منحوتا لشيء مما نهاك عنه الرب إلهك لأن الرب إلهك نار آكلة وإله غيور) (٢).

ولقد كانت الكنيسة المسيحية أول أمرها تكره الصور والتماثيل، وتعدها بقايا من الوثنية، إلى عهد الملك قسطنطين[٣]، فخفت بريق هذه المقاومة بتأثير الحضارة اليونانية والعبادات الوثنية، فابتدأ عصر انحراف الكنيسة، وخالفت الكنيسة البابوية وغيرها من الكنائس هذه الوصية، ووضعت التماثيل وصور مريم العذراء، والقديسسين، وذخائرهم قدام رعيتها وذلك للتكريم والعبادة (٤).

وهم يسجدون لها ويقبلونها ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها ويتوجونها بالأزهار ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي!؟(٥).

ج ــ جاءت الشريعة التوراتية الموسوية بتقديس يوم السبت وعدم العمل فيه، وقد جاء التشديد على ذلك اليوم، وقد جاءت كثير من النصوص التي تدل على حرمة يوم السبت، ووجوب تقديسه، وعدم العمل فيه.

فقد جاء في سفر الخروج:"فقال لهم (موسى) هذا ما قال الرب: غدًا عطلة سبت مقدس للرب اخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون ، وكل ما فضل ضعوه عندكم ليحفظ إلى الغد

---

(١) خروج ٢٠/٤.

(٢) تثنية ٤/٢٣.

٣ وسوف يأتي الحديث عن الملك قسطنطين عند دراسة المرحلة الأولى من مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي.

(٤) ولذلك عندما قامت الكنيسة الإصلاحية البروتستانتية منعت إدخال الصور والتماثيل إلى بيوت العبادة لسوء ماينشأ من الاعتقاد فيها . انظر: علم اللاهوت ص ١٠٢٥وص١٥٦.

(٥) انظر: قصة الحضارة ١٤ / ١٥٧.

-إلى أن قال- لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع فاستراح الشعب في اليوم السابع"[(١)].

وفيه من الوصايا..."احفظ يوم السبت لتقدسه ، كما أوصاك الرب إلهك ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك ، لا تعمل فيه عملاً ما أنت وابنك وبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك ؛ لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك"[(٢)].

وأما الوعيد في الأسفار المنسوبة إلى موسى على مخالفة هذه الوصية فشديدة جدًا ، مثل قول التوراة: "وكلم الرب موسى قائلاً: وأنت تكلم بني إسرائيل قائلاً سبوتي تحفظونها لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم من دنسه يقتل قتلاً " [(٣)].

ولم يرد ما يدل دلالة صحيحة يدل أن المسيح عليه السلام، قد حول قداسة ذلك اليوم إلى يوم الأحد، فالمسيح عليه السلام جاء مصلحًا في اليهود، مزحزحًا لهم عما كانوا عليه من الجمود، ولذلك أباح الأعمال الضرورية والخيرية في يوم السبت فقط، ولم يأمر بتقديس يوم الأحد ولا غيره[٤].

فقد جاء في إنجيل متى "إن التلاميذ لما جاعوا وأكلوا السنبل يوم السبت قال الفريسيون[(٥)] للمسيح: إن تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت فقال: أما قرأتم ما فعله داود حين

---

(١) خروج ١٦ / ٢٣.

(٢) خروج ٢٠/٨.

(٣) خروج ٤١/١٤.

٤ انظر مجلة المنار ٢١٦/١٤

(٥) هي إحدى فرق اليهود ظهرت هذه الفرقة عام ١٧٥- ١٦٣ م وكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه بينه وبين إرادة الإنسان الحرة ويؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد والجزاء الأخروي ويؤمنون كذلك بالتلمود . انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ والفرق الدينية اليهودية في الموسوعة العبرية ص ٨٥.

جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه ، بل للكهنة فقط..." (١).

وفيه ذكر مثل يفهم منه أن الضروريات كانت تحل عندهم وهو " أي إنسان منكم يكون له خروف واحد ، فإن سقط هذا في السبت في حفرة ، أفما يمسكه ويقيمه..." (٢) وورد عنه أيضا انهقال:"السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان جعل لأجل السبت"(٣)

فيدل على نقض المسيح ليوم السبت في عمل الخير ، فالذي يتبع المسيح حقيقة يترك عمل الدنيا يوم السبت إلا ما كان ضروريًا ويجعل كل عمله برًّا وخيرًا وأما استحلال كل عمل يوم السبت وتحريم العمل يوم الأحد فهو من تقاليد الكنيسة لأجل مخالفة اليهود في شعائرهم وتقاليدهم ويعللون ذلك بأن يوم الأحد قد صارت له مزية ليست ليوم السبت بقيام المسيح فيه وسماه بولس بـ "يوم الرب" ٤

يقول ابن العسال٥: (لا يجب للنصارى أن يبطلوا يوم السبت مثل اليهود بل يعملوا في ذلك ذلك اليوم كالنصارى، وإذا وجدت قوم في أعمال اليهود فإنهم يكونون مطرودين من وجه المسيح)٦

---

(١) متى١٢/٣ – ٤.

(٢) متى ١١/١٢.

(٣) مرقص٢٧/٢.

٤ تسالونيكي الالولى ٢/٥

٥ هو أبرز علماء الكنيسة القبطية في القرن الثالث عشر الميلادي، من أبرز كتبه المجموع الصفوي الذي تعتمد عليه الكنيسة القبطية. انظر: ترجمته في مقدمة كتابه المجموع الصفوي، تقديم جرجس فيلوثاوس، ص: ح، ط، ي، ك.

٦ المجموع الصفوي، لابن العسال، ص ١٩٦ ويمكن أن يجابوا بأن هذه المزية لا تقتضي تحريم العمل فيه ولم لا تقولون: إن ليوم الجمعة مزية بوقوع الصلب فيه على حسب اعتقادكم وبه كان فداء البشر وخلاصهم واحتمال اللعنة عنهم فهو أجدر بأن يترك العمل فيه،فلم يكن (موقف المسيح وأتباعه متماثلا تجاه مسألة تحريم القيام بأي عمل يوم السبت وعلى أغلب الظن أن الإنجيليين قد =

د – الأعياد: من أهم الأمور التي حدثت للنصارى بعد رفع المسيح عليه السلام هو اقتباس المسيحية كثيرا من الأعياد التي لم تعرف أثناء وجود المسيح عليه السلام، فقد ترك المسيحيون الأعياد التي أقرتها الشريعة اليهودية وجاءت بها التوراة واعتمدوا لأنفسهم بعض الأعياد التي أخذوها عن الوثنيات.

لقد انتحلوا لأنفسهم أعيادًا مبتكرة لم تعرف في عصر المسيح عليه السلام، ولا في عهد الأنبياء قبله،كعيد الميلاد المسيحي وعيد ميلاد مريم وعيد الشهداء و عيد الرسل وغيرها من الأعياد.

رأوا تبعا ليسوع أنه يجوز تأدية أعمال خير يوم السبت) والمسيحيون الأوائلوالإمبراطورية الرومانية، أ.س.سفنسيسكايا، ص ٧٩ ومجلة المنار١٤/٢١٦

وفي الواقع أن ما تذكره التوراة بالنسبة لعلة تقديس يوم السبت أمور لا تليق بالله تعالى من أنه أمر بتعظيم ذلك اليوم لأنه استراح فيه، والله عز وجل لا يمسه النصب واللغوب، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ سورة ق آية٣٨.

فكون الله تعالى يأمرهم بالراحة في ذلك اليوم لاستراحته فيه بعد خلق السموات والأرض أمر لا يقبله العقل بأن يأمرهم بأن يحتفلوا باليوم الذي تعب فيه، إضافة إلى أن الله تعالى أمر بالعمل النافع وذم أهل الكسل والخمول، فما تذكره التوراة من أن موسى عليه السلام أمر بقتل رجل كان يحتطب في ذلك اليوم، لا يبدو أنه مسلم، وليس لدينا نص في الإسلام بأن الله تعالى أمر اليهود بتعظيم بوم السبت، وما ذكر في السنة عن النبي ﷺ أنه قال: ((نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا وَالنصارَى بعد غد) أخرجه البخاري برقم(٨٧٦) ومسلم برقم (٨٥٥).فهو بيان للواقع الذي كانوا عليهف (الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه فاختلف اجتهادهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة مبينا ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله) شرح النووي على مسلم ١٤٣/٦.

وربما كان يوم السبت من الأيام المفضلة عندهم، لا أن يصل في تعظيمه إلى ذلك الحد من العقوبات المترتبة على العمل فيه كالقتل والرجم.

فقد وردت أكثر نصوص الأعياد في أسفار التوراة بعد أن جاء فيها: (وكلم موسى الرب قائلا: خاطب بني إسرائيل وقل لهم مواسم الرب التي تدعون بها إلى محافل مقدسة تلك هي مواسمي)[١] ثم ذكر بعد ذلك من هذه المواسم والأعياد كعيد السبت –وإن كان ليس عيدا بالمعنى الدقيق– وعيد الفصح [٢]ويسمى الفطير[٣]وعيد الأسابيع[٤]

وعيد المظال[٥] وعيد يوم الغفران[٦]ويسمى بالعبرانية – شميني عتسيريت– وغير ذلك من الأعياد بينما نجد النصارى تركوا هذه الأعياد وبدلوها بأعياد كثيرة جدا شرعوها لأنفسهم

---

(١) لاويين ٢/٢٣.

(٢) ورد ذكره في التوراة ففد جاء في سفر الخروج ١٤/١٢ (ويكون هذا اليوم لكم ذكرى فتعيدونه عيدا للرب تعيدونه مدى أجيالكم فريضة أبدية) وعيد الفصح أنشيء تذكارا للخروج بني إسرائيل من أرض.

(٣) وكذلك ورد في وجوب عيد الفطير – الفصح – ماجاء في سفر الخروج ١٧/١١٢(وتحفظون هذا اليوم مدى أجيالكم فريضة أبدية) وهو عيد الفصح كما في إنجيل لوقا ١/٢٢(وقرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح).

(٤) عيد الأسابيع أحد الأعياد اليهودية المهمة ويأتي هذا العيد بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح ومن ومن هنا تسميته. ومدة هذا العيد يومان، هما السادس والسابع من شهر سيفان (٩ – ١٠ يونيه)، وهو بهذا يُعتبَر من أعياد الحصاد وله مناسبة تاريخية، وهي نزول التوراة والوصايا العشر على موسى فوق جبل سيناء. انظر:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٧٣/٥.

(٥) عيد المظال سُمِّي عيد الحصاد للاحتفال ببداية السنة الزراعية وسقوط الأمطار ويُحتفَل به أحياناً ليلاً حول حمام السباحة وهو يبدأ في الخامس عشر من شهر تشري (أكتوبر)، ومدته سبعة أيام، بعد عيد يوم الغفران. والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحياء ذكرى خيمة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر (لاويين ٤٣/٢٣). وكان هذا العيد في الأصل عيداً زراعياً للحصاد، فكان يُحتفَل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنة كلها . انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٦٤/٥ واليهويه لأحمد شلبي ص ٣٠٥.

(٦) يوم الغفران هو في الواقع يوم صوم، ولكنه مع هذا أضيف على أنه عيد، فهو أهم الأيام المقدَّسة عند اليهود على الإطلاق ويقع في العاشر من تشري ولأنه يُعتبَر أقدس أيام السنة، فإنه لذلك يُطلَق عليه «سبت الأسبات»، وهو اليوم الذي يُطهِّر فيه اليهودي نفسه من كل ذنب ويسبق بتسعة أيام

=

والتي رتبوها على أحوال المسيح والأعياد التي ابتدعوها لكبرائهم فإن ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله تعالى[(١)].حتى ذكر أنها تربو على مائة وأربعين عيدا[(٢)] كعيد الميلاد[(٣)] وعيد الغطاس[(٤)]

= تسمى أيام التوبة حيث يطهر اليهودي خلالها تطهير بحيث يكفل له النقاء خلال عام كامل وبحسب التراث اليهودي فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء، للمرة الثانية، ومعه لوحا الشريعة، حيث أعلن أن الرب غفر لهم خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي. وعيد يوم الغفران هو العيد الذي يطلب فيه الشعب ككل الغفران من الإله. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٦٥/٥ وانظر اليهودية لأحمد شلبي ص ٣٠٥.

(١) الجواب الصحيح ٣٦٥/١.

(٢) انظر الآثار الباقية للبيروني ص ٢٦٥.

(٣) عيد الميلاد يوم يحتفل فيه النصارى بذكرى مولد المسيح عليه السلام، فيذهبون إلى الكنيسة ويقيمون الصلوات الخاصة وقد وردت قصة عيد الميلاد في إنجيل لوقا وإنجيل متى، ولكن أول ذكر لاحتفالات عيد الميلاد ورد عام ٣٣٦م، في تقويم روماني قديم، جاءت الإشارة فيه إلى يوم ٢٥ ديسمبر على أنه يوم الاحتفال وفي أواخر القرن الرابع الميلادي، أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي، أصبح عيد الميلاد أهم الاحتفالات الدينية في أوروبا انظر: الدسقولية ص ١٢٢ اللاليء النفيسة في علوم الكنيسة ص ١٤٣ ومدخل إلى الطقس الكنسي –الاكليريكية، إعداد: مجموعة الحياة الكنسية بالأسقفية، بطريركية الأقباطالأرثوذكس، أسقفية الشباب، مركز تدريب الخدام، ص ٤٩

(٤) عيد الغطاس: عيد الغطاس عيد نصراني، إحياء لذكرى تعميد المسيح عيسى عليه السلام وهو يأتي بعد عيد الميلاد بعدة أيام. تحتفل به الكنائس الرومانية الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية، والأرثوذكسية انظر: الكنائس السيدية في الكنيسة القبطية،البابا شنودة الثالث ص و اللاليء النفيسة في علوم الكنيسة ص و ١٤٣الموسوعة العربية العالمية ٧٢٦/١٦ واقتضاء الصراط المستقيم ٥١٩/٢.وورد ذكره في الدسقولية ص ١٢٢ ومدخل إلى الطقس الكنسي – الاكليريكية، إعداد: مجموعة الحياة الكنسية بالأسقفية، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، أسقفية الشباب، مركز تدريب الخدام، ص ٥٠

والشعانيين[1] والقيامة[2] والصعود[3] والعنصرة[4] والخمسين[5] وغيرها[6]

جـ- غفران الذنوب:

لقد جاء المسيح بالحث على التوبة والإنذار من اقتراب الملكوت بل كان هو – في تعبده لطلب التوبة – يحث تلاميذه على تلمسها لمغفرة الخطايا حيث يقول المسيح: (إني أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آت لادعوا أبرارا بل خطاة إلى التوبة)[7] ويذكر لوقا عن المسيح في

---

١ وهو يوم دخول المسيح إلى أورشليم راكبا على جحش بن اتان. اللآليء النفيسة في علوم الكنيسة ص ١٤٣ ومدخل إلى الطقس الكنسي – الاكليريكية، إعداد: مجموعة الحياة الكنسية بالأسقفية، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، أسقفية الشباب، مركز تدريب الخدام، ص ٥٠

٢ وهو ذكرى قيامة المسيح من قبره برعم النصارى ولا يكون الا في يوم الأحد ويكون بعد صيام أيام الفصح من يوم الاثنين إلى يوم السبت يؤكل فيها الخبز والملح والماء ويحرم أكل الخمر واللحم، ويصام يوم الجمعة والسبت معا لمن يستطيع إلى وقت صياح الديك في منتصف الليل، انظر الدسقولية ص ١٥٥

٣ وهو يكون إحياء لذكرى صعود المسيح إلى الأب وجلوسه عن يمينه ويكون بعد أربعين يوما إلى خامس السبوت من اول جمعة بعد عيد القيامة انظر الدسقولية ص ١٥٦ ومدخل إلى الطقس الكنسي – الاكليريكية، إعداد: مجموعة الحياة الكنسية بالأسقفية، بطريركية الأقباطالأرثوذكس، أسقفية الشباب، مركز تدريب الخدام، ص ٥٣ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ٤/١

٤ انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ص١/٤

٥ ويزعم النصارى فيه إن الروح القدس أو البارقليط نزل على التلاميذ وتكلموابغات والسنة مختلفة ويكون بعد عشرة أيام من اول الجمعة الاولى بعد عيد الصعود انظر الدسقولية ص ١٥٧وتأملات في عيدالروح القدس، نيافة الأنبا:يوأنس، ط١،،١٩٩٨م، مطبعة الأنبا رويس الاوفست، القاهرة، ص ١٤- ٢٠ ومدخل إلى الطقس الكنسي – الاكليريكية، اعداد: مجموعة الحياة الكنسية بالأسقفية، بطريركية الأقباط الأرثوذكس، أسقفية الشباب، مركز تدريب الخدام، ص ٥٣

٦ انظر الأعيادالسيدية في الكنيسة القبطية، البابا شنودة الثالث، ص ٢

٧ متى ١٣/٩

حثه عل التوبة، فيقول: (فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا)[1]

وكان يوحنا المعمدان قبله (يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا)[2] متبعا في ذلك هدي التوراة التي تحث هي أيضا على ذلك[3]

فالحث عل التوبة لمغفرة الخطايا كانت من أبرز معالم دعوة المسيح عليه السلام،أما النصارى بعد ذلك، فقد جعلوا لآباء الكنيسة الذين يدعون لهم العصمة حق الغفران ، بل كل ما يصدر من البابا من قول أو عمل فهو مقدس لا خطأ فيه، و نتيجة لذلك فقد جعلوا لهم حق مغفرة الذنوب بزعمهم، فيصدر كبيرهم هذا الذي يسمونه – البابا- صكا لمن شاء يؤهله ذلك الصك لدخول الجنة، وفي المقابل قد يصدر حرمانا لمن شاء من الخلق لا يتمكن بعدها من دخول الجنة بل مأواه جهنم[(٤)].

وهذه الصكوك وإن كانت اليوم ليس لها تلك المكانة الكبيرة، إلا أن هناك عقيدة أخر لا تقل أهمية عنها لدى المسيحيين، بل اعتبر سرا من الأسرار السبعة الكنسية [5] وسر التوبة و الاعتراف للكاهن أو الراهب، بحيث يعترف المسيحي بكل أذنب أذنبه لدى كهنة الكنيسة، وهو عند الكاثوليك من وراء حجاب، و عند الأرثوذكس مواجهة، و يكون لكل إنسان أب اعتراف ثابت، وكل الخطايا تغفر بأمر الكاهن فقط، ولا شيء بدونه[6]

فكيف أقرت تلك العقول ذلك بأن يأتي أحد البشر المخلوقين فيصدر حرمانا لبشر مثله لا يمكنه من دخول الجنة! بل يحكم عليه بالخلود في النار! هل اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن

---

١ لوقا ٣/٣

٢ مرقس ٤/١

٣ انظر مثلا: يشوع ٧/٢١

(٤) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها ص٨٠.

٥ وسيأتي مزيد إيضاح للأسرار السبعة عند الحديث عن المعمودية في فصل: دراسة العقائد النصرانية الواردة في قانون الإيمان المسيحي ص من هذا البحث.

٦ تاريخ الأقباط ٢٦٩/١وأسرار الكنيسة،حبيب جرجس،ص ١٠٣

عهدا! وهم بذلك مخالفين أيضا لما جاء في الإنجيل من الحث على التوبة والترغيب في دخول ملكوت الله والبعد عن السيئات، وهذا ما فقهته الطائفة البروتستانتية الذين رأوا أن في ذلك استخفاف بالعقول وكذب على الله والرسول.

ولهذا يؤمن أتباع الطائفة البروتستانتية بضد ذلك، يقول القس جيمس انس:(القول بضرورة الاعتراف لإنسان ما بالخطية قبل الحصول على الغفران هو من اختراعات البشر لم يقله المسيح ولا علمه الكتاب المقدس وهو يفسد التوبة البسيطة الحقيقية وهو يوجه أفكار التائب إلى البشر عوضا عن الله لنوال المغفرة)[1]

فمما لا شك فيه أن صكوك الغفران سقطة ووصمة عار في جبين الديانة النصرانية المحرفة، حملهم على القول بها ما زعموه إبان الحروب الصليبية ضد المسلمين من ضمان المغفرة والجنة لمن قتل مسلما، حيث إنهم كانوا في بداية الأمر يطلبون من جميع النصارى أن يخرجوا للقتال إلا من عجز فإنه يدفع فدية في مقابل عدم خروجه ويكتب له صك بذلك، ثم توسعوا في ذلك، فأصدروا صكوك الغفران وصكوك الحرمان أيضا إتباعا لأماني لهوى البابوات وطمعهم.

هـ – ترك الختان:

لقد ورد في الأناجيل أن المسيح اختتن وعمره ثمانية أيام[2] متبعا في ذلك هدي أسلافه من الأنبياء الذين ذكرت عنهم التوراة نبأ اختتانهم[3] ولم ينسخ المسيح هذه الشعيرة، ولكن النصارى قد نسخوها بعد ذلك من تلقاء أنفسهم، والذي تولى كبر ذلك هو بولس اليهودي[4]

فتبين أن المسيحية قد تحولت تحولا عميقا بعد عصر المسيح، في طقوسها وشعائرها بل حتى في شرائعها وعقائدها، فبعد أن كانت ديانة توحيد معتمدة على التوراة كمصدر تشريعي،

---

١ علم اللاهوت النظامي، ص

٢ لوقا ٢/١٢-١٤

٣ تكوين ١٧/١١-٢٧

٤ رومية ٢/٢٧-٢٨ وكورنثوس الأولى ١٩/٧ وكولوسي ٢/١١

واعظة بالإنجيل بين شعب إسرائيل، أصبحت ضد ذلك تماما فتحولت إلى ديانة تثليث وبشرت أو أرادت أن تبشر به في العالم أجمع، واتخذت أقوال فلاسفة اليونان موردا، وأقوال باباوات الكنيسة وقديسيها مصدرا، وإن كان ذلك بدا تدريجيا بين جماعات أو أفرادا من المنتمين إلى المسيحية، إلا أنه أصبح هو المعتبر الذي حمل الناس عليه بعد إقرار قانون الإيمان المسيحي، فبعد إقرار هذا القانون الذي مسخ شريعة المسيح ونسخها، وحولها إلى ديانة وثنية شوهاء، تجمع عقائدها من شتى الديانات والفلسفات الوثنية .

وهذا ماتوصل إليه بعض اللاهوتيين والباحثين من النصارى حينما توصلوا إلى هذه النتيجة، حيث صرح بعضهم بأن المسيحية الظافرة في مجلس نقية مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى .

فيرى بعض المؤرخين واللاهوتيين النصارى أنه (من الضروري أن نستلفت نظر القاري إلى الفروق العميقة بين مسيحية نيقيا التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصري.. فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصري تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذي ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانيين وهي لم تكن كهنوتية ولم يكن لها معبد مقدس.. وكان قربانها قلبا كسيرا خاشعا وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة الوعاظ وكان رأس ماليها من عمل هو الموعظة بيد أن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين وإن احتفظت بتعاليم يسوع في الأناجيل كنواة لها كانت في صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل منذ ألاف السنين..)[١]

ويقول احد العلماء اللاهوت المعاصرين[٢]: (فمسيحية الرسل مختلفة عن مسيحية السكولاستيين وهم الذين مزجوا المسيحية بالفلسفة وحاولوا إخضاع الفلسفة للمسيحية وحاولوا إيجاد صلة عقلية بين العقل وبين الدين المسيحي في العصور الوسطى وعصر النهضة في اوربا)[٣]

١ معالم تاريخ الانسانية، ولز. ص ٦٩٣,٧٢٠

٢ هو ر.ج. تسفي فيربلوكسي، وهو محاضر في علم مقارنة الاديان في الجامعة العبرية بالقدس.

٣ موسوعة الاديان الحية، اديان النبوات، الاديان السماوية، ر.س.زينر، ص ٤٠

رابعا: اضطهادهم على أيدي اليهود والرومان:

لمعرفة اضطهاد النصارى أهمية بالغة في معرفة سبب مهم من الأسباب التي أسهمت في انحراف الديانة برمتها بعد عصر المسيح، والتي أدت إلى نشأة كثير من الأفكار المنحرفة التي كانت الأساس الذي بني عليه قانون الإيمان المسيحي.

فقد حل بالنصارى بعد المسيح عليه السلام بلايا وكوارث عظام، جعلتهم يستخفون بعقيدتهم، ويفرون بها أحيانا، ويصمدون أمام المضطهدين أحيانا أخرى، مستشهدين في سبيل الحفاظ على عقيدتهم، وفي كل تلك الحالات لا شوكة لهم، ولا حيلة، ولا قوة تحميهم، أو تحمي ديانتهم وكتبهم، التي يذكرون أنها كتبت خلال تلك الاضطهادات [1].

فالاضطهاد على المسيحية نشأ منذ عصر المسيح الذي جاء مصدقا للتوراة ومخففا عليهم ومقوما لليهود عندما انحرفوا عن تعاليمها فقد ذاق المسيح وأتباعه من الاضطهاد والنكال على أيدي اليهود في عصره[2] ثم تلاميذه من بعده، وكذلك ما ذاقه النصارى بعد ذلك من الاضطهاد من قبل الرومان الوثنيين الذين أوقعوا كثيرا من النكبات عليهم.

لذا فإنني سوف أتناول الاضطهاد بعد عصر المسيح في كلتا المرحلتين:

المرحلة الأولى: الاضطهاد على أيدي اليهود:

سبق القول بأن اليهود قد ناصبوا المسيح عليه السلام العداء منذ ظهور دعوته، وسعوا إلى الفتك به وقتله، وسبب ذلك، هو أنهم صاروا قومًا ماديين، لا يهمهم من أمر الحياة إلا الغنى والملك ، فلما رأوا أن المسيح ليس هو الملك الذي يطلبونه كذبوه [3].

وفي المقابل، نجد أن المسيح يوبخ اليهود ويتوعدهم على قسوة قلوبهم، وعدم إيمانهم به، كما في إنجيل متى"يا أورشليم يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم

(١) الدليل الصحيح في تاثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٨٧

٢ تقدم الكلام عن اضطهاد المسيح عليه السلام قي المبحث السابق، وهو المسيح عليه السلام ودعوته، ص

٣ انظر: المبحث الثاني من الفصل الأول من الباب الأول.

خرابًا" يعني الهيكل "ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم أنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض" (١).

وقد وصفهم المسيح عليه السلام كذلك – كما تذكر الأناجيل - بعدة أوصاف مقيتة، تدل على مدى عداوتهم للمسيح، ومن ذلك، أنه وصفهم عندما طلبوا منه آية على سبيل التعنت بأنهم "جيل شرير فاسق" (٢) وكذلك وصفهم "بالقادة العميان" (٣) و"بالمرائين"(٤) وبأنهم "الحيات أولاد الأفاعي" (٥).

وقد استمرت عداوتهم لأتباعه وتلاميذه من بعده ولاقى أتباعه أنواع الاضطهادات على أيدي اليهود[٦].

ويختصر بولس كراهية اليهود للمسيحين، وذلك فيما ينقله عنه تلميذه لوقا في سفر أعمال الرسل بقوله: (اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس قد ادركهم الغضب إلى النهاية)[٧]

ويقول يوسابيوس القيصري – أقدم مؤرخ كنسي - :(إن اليهود بعد صعود مخلصنا لم يكتفوا بجريمتهم ضده بل دبروا الكثير من المؤامرات ضد رسله على قدر استطاعتهم)[٨]

وأول تلك الاضطهادات على تلاميذ المسيح بعد عصر المسيح، كما يذكر سفر أعمال الرسل، هو ما حصل لبطرس ويوحنا عندما صعدا إلى الهيكل، فأخذا يعضان اليهود ويذكرانهم ببشارة موسى التي قال فيها (سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون ي

---

(١) متى ٢/٢٤.

(٢) متى ٣٩/١٢.

(٣) متى ١٦/٣٢.

(٤) متى ٢٧/٢٣.

(٥) متى ٣٣/٢٣.

٦ انظر: علوم اليونان، لاسي اوليري، ص٥٤

٧ أعمال الرسل ٩/١٤-١٨

٨ تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ١٠٠

كل ما يكلمكم به..وبينما هم يخاطبان الشعب أقبل عليهم اليهود متضجرين من كلامهما فأمسكوا الرسل وألقوهم في السجن العام) [(١)].

لقد حصل تطور خطير من قبل اليهود في اضطهادهم لأتباع المسيح، وهو القتل وذلك بعد إقامة التهمة بالتجديف على من قرروا قتله من أتباع المسيح، ولكن التطور الملحوظ هنا هو أنه لم يعد اليهود يستشيرون الرومان في قتل أحد[٢]، بل هم يقررون ذلك، بمجرد إقامة الدعوى على المتهم، ولعل ذلك لملاحظة اليهود بأن الرومان قد أعطوهم الموافقة، وإن كانت تلك الموافقة هو السكوت عن جرائمهم ضد أتباع المسيح.

فيذكر سفر أعمال الرسل أن التلاميذ انتخبوا من بينهم سبعة للقيام بمهمة متابعة الصدقات اليومية التي تجري على أرامل اليهود اللاتي يتكلمن باليونانية، واللاتي كن يتكلمن بالعبرية، وكان من بين أولئك السبعة "استفانوس" الذي كان يخطب بين اليهود، ويوبخ اليهود، وكان من بين ما قاله لهم: (ياقساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائما تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبئوا بمجيء البار..)[٣] وكان مصيره في نهاية الأمر هو أنهم (هجموا عليه بنفس واحدة وأخرجوه خارج المدينة ورجموه والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له شاول)[٤]

وأثناء تلك الاضطهادات التي حدثت الكنيسة في أورشليم تشتت أتباع المسيح الجميع في كور اليهودية[٥] وقتل في تلك الاضطهادات يعقوب أخا يوحنا بحد السيف[(٦)] وسجن بطرس[٧].

---

(١) أعمال الرسل ٤/١٥-٢٦ و٥/٧

٢ يقول شارل جنيبير: ويبدوا أن الرومان استشعروا انفصال المسيحيين عن اليهود بعد أن كانوا يعدون المسيحيين فرقة من فرق اليهود، انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٦٩

٣ أعمال الرسل ٧/٥١-٥٣

٤ أعمال الرسل ٧/٥٩

٥ أعمال الرسل ٨/١

(٦) أعمال الرسل ١٢/٢.

٧ انظر: أعمال الرسل ١٢/٣

ويذكر مؤرخ الكنيسة يوسابيوس قصة قتل بطرس، حيث إن اليهود اقتادوه وطلبوا منه أن ينكر الإيمان بالمسيح أمام كل الشعب، فازداد جرأة وتكلم بالإيمان بالمسيح، فطرح من فوق جناح الهيكل وضرب بعصا حتى مات [1]

وهكذا نرى الاضطهاد اليهودي للنصارى وصل إلى الذروة، حينما بلغ الهجوم على بيوتهم والسطو عليهم، وتسليمهم إلى السجون والمعتقلات، بل وقتلهم أيضا.

لقد وجدت السلطات اليهودية الشجاعة الكافية لاضطهاد المسيحيين علنا، وكان الشخص الذي تزعم هذه الحملة المروعة هو شاول الطرسوسي[2]، وشاول هذا هو (بولس قبل دخوله المسيحية فقد نشر الاضطهاد في أورشليم والبلاد التي حولها ووصل إلى دمشق)[3]

ففي سنة ١٠٧م أثار اليهود الشغب على المسيحيين في مدن فلسطين ووشى بعضهم بسمعان أسقف أورشليم الثاني بعد يعقوب وقالوا إنه مسيحي من سلالة داود فأمر حاكم فلسطين بتعذيب سمعان وصلبه، وسيق أغناطيوس مصفدا بالأغلال إلى رومة وطرح أمام الوحوش الضارية[4]

ويبدوا والله اعلم أن تلك الاضطهادات أوجدت نوعا من ردة فعل مضادة لدى المسيحيين، حيث كان اليهود يهدفون من وراء تلك الاضطهادات إلى حلحلة إيمان النصارى بالمسيح، بل بالكفر به، مما جعل النصارى يضطرون إلى التعلق بالمسيح تعلقا داخله الغلو والجهل، وأسهم في ذلك، تخفي النصارى وعدم نشر التعليم الصحيح فيما يجب الإيمان به، تجاه المسيح، وخصوصا، بين عوامهم، أو المؤمنين الجدد، نتيجة تلك الاضطهادات -والله اعلم- ويعلل بعض الباحثين من النصارى سبب الاضطهاد الذي مني به النصارى على أيدي اليهود هو أ ن النصارى بشروا بألوهية المسيح بين اليهود (الذين كانوا يؤمنون بوجود الإله

١ تاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص ٨٥

٢ تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ص ٥٥ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،اسعد رستم، ١/ ١١

٣ المدخل إلى العهد الجديد، د/فهيم عزيز، ص ٩

٤ Eusebius,Hist. Ecc.٤L٣٢ نقلا عن آباء الكنيسة، مؤرخ الكرسي الانطاكي، أسعد رستم، رستم، ص ٢٤ تاريخ المسيحية في عصر الرسل، للنبا يوأنس ص ٦٩-٧٢

السامي العظيم الذي ترتعب وتهتز الجبال من حضوره ولا يوجد إله غيره في السماء ولا على الأرض فعدما بدأت الكنيسة الأولى إعلان ألوهية يسوع المسيح اعتبرت اليهودية هذا الأمر تجديفا عظيما على يهوه لأنه لا يوجد إله آخر غيره وذلك لأن هؤلاء اليهود ضنوا بأن الكنيسة الأولى جعلت من يسوع الناصري إلها معادلا ليهوه ولم يفهموا أن الكنيسة الأولى وخاصة الرسل لم يحاولوا أن يرفعوا الإنسان يسوع المسيح إلى درجة الألوهية بل إنهم نادوا أن يهوه نفسه الله بعظمته وسموه قد ظهر في الجسد)[1]

وهذا التعليل غير صحيح إذ أن عقيدة ظهور الله في الجسد لم يصرح بها المسيح، وإنما الذي صرح بها بولس بعد ذلك[2] أما المسيح فقد كانت دعوته إل التوحيد كما نصت عل ذلك بعض نصوص الأناجيل[3]، ولا يصح هذا العليل إلا إذا قصرنا اضطهاد اليهود للقائلين بألوهية المسيح من البولسيين والغنوصيين وغيرهم [4]، ولكن هذا لم يحصل أيضا، فقد كان اضطهاد اليهود لكل من آمن بنبوة بالمسيح، بدأً من حواريي المسيح وانتهاء بالداخلين الجدد في المسيحية.

واستمر الحال كذلك، إلى أن جاءت المرحلة الثانية من الاضطهادات، وهي لا تقل عن المرحلة الأولى، إن لم تكن أدهى وأمر، وهي:

المرحلة الثانية: الاضطهاد على أيدي الرومان:

إن نشأة المسيحية في أجواء بيزنطية رومانية عريقة في تقاليدها الوثنية، عرضت المؤمنين الأوائل بالنصرانية إلى حملات اضطهاد مروعة طيلة القرون الثلاثة الأول من تاريخها، فمرت على النصارى مراحل عصيبة ذاقوا خلالها أنواع الخوف والهلع وذلك من قبل الرومان

---

١ تاريخ الفكر المسيحي ٤١١/١

٢ انضر ص من هذا البحث

٣ انضر ص من هذا البحث

٤ سيأتي تعريف هذه الفرق بعد قليل.

الوثنيين، بعد أن أدركت الإمبراطورية الرومانية أنها أمام فرقة ليست كاليهودية، متقوقعة على نفسها، وإنما أمام فرقة جديدة لها طموح التوسع والانتشار[1].

ولقد ظهرت أعنف أنواع العداوة للكنائس المسيحية لدى أحكم الأباطرة الرومان وأكثرهم إخلاصا لواجبات منصبهم، أي حسب التعبير الحديث – أكثرهم وطنية – فنجد بعض الأباطرة من أمثال ديس وفاليريان وجالير وديوكليسيان، يعقدون النية الصريحة على القضاء قضاء مبرما على الكنيسة، وكل أثر للدين الجديد، فيحملون الناس على الارتداد عنه مستخدمين التعذيب أو التهديد به، ولم يتورعوا في سبيل تحقيق أهدافهم عن أقسى وسائل العنف،بل وعن القتل في كثير من الأحيان [(٢)].

مما أسهم في محاولة بعض النصارى التقريب بين المسيحية وبين ديانة الأباطرة بقصد التزلف إلى أولئك الأباطرة، أو على وجه التأثر بديانتهم، بسبب الجهل الذي عم وطم بين أتباع النصرانية، الذي كان هو نتيجة الاضطهادات العنيفة المتلاحقة، مما أسهمإسهاما لا ينكر في تكوين العقائد التي أقرها قانون الإيمان المسيحي.

وقد كان الرومان في بداية الأمر لا يعتبرون النصارى إلا امتداد للديانة اليهودية[(٣)]، فقد اعتبروها مذهبا أو شيعة من الشيع اليهودية[٤] كما يدل على ذلك سفر أعمال الرسل في

---

١ موجز تاريخ المسيحية للأنبا ديوسقورس ص ١٤١ وتاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، إشراف موريس كروزيه ٥٦٠/٢ وأوربا العصور الوسطى الجزء الأول (التاريخ السياسي) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور ص ٥٣

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جينير ص ١٦٩.

(٣) انظر:المسيحية، جون لوريمر،٥٤/١ وتاريخ الحضارات العام، كروزيه ٤٢٠/٢ وانطاكية كنيسة مدينة الله العظمى، أسعد رستم، ص٣٣/١

٤ تاريخ الفكر المسيحي ٤١٤/١ و Haray: studiesin roman history, vol, i.p. ٢ نقلا عن أوربا العصور الوسطى ص ٥٨

صدد حديثه عن غاليلو والي اخائية[1] أنه رفض التدخل ليحكم بين اليهود والنصارى لأن الأمر عنده لم يكن يتعدى كلمة "وأسماء وناموسكم"[2] ولكن اليهود أبوا أن يتمتع النصارى بامتيازاتهم الخاصة فأبانوا الفروق بينهم وبين أتباع المسيح فتفتحت أعين السلطان وبدا الارتياب والظن[3].

ومرحلة الاضطهادات العنيفة وإن كانت لم تستثن حتى اليهود في أغلبها لكن النصارى كان لهم نصيب الأسد من تلك الاضطهادات كما كان في عهد الإمبراطور سبتيموس سفيروس ١٩٤-٢١١م الذي أوقع الاضطهاد على اليهود والنصارى جميعا لأنهم رفضوا الذبائح لتماثيل الإمبراطور فتعرضوا للحرق والضرب وقطع الرقاب[4] فقد كان يكفي لإيقاع العقوبة عليهم مجرد اتهامهم بأنهم (تغافلوا عن الإكرام الواجب للقيصر لأنه بينما أقام كل رعايا روما مذابح وهياكل إلى كايوس وعاملوه في كل النواحي الأخرى معاملة الآلهة فإنهم وحدهم اعتبروه أمرا مشينا أن يكرموه بإقامة التماثيل ويحلفوا باسمه)[5]

وقد كانت الإمبراطورية الرومانية قبل ذلك تتميز بالتسامح الديني وتكفل حماية أي توجه ديني لكل ديانة وفرقة[6] فالحكومة الرومانية لم تكن تلقي بالا لما قد يعتنقه المواطن من مبادئ[7]

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أسهمت بشكل كبير في اضطهاد الرومان للنصارى:

١ – انتشار النصرانية في كثير من أرجاء الإمبراطورية:

---

١ وهي إقليم من بلاد اليونان ثم أصبحت ولاية رومانية وعاصمتها كورنثوس. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣١

٢ أعمال الرسل ١٥/١٨

٣ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، أسعد رستم، ص٣٣/١

٤ تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، ٣٠/٢ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، أسعد رستم ص٦٧/١

٥ تاريخ الكنيسة، يوسابيوس. ص ٥٨

٦الجزء الثاني من تاريخ سورية – المجلد الثالث المطران يوسف الياس، ص ٣٦٦

٧ الامبراطورية الرومانية، تشارلز وورث ص ١٧٤

وذلك أن الاضطهادات التي ذاقها النصارى على أيدي اليهود أسهمت في تشتت المسيحيين إلى مناطق عديدة وتفرقهم (فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة)[1]

وذلك بعد أن ظلّت المسيحية في أول أمرها محصورة في القدس، وبقيت طاقات الرسل متجمعة في المدينة المقدسة، غير أن الاضطهادات التي أثيرت من اليهود ..كان الحافز الذي جعل أن تتخطّى الكنيسة حدود القدس[2]

ووصلوا إلى عدة مدن، فمنهم من ذهب إلى السامرة[3] ودمشق [4] وفي لدة[5] وفي يافا[6] وقيصرية[7] وأنطاكية[8] وإيقونية [9] وقبرس[10].

ثم إن شاول الذي أظهر النصرانية حدث أن ذهب إلى مدن كثيرة تقع في قلب الإمبراطوية مثل ترواس وساموثراكي ونيابوليس وفيلبي[11] وأمفيبوليس وأبولونية[12] وأريوس باغوس[13] وأثينا[14].

ويذكر مؤرخ الكنيسة يوسابيوس الأرجاء المترامية التي بشر فيها تلاميذ المسيح فيقول: (تشتت تلاميذ مخلصنا ورسله القديسون في كل أرجاء العالم، بارثيا لتوما، كحقل يعمل فيه،

---

١ أعمال الرسل ٤/٨

٢ انظر : كنيستي السريانية، المطران اسحاق ساكا، ص ١٧

٣ أعمال الرسل ٥/٨

٤ أعمال الرسل ١٠/٩

٥ أعمال الرسل ٣٣/٩

٦ أعمال الرسل ٣٦/٩/٨

٧ أعمال الرسل ٢٤/١٠

٨ أعمال الرسل ٢٢/١١

٩ أعمال الرسل ١/١٤

١٠ أعمال الرسل ٣٩/١٥

١١ أعمال الرسل ١١/١٦-١٣

١٢ أعمال الرسل ١/١٧

١٣ أعمال الرسل ٢٢/١٧

١٤ أعمال الرسل ١/١٨

كما يقول التقليد، وسيكيثيا لأندراوس، وآسيا ليوحنا، الذي بعد أن عاش فيها وقتا ما، مات في أفسس ويبدوا أن بطرس كرز في بنطس وغلاطية وبيثينية وكبدوكية وآسيا لليهود الذين في الشتات، وإذا أتى أخيرا إلى روما صلب منكس الرأس لأنه طلب أن يتألم بهذه الطريقة، وماذا تقول عن بولس الذي بشر بإنجيل المسيح من أورشليم إلى الليريكون)[1]

يقول تاسيتوس إنه لم تأت سنة ٦٠ للميلاد إلا وكانت رومية مليئة بالمسيحيين حتى إنه لما أثار نيرون الدموي اضطهاده استطاع بسهولة أن يقبض على كثيرين منهم.

ويذكر الوالي من قبل الرومان سنة ٧٠ للميلاد الذي كان واليا على بنطس وبيثينية في رسالة له أن المسيحية قد انتشرت في هاتين الولايتين مع أنهما بعديتين جدا عن أورشليم وأن كثيرين من كل عمر ودرجة ذكورا وإناثا يساقون من وقت لآخر إلى محافل القضاء حيث يشتكى عليهم من جهة عقيدتهم[2]

وهكذا، أخذت المسيحية تنتشر انتشارا حثيثا، بحيث لم يكد ينتهي القرن الأول، إلا بعد أن كانت كل ولاية رومانية من ولايات الإمبراطورية تضم بين جوانبها جالية مسيحية، الأمر الذي عرضهم لنقمة الأباطرة[3]

٢ – اعتقاد النصارى بقرب اليوم الآخر وزوال الإمبراطورية:

ومن أسباب اضطهاد النصارى على يد الرومان، هو اعتقاد النصارى بقرب زوال العالم، وذلك عندما كانوا يصرحون باقتراب ملكوت الله، وبقرب مجيء المسيح، وآمنوا بأن نهاية

---

١ تأريخ الكنيسة ص ٩٥ و الإمبراطورية الرومانية، تشارلز وورث ص ١٧٦ وانظر المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٦٣

٢ الدليل الصحيح في تأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٨٩. ٦٩وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ١/١١٨ وبيزنطه بين الفكر والدين والسياسة، رأفت عبدالحميد، ص ١٥

٣Painter: op. cit,p.١١ نقلا عن أوربا العصور الوسطى ص ٥٧ والدليل الصحيح في تأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٩٤.

العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة، فقل اهتمامهم بالواجبات الدنيوية، فأثر ذلك سلبا في المصالح السياسية، في نظر الحكومة الإمبراطورية[1]

فكان النصارى يبدون أمام الرومان في ذلك الزمان، وكأنهم يبغضون الجنس البشري، إذ كانوا يتطلعون إلى عودة المسيح من فورهم، ليقضي على الناس جميعا [2].

يقول المؤرخ باروسلاف تشرني[3]:(حيث كانت الفكرة الثابتة بقرب القدوم الموعود لملكوت الله تحتل عقول المسيحيين الاوائل)[4]

ولذلك اعتبرت السلطات الرومانية النصارى مواطنين يملؤهم الشر وعنصرا خطرا في المجتمع، لا بد من خضوعه للدولة[5]

٣ – شعور الرومان بأن هذا الدين الجديد ينقض أسس الحضارة الرومانية:

وذلك أن النصارى تميزوا بالنفرة التامة من الامبرطوربة الرومانية، واعتبارها العدو الأول لهم، وذلك بسبب العقائد الدينية التي يرون من خلالها أن الرومان وحضارتهم وعقائدهم من أبطل الباطل، وأن أتباعها وثنيون، "وتنبئوا جهارا بسقوط الإمبراطورية"[6].

ولذا رأت الإمبراطورة أن المسيحية هي صورة ثورة اجتماعية خطيرة تنادي بمبادئ من شأنها تقويض الدعائم التي قام عليها المجتمع الروماني[7]

---

١ المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص ١٦٦

٢ الرومان، بارو، ص ١٨٦

٣ هو مؤرخ وباحث بريطاني متخصص في الدراسات الشرقية وبخاصة في الدينات المصرية القديمة، كتب كتابه عام ١٩٥١م. انظر: مقدمة كتابه ص ب.

٤ الديانة المصرية القديمة، ص ٢٠٤ والمسيحيون الأوائل، ابرهارد انولد، ص ١٥

٥ رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٢٥

٦ العصور القديمة، بريستد، ص ١٨٦

٧ Hoedy op, cit.vol,I,p,٣٤ نقلا عن اوربا العصور الوسطى ص ٥٩ وبيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٦

وأعقب ذلك، امتناع النصارى عن أداء الخدمة العسكرية، وعن شغل الوظائف، واعتبرت السلطات الرومانية هذا، بأنه هروب من الواجبات المدنية، وضعف للروح القومي والإرداة القومية[1] مع عدم تقديس الامبراطور وتأليهه وتقديم القرابين لتمثاله [2]

ويشهد على ذلك اوريجانوس[3] احد آباء الكنيسة في تلك العهود حيث يقول:(إن صار الجميع مثلكم [مسيحيين] سوف تهجر الحكومة القومية سريعا، وستصير بلا عون، وستتسرب شؤونها من بين أصابعها، لتسقط في يد هؤلاء التعساء من المتوحشين، غير اليونانيين، ويحرضنا سيلوس[احد فلاسفة الوثنيين] مرة أخرى أن نساعد الامبراطور وأن نكون جنودا له وعلى هذا نرد: يمكنك أن تطلب من المسيحيين الاشتراك في الخدمة العسكرية إن استطعت أن تطلب ذلك من الكهنة بسهولة، نحن لانصير جنودا للإمبراطور حتى إن طلب هو ذلك)[4]

٤ – الأفكار المغلوطة لدى الرومان عن عقائد النصارى:

تنوعت الأساطير التي تسامع بها الرومان عن المسيحيين والذي يعد ارتكاب أقلها جريمة من الجرائم التي يعاقب عليها القانون الروماني (فانتشرت الإشاعات بأن هذه الديانة ضد الإمبراطور لأنها لا تتعبد له، ثم انتشرت إشاعات أخرى،تقول بأن جماعة المسيحيين يقدمون

١ قصة الحضارة ٣٧٢/٣ وموسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص ٥٧

٢ تاريخ المسيحية. حبيب سعيد، ص ٥٣ اضمحلال الإمبراطورية الرومانية،ادوارد جيبون ٢٩٢/١ وتاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها إشراف كروزيه،٤٢٢/٢

٣ هو من أشهر علماء الكنيسة في قرونها الثلاثة الأولى، عاش مابين سنة ١٨٥ م إلى سنة ٢٣٥م تقريبا، كتب كثيرا في مباديء الفلسفة واراد تطبيقها على المسيحية، انظر: اباء الكنيسة، أسعد رستم، ص ١١٧ و تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٣٩٣

٤ المسيحيون الاوائل، ابرهارد ارنولد، ص ١٢١ وانظر: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، ص ١٦

في عبادتهم أطفالا كمحرقة لإلههم.. أما التهمة العظمة التي وجهت للمسيحيين، فهي أنهم يتعبدون لإله يدعى يسوع أي أنهم يخضعون لسلطة أخرى غير الإمبراطور الروماني)[1]

بالإضافة إلى ذلك، هو ما تميز به المسيحيون الأوائل من طابع العزلة والانطواء الذي كان يبدونه تجاه مخالفيهم، وما جرى عليه المسيحيون من جمع الأموال لمعونة المرضى والمعوزين كل ذلك أثار الريبة في النفوس، وجر إلى نسج قصص تجزم بالأعمال البشعة التي يمارسها هؤلاء،وباختلاطهم، وشذوذهم الجنسي، وبأكلهم للحوم البشر، وبتقديمهم الضحايا البشرية[2]

وهذه الأفكار المغلوطة، هي في الواقع، نتيجة عداء الرومان الشديد للثقافة المسيحية برمتها، وبخاصة المعتقدات الدينية والثقافية [3].

ولهذا فانه سرعان ما انتشرت المسيحية بين صفوف الرومان فور معرفة حقيقتها وكنهها، فانقلب السحر على الساحر –كما يقال – بل وصل الأمر في كثير من الأحيان أن تحركت نفوس الجنود القائمين على تنفيذ حكم الإعدام ودفعتهم إلى الاستفسار عن هذه العقيدة ثم إلى اعتناقهم إياها[4]وأصبحت روح الشجاعة والصبر الذي يظهرها شهداء المسيحية موضع إعجاب للكثيرين مما أسهم في إقبال عدد كبير للدخول في المسيحية[5]

٥ – امتناع المسيحيين عن تقديم العبادات الرومانية:

امتنع النصارى عن تقديم أداء العبادات الرومانية، التي تعد في نضر المسيحيين عبادات باطلة كفرية، وأن معتنقيها واقعون تحت خطيئة الشرك والوثنية، وكانت عبادة الإمبراطور من

---

١ تاريخ الفكر المسيحي ٤١٤/١ و تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢١٤

٢ الإمبراطورية الرومانية، تشارلز وورث ص ١٧٦و Rostovtzeff op cit. vol. ٢.p.٣٤٠.lot.op.cit.p.٢٣نقلا عن أوربا العصور الوسطى ص ٦٠

٣ المسيحيون الأوائلوالإمبراطورية الرومانية ص ٢٣٥

٤ الإمبراطورية الرومانية، تشرلز ورث، ص ١٧٨

٥ أوربا العصور الوسطى، ص ٦٠

أشهر العبادات التي كان يعتنقها الرومان، بل هي العبادة التي تبين مقدار ولاء المواطنين الرومان للدولة والحكومة والإمبراطور الروماني، وهذه العبادة للإمبراطور كانت موضع اشمئزاز كبير، بل موضع نفي تام، لا يقبل النقاش في نضر المسيحيين، فامتنعوا عن تقديم هذه العيادة.

يقول الأسقف و. ر.إنج[١]: (...إن عبادة روما اغسطس التي قامت في كل مكان تقريبا وخاصة في آسيا حيث كان المسيحيون أقوى منهم في أي مكان آخر سهلت تهمة إثبات عدم الولاء بالنسبة للمسيحيين وذلك بأن يطلب إليهم تقديم فروض العبادة للإمبراطور أو روحه الحارسة وكانت هذه في الواقع هي الطريقة التي اعدم بها أكثر الشهداء)[٢]

فالنصارى –كما يقول مؤرخ الكنيسة الأنطاكية اسعد رستم – لم يقدسوا ما قدسته الدولة ولم يفتروا عن مصارحة الأوساط الرسمية وغير الرسمية بأن لا إله إلا الله [٣].

فاخترع الاباطرة الرومان طريقة يتميز بها الموالي والمعادي – في نظرهم –، وهي الأمر العام لكل مواطني الامبراطورية بنقديم الذبائح المقدسة لآلهة الرومان، يعبرون فيها عن ولائهم بالاشتراك في هذه الذبائح واستخراج "شهادة التضحية " فسارع كل من أراد نفي الشبهة عنه لذلك الأمر عدا المسيحيين الذين كان بعضهم يتميز بالثراء، فصب الإمبراطور جام غضبه عليهم[٤]

ولهذا اصدر الإمبراطور دسيوس (٢٤٩-٢٥١) – لما شعر بالتهديد من قبل المسيحيين – مرسوما في سنة ٢٥٠م يلزم كل مواطن أن يحصل على شهادة من الحاكم المحلي تدلي بأنه أدى الطقوس الوثنية للآلهة الرومانية وكان العذاب الضاري لمن تخلف عن ذلك[٥]

---

١ و. ر. انج رئيس كاتدرائية القديس بول بلندن ومؤلف كتاب فلسفة أفلوطين وغيره

٢ تاريخ العالم، نشر: السير جون.ا.هامرتن، المجلد الرابع ص ١٨٠

٣ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٦٩

٤ الإمبراطورية الرومانية، تشارلز ورث، ص ١٩٠

٥ موسوعة آباءالكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص ٥٧

٦– اتهام النصارى بإحراق مدينة روما:

وهذه هي الحادثة التي راح ضحيتها كثير من النفوس والممتلكات[١] على الرغم من كثير من الدلائل التي تنفي عن المسيحيين هذه التهمة إلاأن المواطن الروماني العادي كان يشعر أن المسيحيين حتى وان كانوا أبرياء من جريمة الحرق العمد إلاأنهم ينتظمون في جماعة تحوم حولها الشبهات على نحو أوآخر[٢].

ويرجح كثير من المؤرخين أن تلك التهمة على المسيحين كانت زورا، بل يرجحون أنه هو الذي افتعل ذلك الحريق، للإيقاع بالمسيحيين، يقول تاسيتوس[٣] – أقدم مؤرخ روماني كتب عن الاضطهاد -: (ولم يصدر الحكم عليهم بناء على أدلة واضحة تثبت أنهم هم الذين أشعلوا النار في المدينة بل أدينوا لأنهم يكرهون الجنس البشري كله)[٤]

٧ – أهم الاضطهادات الرومانية على النصارى:

لقد بات الاعتراف باعتناق الديانة المسيحية قرابة ١٢٠ عاما جرما قد يفضي إلى الموت، ولكن المسيحيين حاولوا بشتى الطرق، توضيح العقيدة، وإثبات أن تمسكهم بالديانة المسيحية لا يعني خروجهم عن طاعة الامبرطورية، يقول أحدهم: (إن المسيحيين يعيشون على الأرض أما مملكتهم في السماء إنهم يحترمون القوانين الموضوعة بل يتجاوزون في حياتهم عدالة هذه القوانين)[٥]ولكن ذلك الدفاع عن عقيدتهم ومنهجها لم يضف سوى مزيد من الاضطهاد والتنكيل بهم.

ومن أهم الاضطهادات التي مرت على النصارى خلال قرونهم الأولى على يد الرومان كما يلي:

القرن الأول: في عهد الامبراطورين "نيرون " ٥٤–٦٨م و" دميتانوس" ٨١–٩٦م

---

١ تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٤٢/٢

٢ الإمبراطورية الرومانية، تشارلز وورث ص ١٧٥

٣ كما يذكر ذلك ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة، انظر: المرجع التالي.

٤ قصة الحضارة ١٣٧/١٠

٥ الإمبراطورية الرومانية، تشارلز وورث ص ١٧٨والمسيحيون الأوائلوالإمبراطورية الرومانية ص ١١٦

القرن الثاني: في عهد الاباطرة تراجان ٩٨-١١٧م وهادريان ١١٧- ١٣٨م وماركوس اوريليوس ١٦١-١٨٠م وسبتميوس سافيروس ١٩٤-٢١١م

القرن الثالث: في عهد الابطرة مكسيمينوس ٢٣٥-٢٣٨م وديسيوس ٢٤٩-٢٥١م وفاليريان ٢٥٣-٢٦٠م ودقلديانوس ٢٨٤-٣٠٥م [١]

ولعل من المناسب عرض بعض تلك الاضطهادات بشيء من التفصيل، ليتصور هول تلك الاضطهادات التي مرت على النصارى خلال قرونهم الأولى.

فمنها ما يلي:

أ – اضطهاد نيرون:

ولد نيرون عام ٢٩ حين تزوج أبوه أكتيوس دوميتيوس في عام ٢٨ بأجربينا الثانية، وقد أطلقا على ابنهما الوحيد اسم لوسيوس، وأضافا إليه لقب نيرون، ومعناه القوي الشجاع[٢]

تولى مقاليد الإمبراطورية وعمره ١٦ عشر عاما، ونشأ في بيئة فلسفية، فنشأ مبغضا للأديان، يقول ول ديورانت:(إن القدر الضئيل الذي ناله من الفلسفة حرر عقله من قيود الدين دون أن ينضج حكمته وكان يزدري جميع أنواع العبادات)[٣]

وفي عام ٦٤م من حكمه أصيبت روما بحريق التهم ثلثي المدينة، واتهم المسيحيون بافتعال هذا الحريق، وأذيقوا ألوان العذاب والتنكيل جراء تلك التهمة، يحدثنا يوسابيوس القيصري عن هذا الاضطهاد فيقول: (ولما ثبت عهد نيرون بدأ سلسلة إجراءات قاسية) ويذكر أنه (أول إمبراطور أعلن العداء للديانة الإلهية) ثم ذكر شدة هذا الرجل وجنونه في القتل والتنكيل بأعدائه، بل وحتى أقربائه بل يذكر انه قتل أمه، وأمر مربيه الفيلسوف سينيكا أن ينتحر فانتحر[٤] (وكيف أباد ربوات كثيرة من الأنفس بلا سبب، وارتكب جرائم كثيرة لدرجة

---

١ انظر: موجز تاريخ المسيحية للأنبا ديوسقورس ص ١٤١-١٥٠ وتاريخ الكنيسة، جون لويمر ١١٧/٢

٢ قصة الحضارة ١٢٥/١٠

٣ قصة الحضارة١٢٨/١٠

٤ المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٩

أنه لم يشفق حتى على أقرب أقربائه وأعز أصدقائه، بل قتل أمه وإخوته وزوجته مع آخرين كثيرين جدا من عائلته، كما اقتل أعداءه الخفيين والظاهرين بميتات مختلفة، وعلاوة على كل هذه الجرائم فقد كان أول إمبراطور أعلن العداء للديانة الإلهية) [(١)].

وقد تفنن هذا الإمبراطور في تعذيب النصارى بشتى أنواع العذاب، فتارة يدخل أحدهم في جلد حيوان ثم يرميه طعاما للوحوش المفترسة، وتارة يلبسهم جلابيب مطلية بالقار ثم يوقدون كمشاعل يستضاء بها نيرون وحاشيته، وكان يمتع نفسه بمنظر الوحوش عندما تفترس أطفالهم [(٢)].

ويذكر يوسابيوس[٣] بعض الأهوال والشدائد في ذلك الاضطهاد فقد مرت مجاعة قل أن يكون لها نظير، حيث يذكر أ ن المجاعة عمت أرجاء اليهودية، حتى إن اليهود كانوا يخفون الطعام عن جند الرومان، لئلا يؤخذ من أيديهم (واشتدت المجاعة فالتهمت بيوتا وعائلات وامتلأت الغرف بجثث النساء والأولاد وطرقات المدينة بجثث المشايخ) بل كانت تقوم الحروب الطاحنة داخل البيت الواحد وبين أعز الأصدقاء من أجل الحصول على أود الحياة مهما كان ضئيلا (وكانوا يجمعون أشياء لا تليق بأقذر البهائم ويلتهمونها ولم يتعففوا عن مناطقهم وأحذيتهم وكانوا يجردون دروعهم من جلودها ويلتهمونها)

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة يوسابيوس القيصري ص ٨٩.

(٢) انظر: تاريخ الأقباط لزكي شنودة ص ١٠٩/١ وتاريخ الكنيسة جون لوريمر ص٩٠ ودليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي ص ٥٨ وتاريخ العالم الغربي، جون، ل،ج، شيني ص ٨٤ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ٥٦/١ بيزنطة بين الدين والفكر والسياسة، رأفت عبدالحميد، ص ١١-٥٠

٣ هو من أكبر المؤرخين الكنسيين القدامى عاش مابين فترة ٢٦٤م إلى ٣٤٠م، تقريبا، من أشهر مؤلفاته كتاب تاريخ الكنيسة، انظر: مقدمة المترجم لكتاب تاريخ الكنيسة ص ٥ و تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٤٢٤

وقد كانت هناك امرأة ثرية تدعى مريم وأبوها اليعازر ضرب عليها الحصار مع من ضرب عليه في أورشليم وسلب كل ما معها من متاع، وكان ولدها يرضع من ثديها وتمتمت له بعبرات الأسى والحزن الذي ولد في خضم الحروب والاضطهادات وأنه لو بقي حيا لأصبح مستعبدا للرومان، فقتلته وطبخته وأكلت نصف وأودعت نصف الباقي وغطته وحفظته، وعندما جاء الرومان وسألوها عن الطعام أظهرت لهم بقية طفلها فأخذتهم الدهشة والفزع فقالت لهم: (الطفل طفلي وأنا الذي فعلت به هذا كلوا لأني أنا أيضا أكلت لا تكونوا أكثر شفقة من المرأة ولا أكثر نوا من الأم أما إن بلغت فيكم التقوى إلى الحد الذي فيه تحجمون عن ضحيتي فقد أكلت أنا منها)[١]

حتى إنه يذكر عن يوسيفوس أنه قال : (طوبى لمن ماتوا قبل أن يروا أو يسمعوا أمثال هذه الفواجع)[٢]

ب- اضطهاد تراجان:

ولد تراجان عام ٥٢م وأصبح قنصلا عام ٩١م، وقد تبناه الإمبراطور نيرفا عام ٩٧م، ثم اعتلى عرش الإمبراطورية عام ٩٨ م [٣]

وفي عام ١٠٦ م أصدر تراجان أوامره بأن تمنع أي اجتماعات سرية في أنحاء الإمبراطورية، وكان أول من خرم قواعد تلك الأوامر هم النصارى، وبهذا أصبحوا تحت طائلة الحساب، فسامهم ولاة الإمبراطور صنوف العذاب، واتخذت ساحة الملعب الروماني المسمى كلوسيوم مرتعا للوحوش الضارية التي تمزق أجساد المسيحيين[٤].

---

١ تاريخ الكنيسة ص ١٠٣-١٠٦

٢ تاريخ الكنيسة ص ١٠٦

٣ تاريخ أوربا العصور القديمة، فشر، ص ١٧٥ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٥٦٧/٢.

٤ لمزيد من الاطلاع: تاريخ الأقباط ١٠٢/١ وتاريخ الكنيسة يواسبيوس، ص ١١٧ واضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ادوارد جيبون ٣٠٤/١ وقصة الحضارة ٣٧٣/١١ ودليل إلى قراءة =

وقد كان تراجان يعتبر المسيحيين أنجاسا، لا يسمح لهم بدخول الحمامات العامة، وكان يأمر ولاتهم بمنع المسيحيين من صلاتهم، ويجعله ينزلون بهم أشد أنواع العذاب، وقد أمر تراجان بمنع الاجتماعات السرية للمسيحيين، لأنهم كانوا لا يدينون بدين قيصر[1].

ويصور ذلك الاضطهاد ماكتبه بيلين والي آسيا للإمبراطورية الرومانية في عهد تراجان حينما يوضح منهجه في معاملة المسيحيين وتعذيبهم فيقول: (.. إني أسألهم إن كانوا مسيحيين ؟ فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة، مهددا بالقتل فان أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم، مقتنعا بأن غلطهم الشديد وعنادهم الشنيع يستحقان هذه العقوبة)[2]

يقول المؤرخ الكنسي يوسابيوس في معرض حديثه عن هذا الاضطهاد: (وهكذا حل بنا وقتئذ اضطهاد عنيف في أماكن كثيرة) إلى أن كلم الوالي على اليهودية الإمبراطور تراجان بأنه لم يسمع شيئا مشينا من المسيحيين ضد الشرائع، فأصدر الإمبراطور أمره بأن لا يلاحق المسيحيين، بل يعاقبوا إن وجدوا، فخف الاضطهاد على النصارى، إلا أنه بقيت المؤامرات ضدهم كما يقول يوسابيوس: (على أنه كانت هناك حجج كثيرة لمن كانوا يريدون بنا الأذى ففي بعض الأحيان كان الشعب، وفي أحيان أخرى كان الحكام في أماكن مختلفة يتآمرون ضدنا)[3]

ج- اضطهاد دقلديانوس:

ولد هذا الإمبراطور عام ٢٤٥م واعتلى عرش الإمبراطورية ٢٨٤م وفي عام ٣٠٥م اعتزل الحكم ومات عام ٣١٦م [4].

=

تاريخ الكنيسة،الاب جان كمبي، ص ٥٩ والدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد، ٣٩/٢ وتاريخ الكنيسة،ديوسقورس، ص ١٤٣

١ انظر: الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ص ٣٥

٢ قصة الحضارة

٣ تاريخ الكنيسة ص ١٣٧

٤ انظر: قصة الحضارة٣/٣/ ٣٥٩ وتاريخ أوربا العصور الوسطى، فيشر ص ٢

ولم يكن اضطهاد هذا الإمبراطور للمسيحيين من أول سلطته، بل كان متسامحا مع المسيحيين إلى حد كبير[١]، قدر تلك الفترة بعض الباحثين بأنها قرابة العشرين عاما[٢].

وقد اختلف المؤرخون حول أسباب اضطهاد المسيحيين، بعد تأخره تلك المدة الطويلة، فمنهم من عزاه إلى هلعه من ازدياد نفوذ المسيحية بين رجال الجيش،فرأى أن هذا يعد تهديدا بالقضاء على ولاء الجند للإمبراطورية[٣].

ومنهم من عزاه إلى رغبته في الحفاظ على الوحدة السياسية والدينية في إمبراطوريته، حيث رأى المسيحيين منصرفين عن عبادة الإمبراطور[٤] مع ما كان يراه دقلديانوس من وجوب خضوع جميع الرعايا لسيادة الدولة المطلقة [٥].

ومنهم من يرد تأخره إلى نفاد تجاربه السلمية معهم، والتي لم تجد نفعا في انصياعهم لعبادة الرومان أو حتى إلى إرجاعهم للولاء للإمبراطورية[٦].

ومن المؤرخين من برأ ساحته من اضطهاد المسيحيين وعزا تدبير ذلك إلى نائبه جاليريوس الذي يغلي حقدا على المسيحيين[٧].

---

١ قصة الحضارة ٣٧٨/٢/٣ وموسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص ٥٩

٢ مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، د/مصطفى العبادي ص ٢٩٣ والنظم اليونانية والرومانية والإسلامية، محمد عبد الرحيم مصطفى ص ١٠٩

٣ ١٧٦و Rostovtzeff op cit. vol. ٢.p.٣٤٠.lot.op.cit.p.٢٤ نقلا عن أوربا العصور الوسطى ص ٦٠ وموسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص ٥٩

٤ رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص ٥٩وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٦٩

٥ ١٧٦و Rostovtzeff op cit. vol. ٢.p.٣٤٠.lot.op.cit.p.٣٥٠ نقلا عن أوربا العصور الوسطى ص ٦٠

٦ مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، د/مصطفى العبادي ص ٢٩٣

٧ تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ١٠/٢ –١١ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٦٩ ١٦٩

ومبدأ ذلك الاضطهاد كما يذكر ول ديورانت كان في يوم من أيام القربان المسيحية حيث رَسَمَ المسيحيون علامة الصليب ليتقوا شر الشياطين الخبيثة ؛ ولما أن عجز الكهنة والعرافين عن أن يجدوا في أكباد الحيوانات المذبوحة العلامات التي كانوا يرجون تفسيرها ألقوا الذنب على وجود أشخاص كفار نجسين ، فأمر دقلديانوس أن يقرّب جميع الحاضرين القرابين إلى الآلهة أو يجلدوا ، وأن يمتثل جميع جنود الجيش لهذا الأمر أو يُفصلوا من الخدمة[1]

وقد أمر دقلديانوس بمنع صلاة المسيحيين وبهدم كنائسهم وإحراق كتبهم المقدسة، وحملهم على إنكار دينهم، وحبس قساوستهم وأسقط حقوقهم المدنية، وأمر بإلقاء القبض على رؤسائهم في الملة، حتى امتلأت بهم السجون ومات أكثرهم جوعا أو ضربا بالسياط والحديد، وأحرق بعضهم بالنار، حتى إن عهده ليعرف بعصر الشهداء حتى قيل انه قتل ٨٠٠٠٠٠ الف مسيحي على مدى عشرة سنين[(٢)]

د- اضطهاد ديسيوس:

عين إمبراطورا عام ٢٤٩ م وتوفي عام ٢٥١م، وقد أراد هذا الإمبراطور أن يوطد دعائم الإمبراطورية ويرجع هيبتها في النفوس بعد أن أنهكتها الحروب المالية، فأصدر مرسوما عام ٢٥٠ م أنه على جميع الأحرار رجالا ونساء دون العبيد أن يقدموا الذبائح لآلهة الامبرطور وأن يسكبوا لها السكائب ويأكلون من الذبائح وعندما يقدم شخص ذبيحة كان يعطى شهادة بذلك[٣].

وتصور ذلك، رسالة البطريرك السكندري ديونيسيوس الأول إلى أسقف أنطاكيةحيث يقول فيها: (وكان كل وثني يعرف أحد المسيحيين ويرشد عنه كان يؤتى به على عجل ويدعون

---

١ قصة الحضارة وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٧٠

(٢) انظر: تاريخ الكنيسة لجون لوريمر ١١١/٢ وقصة الحضارة ٣٨١/١١ ودليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمبي، ص ٦٥وتاريخ الكنيسة،يوسابيوس،ص ٣٥٣ وتاريخ العالم الغربي،ل.ج.شيني، ص ٩٠وموسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبدالمسيح، ص ٥٩

٣ انظر: تاريخ العالم الغربي، ل.ج.شيني، ص ٨٨ – ٩٢ وموسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبدالمسيح، ص ٥٩

الواحد باسمه حتى يتقدم إلى هيكل الأوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة للصنم بعد أن يجتهدوا في إقناعه بكل وسائط التخويف والإرهاب وبعض ضعيفي الإيمان أنكر مسيحيته وأثبت أنه لم يكن مسيحيا واقتدى به البعض ومنهم من تمسك بأذيال الفرار وغيرهم قبض عليهم وطرحوا في السجون مكبلين بالقيود والأغلال)[1]

وقد اكتشفت جامعة ميتشجان الامريكية بمدينة الفيوم القديمة العديد من صور هذه الشهادات، ومن ضمنها الشهادة التي قدمت إلى هيئة الذبائح في قرية جزيرة الاسكندرية أوريليوس ديوجينس بن ستابوس وعمره ٧٢ عاما بوجهه جرح عميق فوق حاجبه الأيمن وجاء فيها: (سبق لي أن قدمت للآلهة كما أقدم الآن محرقات حسب الأصول المرعية وأكلت منها.

وها أنا الحاكم (بخط الحاكم) أوريليوس سيروس أشهد بأن ديوجينس قدم المحرقة أمامي في عهد الامبراطورية ديسيوس في ٢٥يونيو سنة ٢٥٠م)

وكل من لا يحصل على هذه الشهادة تكون عقوبته الموت وقد ذهب ضحية هذا أعداد كبيرة من المسيحيين وذاق المسيحيون في هذا الاضطهاد أنواعا من التعذيب والنكال[2].

وهناك الكثير من الاضطهادات التي مرت على النصارى كاضطهاد دوميتان ٨١-٩٦م واضطهاد ماركوس اوريليوس ١٨٠ م واضطهاد سبتيموس سفيروس ١٩٣-٢١٠ م واضطهاد مكسيميانوس ٢٣٥-٢٣٨م واضطهاد فاليريان ٢٥٣-٢٦٠م واضطهاد جاليريوس ٣٠٥-٣١٣م وغيرها من الاضطهادات [3]

---

١ تاريخ الكنيسة القبطية، القس: منسي القمص، ص ٤٢ وتاريخ الامة القبطية ١/١٠٤-١٠٧

٢ تاريخ الأقباط ١/١٠٦ و تاريخ الكنيسة،يوسابيوس ص ٣٠٩ – ٣١٧ وتاريخ الكنيسة جون لويمر، ٢/٧٦ وقصة الحضارة ٣٨٧/١١ وتاريخ الامة القبطية ١/١٠٤-١٠٧

٣ تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ١١٧/٢ وقصة الحضارة ٢٢٥/٢/٣و١٣٥ وتاريخ الكنيسة، يوسابيوس ص ١٠٨ وتاريخ الإمبراطورية الرومانية ص ٤٢٠ و ٣٨٦ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، اسعد رستم ص١/١٦٩-١٧٣

انتهاء فترة الاضطهادات:

لم تنتهي فترة اضطهادهم إلا بعد أن أصدر الامبراطور "قسطنطين " الذي يسميه النصارى محبوب الله[1] و الإمبراطور "لوسينيوس" المقتسمين لقب الامبراطور مرسوم البراءة عام ٣١١م فمنح المسيحيون حرية الانتماء للدين الذي يختارونه[2]

ويذكر بعض المؤرخين أن قسطنطين اخذ بسياسة الأمر الواقع فأصدر عام ٣١٣م مرسوم شهير يسمى بمرسوم ميلان، حيث اعترف فيه بالمسيحية كإحدى الشرائع المصرح باعتناقها، ثم تلاحقت القوانين الإمبراطورية التي تصدر الأوامر تلو الأوامر بالكف عن المسيحيين وتمكينهم من أداء الشعائر والشرائع، وهذا نص أحد القوانين التي ترجم عن اللغة الرومانية كما ورد في كتاب تاريخ الكنيسة: (وعندما حضرن إلى ميلان في ظروف طيبه أنا قسطنطين أوغسطس وأنا ليسينيوس أوغسطس وتأملنا في كل مايؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب اعتزمنا فيما اعتزمناه أو على الأصح اعتزمنا أول كل شيء أن نصدر الأوامر التي تعود بالخير على كل واحد من وجوه كثيرة أي تلك التي تحفظ الإكرام لله وتقواه أي أننا اعتزمنا منح المسيحيين وكذا كل الناس اتباع الديانة التي يختاروها أي أية ديانة سماوية توافقنا وتوافق كل من يعيش تحت حكمنا)

---

١ تاريخ الكنيسة ص ٤٥١ والديانة المصرية القديمة، روسلاف تشيريني،ص ٢٠٨ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٨٧

٢ انظر: F.F,Noss,(١٩٩٠).p: ٤٧٧-٨ نقلا عن النصرانية لعرفان عبدالحميد، ص ٦٠ وقصة الحضارة ٣٧٨/١١ و دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الاب جان كمبي، ص ٦٤ وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر ص ١١٩ وتاريخ المسيحية حبيب سعيد ١٤١/١ وتاريخ الفكر المسيحي حنا جرجس الخضري ٦١٨/١ وموسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص ٦٠ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٨٦

وفي مرسوم آخر يقول: (لذلك قررنا بقصد سليم مستقيم أن لا يحرم أي واحد من الحرية لاختيار وإتباع ديانة المسيحيين وأن تعطى الحرية لكل واحد لإتباع الديانة التي يراها ملائمة لنفسه لكي يظهر لنا الله في كل شيء لطفه المعهود وعنايته المعتادة)[١]

وهذا المرسوم الإمبراطوري أسهم إسهاما كبيرا في انتشار الونية حيث قرر فيه أن يعبد كل واحد ما يراه الها مناسبا حيث أكد هذا الإمبراطور قسطنطين في مرسوم ميلانو:(يمكن لأي اله متوج في السماء أن يعرض بصورة جيدة وبشكل موائم لنا وإلي جميع الذين تحت سلطتنا)[٢]

ثم أصدر الإمبراطور الروماني "ثيئودسيوس " مرسوما عام ٣٨١م[٣] وقيل سنة ٣٨٣م[٤] بجعل الديانة المسيحية ديانة رسمية للدولة وأمر بهدم العباد الوثنية ولذلك يسمى الملك الأرثوذكسي[٥]

ويرى بعض المؤرخين أن اعتناق أباطرة الرومان للمسيحية كان نتيجة مقاصد سياسية بحتة لإظهار تماسك الإمبراطورية من جانب[٦] وللظهور بمظهر ديني شعبي أمام لفرس العدو اللدود للرومان من جانب آخر، فلم يجدوا أفضل من المسيحية لهذا الغرض، فدخل حكام الرومان في المسيحية سياسة وبذلك هدأت عهود الاضطهاد، بل انتهت[٧]

---

١ تاريخ الكنيسة ص ٤٤٤ وتاريخ الكنيسة الشرقية، الاب البير ابونا، ص ٢٠٣

٢ التاريخ المسيحي المظلم ص ٣٠

٣ محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٤٢

٤ انظر: the world,s religions,christianity in the first FIVE CENTURIES, PP, ١٥٣-١٥٢ نقلا عن النصرانية لعرفان عبدالحميد، ص ٦٠

٥محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٤٢

٦Ostrogasky: op. cit, pp.٤٢-٤٣ نقلا عن اوربا العصور الوسطى ص ٦٢

٧ انظر : قصة الحضارة ج١١/٣٨٤ وخلاصة تاريخ الكنيسة، لومند الفرنسي، ترجمة، يوسف الخوري، ص ٥٨ وممن قال بهذا ابو الحسن المسعودي ت ٣٤٦هـ في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص ٢٣٥، مع إن تعميم هذا الأمر على جميع الأباطرة فيه نوع من المبالغة، إذ أن كثير منهم كان =

أثر تلك الاضطهادات على الديانة النصرانية:

خلفت تلك الاضطهادات المتلاحقة آثارا كبيرة، وشروخا دامية في جبين الديانة النصرانية، وكانت من أهم الأسباب التي أدت إلى انحراف الديانة النصرانية عن صراطها المستقيم، وتتجلى أهم تلك الآثار فيما يلي:

١- فقد السند المتصل لكتابهم المقدس، وضاع الإنجيل الأصلي والكتب المقدسة إبان تلك الاضطهادات وألفت الكثير من الأناجيل المبنية على التخمين[1]

٢- أنه نتيجة للضعف والتشرد، عمد النصارى إلى تقريب الشعائر الوثنية الرومانية، وذلك لتقريب الرومان إليهم ابتغاء دخولهم في الديانة النصرانية، وقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين، ومع مرور الزمن ستتطهر وتعود إلى صفائها...ولكن الواقع الأليم أن الذي حدث هو العكس، فقد تغلبت الوثنية وطمست رسالة المسيح (٢).

٣- أنه نتيجة لهذه الإضطهادات، حصل انحراف في مسار التدين من ناحية الإفراط أو التفريط، فكان بعضهم يرتد عن دينه ولو مؤقتا أو يتظاهر بعدم نصرانيته، كما حدث في عهد ديسيوس، والبعض الآخر ينتهي به حماسه إلى المغالاة فيه (٣).

٤- نتيجة للظلم المتراكم عليهم من قبل الحكومة والأباطرة أوجد تعاطفا من قبل أفراد الشعب مع المسيحيين جراء هذا الظلم فقد (تحول الرومان إلى التعاطف مع الضحايا

= متمسكا بالمسيحية مدافعا عنها، خصوصا من خلفاء الإمبراطور قسطنطين الأوائل الذين كان بعضهم على المذهب الاريوسي.

١ انظر: إظهار الحق لرحمت الله الهندي ٦١٦/٢ ودليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة،الأب جان كمبي ص ٦٥ والدليل الصحيح لتأثير دين المسيح، القس منسي يوحنا، ص ٧٥

(٢) الله واحد أم ثالوث محمد مجدي مرجان،ص٤٠ -٤٢

(٣) انظر المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ١٦٩.

والمعذبين لأنهمرأواأنهم لا يقتلون في سبيل مافيه منفعة اجتماعية بل بسبب تعطش الأباطرة لسفك الدماء)[1]

وذلك أدى ولا شك إلى نصرة المسيحية وازدياد عدد أفرادها، ولكن ذلك الازدياد والنصرة لم تكن تعرف حقيقة المسيحية الصحيحة أمام خضم الدعوات المتناقضة بين أتباعها.

٥- أفرزت تلك الاضطهادات أمرا في غاية الخطورة وقد ساهم بشكل فعال في انحراف المسيحية بعد ذلك، وهذا الأمر هو ضياع إنجيل المسيح، -كما يقول افنان اتين دينيه - ذلك الإنجيل الذي أوحاه الله (إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه أبيد)[2]

ولقد ساهم في ضياعه وإبادته عدم تدوين النصارى له إبان تلك الاضطهادت[3].

ولا شك أن ضياع المصدر الذي يعتمد عليه أدى لجعل كثير من النصارى متخبطين في اعتقاداتهم، وسهل للمنافقين مهمة تحريف تلك الاعتقادات، مع اختلاف المصادر المسيحية التي كانت متداولة في أوساط المسيحيين فأدى إلى ظهور تعاليم قامت في أساسها جملة أفكار عن إله غير مدرك وعالم لم يحكمه إله بل قوة دنيوية ولوغوس هو وسيط بين الله والعالم[4].

٦- ظهرت عقب الاضطهادات المتلاحقة على النصارى ظاهرة جديدة وهي الرهبنة وهي الاعتزال بقصد التعبد [5] وهذه وغيرها من الآثار التي خلفتها تلك الاضطهادات علي المسيحية والتي كان لها أبرز الأثر في انحراف المسيحية عن صراطها المستقيم.

---

١ المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١١٧

٢ الفنان أتين دينيه الفرنسي الذي أسلم وتسمى بناصر الدين. انظر كلامه في كتاب الأديان في القرآن لمحمود الشريف ص ٢٠٧، وترجمته في الأعلام ١/ ٣٨ والموسوعة العربية الميسرة ص ٤٨

٣ انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس — العهد الجديد — ص ٨

٤ انظر : المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧٣

٥ انظر : موسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، ص ٦٢

خامسا: تعدد فرق النصارى:

من ضمن الأمور التي حدثت لهم بعد رفع المسيح عليه السلام بفترة وجيزة جدا، هو ظهور كثير من الآراء والمذاهب المختلفة التي تتعارض فيما بينها في الاعتقاد تعارضا جذريا في بعض المفاهيم، ولكن الذي يجمعهم هو الإيمان بالمسيح في الظاهر، ذلك الإيمان الذي يختلف باختلاف معتنقيه، فبعضهم آمن به كنبي عظيم، والبعض الآخر آمن به كإله قادر، والذين آمنوا به كإله، اختلفوا أيضا فيما بينهم، في تحديد لاهوت المسيح وناسوته[1].

وهناك فرق أخرى شطحت عن ذلك كله، فاخترعوا عقائد من عند أنفسهم مبنية على السحر والشعوذة مثل " مياندارا " و " سيمون " الساحرين الذين استعملوا الشعوذة والسحر وقد (أتى إلى أنطاكية وأضل الكثيرين بسحره وأقنع أتباعه بأنهم لن يموتوا)[2]

وكذلك أتباع كيرنثوس الذي اعتقد بأن ملكوت السماوات هي الأرض [3]

وأتباع كردون الذي نادى بإلهين صالح وهو إله العهد القديم وعادل وهو أب المسيح وتبعه على ذلك مركيون البنطي[4] وهذا الأخير (أقنع الكثيرين من كل جنس لينطقوا بالتجاديف وينكروا أن خالق هذا الكون هو أب المسيح ويعترفوا أن هناك أعظم منه وهو الخالق وكل الذين تبعوهم يدعون مسيحيين)[5]

وهذه الفرق الكثيرة ظهرت على مدى القرون الأولى في فترات متفاوتة، من قرون المسيحية الأولى، بعد عصر المسيح عليه السلام.

وهنا تكمن أهمية دراسة الفرق المسيحية عند دراسة تاريخ قانون الإيمان المسيحي، حيث إن هذا القانون لم يعرف إلا بعد ظهور كثير من الفرق المنتسبة إلى المسيحية، ولهذا يعترف كثير

---

١ انظر: ص من هذا البحث في فصل اختلاف النصارى في بعض العقائد الواردة في قانون الإيمان المسيحي.

٢ تاريخ الكنيسة ص ١٢٩

٣ انظر : تاريخ الكنيسة ص ١٣١

٤ انظر : تاريخ الكنيسة ص ١٦٢

٥ تاريخ الكنيسة ص ١٦٣

من لاهوتيي الكنيسة ومؤرخوها بأن ظهور هذه الفرق الكثيرة، كان بعد عصر المسيحية الأولى، ويرى أن الحل يكمن في الرجوع إلى عصر المسيحية الأولى، كما يقول الانبا يوأنس في كتابة المسيحية في عصر الرسل: (ويزيد من أهمية البحث، ماتعانيه المسيحية من انقسام وفرقة، يظهران في تعدد الكنائس والمذاهب في نطاق المسيحية بصورة مذهلة ومخجلة في آن معا، وانحراف كثير منها في الإيمان، أو مباديء المسيحية الاصلية... ولا علاج لهذه الحالة المحزنة التي وصل اليها العالم المسيحي، إلا بالالتجاء إلى الكنيسة الأولى، الكنيسة الأم، كنيسة الرسل)[١].

أسباب ظهور الفرق النصرانية بعد عصر المسيح عليه السلام:

هناك جملة من الأسباب هي في الواقع أدت إلى بروز هذه الاختلافات الكثيرة، لعل من أبرزها ما يلي:

السبب الأول: هو تلك الاضطهادات التي عاش النصارى تحت وطأتها لأكثر من قرنين من الزمان والتي جعلت أولئك النصارى يفر من بقي منهم بدينه خوفا من بطش أعدائه من الرومان الوثنيين وغيرهم [٢]

السبب الثاني: وهو أنه قد تزامن مع تلك الاضطهادات دخول جملة من الوثنيين واليهود وغيرهم ممن أظهر النصرانية ولكنهم في الواقع أرادوا هدم هذه الديانة من الداخل [٣].

يقول يوسابيوس في معرض ذكره لتلك الأحداث أن الشيطان (دبر كل أنواع المؤامرات واستخدم طرقا أخرى في صراعه ضد الكنيسة مستخدما أشخاص سافلين ومضلين كوسائل لهدم النفوس وأعوان للهلاك وإذا أغرى بعض المحتالين والمخادعين فإنهم تظاهروا بالمسيحية وأحدروا إلى أعماق الهلاك بعض المؤمنين ممن استطاعوا التغلب عليهم وفي نفس الوقت أثروا

---

١ الكنيسة المسيحية في عصر الرسل، الانبا يوأنس، ص ٧

٢ تقدم الحديث عن الاضطهادات في النصرانية.

٣ ولعل أبرز أولئك هو اليهودي شاؤول الذي تسمى ببولس وأدخل كثيرا من العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.

بتصرفاتهم على البعض ممكن كانوا يجهلون الإيمان فحولوهم عن الطريق المؤدي إلى كلمة الخلاص)[1].

ثم يقول: (وهكذا حدث أن الشيطان الخبيث باستخدامه لهؤلاء الأعوان استعبد الذين أضلوهم مع الأسف إلى هلاكهم ومن جهة أخرى قدم للأمم غير المؤمنين فرصا متسعة للافتراء على الكلمة الإلهية نظرا لأن سمعة هؤلاء الرجال جلبت العار على كل جنس المسيحيين)[2]

السبب الثالث: وهو لا يقل أهمية عن سابقيه وهو موت تلاميذ المسيح الحقيقيين وقتلهم في أغلب الأحيان وقد كان لذلك أبلغ الأثر في نشأة الفرق الكثيرة التي لا يجمعها خطام ولا يربطها زمام، لغياب المصادر الموثقة في نقل دين المسيح عليه السلام.

ولهذا يصرح بذلك المؤرخ الكنسي يوسابيوس فيقول: (ولكن لما تحمل جماعة الرسل المقدسين الموت بأشكال مختلفة وانتهى ذلك الجيل الذين حسبوا مستحقين لسماع الحكمة الإلهية بآذانهم عندئذ بدأت الأضاليل تنتشر نتيجة حماقة المعلمين المارقين الذين حاولوا منذ ذلك الوقت لأنه لم يكن أحد من الرسل لا يزال عائشا بجرأة وصفاقة أن ينادوا بالعلم الكاذب الاسم لمقاومة التعليم الحق)[3]

ويمكن أن ينطبق المثل الشائع (من فمه أدينه) على كلام يوسابيوس الذي كان يعد من أكبر مناصري عقيدة تأليه المسيح وتثليثه، وذلك لأن تعاليم تلاميذ المسيح الحقيقيين لم يكن تدعوا الناس إلى عبادة المسيح ولا إلى ألهويته، ولم ترد في الأناجيل رغم تحريفها دعوة المسيح لهم إلى عبادته أو تأليهه، فيبقى أن أولئك المعلمين المارقين هم دعاة الوثنية والتثليث.

السبب الرابع: وهذا السبب قد أسهم مساهمة لا تنكر في نشأة تلك الفرق والمذاهب في القرون الأولى من المسيحية وهو أن نشأة المسيحية نفسها في أجواء الحقبة الهلنستية التي سادت فيها الثقافة الإغريقية بلاد المشرق العربي ومنها مصر متفاعلة مع ما استقر فيها من

---

١ تاريخ الكنيسة ص ١٥٥

٢ تاريخ الكنيسة ص ١٥٦

٣ تاريخ الكنيسة ص ١٣٦

ثقافات موروثة كان لذلك أثر كبير في التفاعل بين الإيمان والفلسفة الذي طبع الديانة المسيحية بطابعه فأخرجها من الإيمان البسيط إلى اللاهوت المعقد فكان من جراء ذلك أن تشعبت المذاهب وتعددت الرؤى[1]

السبب الخامس: هو أن كثيرا من الفرق نشأت نتيجة خلافات على الزعامة والمنصب أو حبا للشهرة والظهور (ومن يدرس تاريخ الكنيسة يلاحظ انه على مر العصور حدثت عدة انقسامات في الكنيسة بعضها بسبب خلافات عقائدية وبعضها بسبب اتجاهات أو منافسات قومية أو إقليمية)[2]

ويمكن أن نقسم تلك الفرق التي نشأت منذ السنين الأولى من رفع المسيح إلى ما قبل مجمع نيقية عام ٣٢٥م إلى قسمين وهي:

أولا: الموحدون:

كانت هناك بعض الفرق المسيحية التي بقيت على التوحيد متبعة في ذلك شرع المسيح وتعاليمه مع جنوح عدد منهم إلى اختراع بعض الشرائع المبتدعة في المسيحية ولكنها لا تخرجهم عن اعتقادهم التوحيدي، ومن تلك الفرق ما يلي:

١ – جماعة تلاميذ المسيح:

وقد كان أول رئيس لتلك الجماعة يومئذ هو يعقوب أخو المسيح و، كان معه في البداية بطرس ثم يوحنا، وكانت أسرة المسيح تحتل مكانة مرموقة في هذه الكنيسة، وقد خلف يعقوب على هذه الكنيسة سمعان ابن كالوبا ابن عم يسوع[3] وكان أعضاء هذه الجماعة من اليهود المسيحيين وكان همها هو عدم تقسيم أو تجزئة الله، فالله عندهم واحد[4].

وقد حافظت على موروث المسيح الديني، وكانت تلتزم بشريعة موسى، وتعتقد بأن عيسى هو المسيا المنتظر، فكانت تمارس الشعائر اليهودية، وتمارس ديانة المعبد، وتحافظ تعاليمها،

١ انظر : الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام،ص ٧٣

٢ أضواء على الإصلاحالإنجيلي،القس فايز فارس، ٦٥

٣ انظر : تاريخ الكنيسة ص ١١٥

٤ انظر : تاريخ الفكر المسيحي ٥٩٣/١

وكانت تمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة [١]، وكانوا يقولون بان المسيح لم يمت وهو حي بل سيعود[٢] ولديهم كثير من الخصال الحميدة كمحبة الفقراء والمساواة بين الناس والرفق وغير ذلك [٣]

وأتباع هذه الجماعة لم يؤمنوا بمجمع أورشليم[٤] (ولم يباركوا عمل الرسول بولس وأتباعه في التبشير بين الأمم والغريب المستغرب أنهم لم يقفوا عند حد هذا الاختلاف بل تعقبوا بولس العظيم في آسيا الصغرى وبلاد اليونان مبينين خطا الرسول موجبين الختان وحفظ السبت وما شاكل ذلك من فرائض الناموس وعظم أمرهم فخشي بولس سوء العاقبة فرد برسائل ست بعث بها إلى كنائس معينة فلاقت رواجا كبيرا)[٥].

ويسمي الكاردينال "دانيلو" في مقاله الموسوم "رؤية جديدة للأصول المسيحية، اليهودية، المسيحية) تلك الجماعة باليهودية المسيحية فيقول: (لم تكمن اليهودية المسيحية سائدة في القدس وفلسطين وحدها طوال القرن الأول المسيحي بل انتشرت فيما يبدو في كل مكان قبل الدعوة البوليسية كان اليهود المسيحيون هم الأعداء الذين قابلهم بولس حيثما ذهب)[٦] ذهب)[٦] ثم هاجمهم بعد ذلك يوحنا فم الذهب وتصدى لهم وتهجم على آرائهم واتهمهم بالكفر والزندقة[٧]

---

١ انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة ونشر دار المعارف، مصر، ص ٧١و الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلامص ٧٥ والنصرانية. د/ فتاح عبدالحميد عرفان ص ٤٩

٢ انظر: المسيحيون الأوائل، ابرهارد ارنولد، ص ١٥

٣ انظر: المسيحيون الأوائل، ابرهارد ارنولد، ص ١٥ – ٥٦

٤ انظر: ص من هذا البحث.

٥ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،أسعد رستم، ١/٣٢

٦ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٧٢ والفرق والمذاهب المسيحية ص ٧٦

٧ انظر : النصرانية، د/ فتاح عبدالحميد عرفان ص ٤٩ وتاريخ الفكر المسيحي ١/

ولعل تلك الجماعة لم تكن معتبرة عند كثير من المنتمين للأفكار البوليسية ولذا نجد مؤرخ الكنيسة يوسابيوس يتحدث عنهم فيقول: (فإن أولئك الرجال العظماء اللاهوتيون حقا أقصد رسل المسيح تطهرت حياتهم وتزينوا بكل فضيلة في النفوس ولكنهم لم يكونوا فصيحي اللسان ولقد كانوا واثقين كل الثقة في السلطان الإلهي الصانع العجائب الذي منحهم له المخلص ولكنهم لم يعرفوا ولم يحاولوا أن يعرفوا كيف يذيعون تعاليم معلمهم بلغة فنية فصحى)

بهذه العبارات الذي ينقض آخرها أولها يصف تلاميذ المسيح بالعظام واللاهوتيون حقا، مع اتهامهم بعدم تبليغهم للتعاليم،، وأغلب الظن، أنه يقصد بقوله "أنهم لم يعرفوا" أو "أنهم غير فصيحي اللسان" لأنهم لم يذيعوا ألوهية المسيح وتجسد الله في صورته.

ولهذا نجده بعد ذلك يتحدث عن بولس فيقول: (فبولس مثلا الذي فاقهم جميعا في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب إلا أقصر الرسائل رغم أنه كانت لديه أسرار غامضة لا تحصى يريد نقلها للكنيسة لأنه قد وصل حتى إلى مناظر السماء الثالثة ونقل إلى فردوس الله)[1]

وعلى الرغم من إقراره بأن بولس لديه أسرار غامضة وصرح بأنه يريد نقلها للكنيسة، دليل على ابتداعه لتلك الأسرار، وشاهد على أنها لم تكن في دين المسيح ودين تلاميذه، وإلا لما اضطر إلى القول بأنه يريد نقلها للكنيسة، لأن نقلها إلى الكنيسة يعني عدم وجودها أصلا داخل الكنيسة.

وأما تصريحه بأن بولس وصل إلى السماء الثالثة أو إلى الفردوس فليس هناك أدنى شك أن هذه من ضمن مفتريات بولس التي ذكرها شفاها ولم تسجلها الأناجيل ولا ذكرها في رسائله.

ولكن الحقيقة المرة، هي أن تلك الجماعة أهملت عمدا وأقصيت تمام الإقصاء بأيد خبيثة عملت على إرساء العقائد المحرفة التي جسدته الأناجيل القانونية الأربعة أيما تجسيد، لهذا

١ تاريخ الكنيسة ص ١٢٤

نجد أن تلك الأناجيل الأربعة لا تصور تلاميذ المسيح الحقيقيين إلا بصورة ذلك الرجل الغاشم، الذي لايعرف الأمثال المضروبة، ولا يفرق بين مفردات الكلام، ويدل على ذلك كثرة الأسئلة التي سئل المسيح عنها من قبل تلاميذه وفي غالبيتها أسئلة غير مستساغة عقليا ولا شرعيا، فمن أنهم عندما رأوا طفلا أعمى سألوا المسيح قائلين: (يا معلم، من أخطأ هذا، أم أبواه حتى ولد أعمى)[1]

يقول القس حنا جرجس: (وكم من المرات سأل التلاميذ المسيح أسئلة تدل على أن المفاهيم اللاهوتية اليهودية بل والمفاهيم الشعبية كانت تسيطر عليهم)[2]

فمصير تلك الجماعة الأولى ضعف في الكنيسة وذلك بعد أن تحررت تدريجيا من روابط اليهودية، ولكن يمكن اقتفاء آثارهم ابتداء من القرن الثالث إلى القرن الرابع في الشرق، وقد امتص الإسلام بعضهم وهو جزئيا وارث لهم وتحالف بعضهم مع أرثوذكسية الكنيسة الكبرى مع الاحتفاظ بخلفية ثقافية سامية وهناك شيء منهم ما زال متشبثا بالكنيستين الأثيوبية والكلدانية[3]

كل ذلك يدل على عدم قبول تلك الجماعة الموحدة من قبل أصحاب الانحراف العقدي المسيحي الذي ألقى بضلاله على قانون الإيمان المسيحي فيما بعد.

٢- الأبيونية:

وهي تنسب إلى مؤسسها ابيون أو أن هذا الاسم مشتق من اللفظ العبري ابيونيم أي الفقراء، غير أن بعض المؤرخين يرى أن القول الأول "قول ضعيف"[4].

وهذه الفرقة قد أنكرت لاهوت المسيح، وقالوا بأنه نبي يوحى إليه، وهي تعتبر يسوع مجرد إنسان عادي، ولقد رفعه الله بسبب تقواه إلى درجة الكرامة، وكانت له مواهب خارقة

---

١ يوحنا ٢/٩

٢ تاريخ الفكر المسيحي ٢٦٩/١

٣ انظر : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ٧٢ نقلا الفرق والمذاهب المسيحية ص ٧٦

٤ أنطاكية كنيسة مدينة الله العظمى، أسعد رستم، ٣٣/١

للعادة، ولد من مريم وزوجها مثل أي مولود آخر، وحثوا على التمسك بأحكام الشريعة اليهودية، ولم تكن تؤمن هذه الجماعة بالخلاص بواسطة المسيح وحده، وقالوا بأنه سيعود في آخر الزمان، ولم يؤمنوا ببولس، فرفضوا كل رسائله، وقالوا بأنه مرتد عن الناموس[١]

وهناك فرقة منهم تؤمن بأن يسوع ولد من عذراء والروح القدس، ولم يؤمنوا به كإله وجد سابقا وهو ليس إلها ويتمسكون بحرفية الشريعة ويرفضون رسائل بولس ويعتبرونه مرتدا عن الشريعة ويراعون السبت، وبقية الطقوس الدينية، ولكن هذه الجماعة تحتفل بقيامة المسيح من بين الأموات[٢] وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية وهو فيما يتعلق بشخص المسيح وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي[٣]

٣- النصارى:

وهم يؤمنون بالإله الواحد، ولا يفرقون بشيء عن اليهود، سوى أنهم يؤمنون بالمسيح وبقيامته من بين الأموات، ويفرقون عن الأبيونية من حيث أنهم يؤمنون برسائل بولس،ويراعون السبت، وطقس الختان، وهم يعتمدون العهد القديم والعهد الجديد أيضا[٤]

وهؤلاء النصارى الأوائل ، ليسوا محل ترحيب من قبل النصارى المتأخرين ، وذلك لاختلاف العقائد الأساسية فيما بينهم ، ولذا يصفهم بعض المؤرخين بأنهم كانوا :(يتخبطون منذ

---

١ انظر: تاريخ الكنيسة ص ١٣٠ و النصارى، فياض ومنصوري، دار أسامه، دمشق، ١٩٩٨، ص٣١ نقلا عن الفرق والمذاهب المسيحية ص ٧٧وكيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل، ٢٩/٣ الهرطقة في المسيحية ص ٥٠ وأنطاكية كنيسة مدينة الله العظمى، أسعد رستم، ٢١/١وص ٣٣ وعلى عتبة الكتاب المقدس، جورج سابا، ص ٢٤٤

٢ انظر: تاريخ الكنيسة ص ١٣٠

٣ انظر: الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، علي وافي ص ١٠٨,١٢٤

٤ انظر: النصارى، فياض ومنصوري ص٤٧ وص ١٧٣ نقلا عن الفرق والمذاهب المسيحية ص ٧٨ والهرطقة في المسيحية ص ٥٠

البداية في غمرات الحيرة العظيمة إذ يتنازعهم أمران : تعاليمه من ناحية وما استحدثة التلاميذ من ناحية أخرى..)[1] .

٤- البوليقانيون:

وهم أتباع بولس السميصاتي:وكان بطريركا على كنيسة أنطاكية عام ٢٦٠م بمساعدة الملكة زينب أو زنوبة[2] وكان يقول بأن المسيح مخلوق صالح، وهو ليس بإله، إلا أنه يقول أنه كان ابن الله بالتبني فقط، لا بالطبيعة والجوهر[3] ويعتبر أن اللوجوس والحكمة صفتين، وليسا أقنومين، وقد كان اللوجوس هو الذي يوجه الأنبياء، ولقد حل اللوجوس في المسيح، وقد ولدت مريم بشرا مثلنا إلى يوم العماد، حيث حل فيه اللوجوس[4]

وينقل مقالته ابن البطريق فيقول: (إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفي ليكون مخلصا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله ويقولن: إن الله جوهر واحد وأقنوم

---

١ معالم تاريخ الانسانية، ولز، ص ٢٦

٢ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٦٠١/١ ٦٩وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ١/ ١٢٠

٣ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٦٠٤/١ والينابيع في المسيحية والإسلام، أديب نصر الدين، بص ١٥٨ والتعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، الجزء الأول، طباعة الكنيسة الكلدانية في بريطانيا، همة الشماس، جورج يلدا، ص ٩٤ الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٧ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ١/ ١٢٠ وفلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية، جورج قنواتي،ولويس غارديه، ج٢/ص٢٨٣-٢٨٤

٤ انظر : تاريخ الفكر المسيحي ٦٠٣/١ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، أسعد رستم، ١/ ١٢٠ وكتاب ٨٤-٩٠ Henry Chadwick, The Early Churc . p. , أي الكنيسة الباكرة، نقلا عن الفرق والذاهب المسيحية من ظهور الاسلام حتى اليوم، ص ٢٣

واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريك أنطاكية وهم البلقانيون)[١]

٥ – المشبهون:

وهم الذين يعتقدون بالوهية الله فقط، ويعتقدون أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لاعدائه[٢].

٦ – الآريوسية:

وتنسب إلى أريوس الليبي (ولقد أجمع الكتاب على أن أريوس كان عالما مثقفا وواعظا مفوها وزاهدا متقشفا وعالما في التفسير) [٣]

وكان مسئولا عن إحدى كنائس الإسكندرية، وهي كنسية بوكاليس، ومذهبه أن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، وأن الكلمة غير أزلي، وغير قديم، فالكلمة مخلوق بل مصنوع[٤].

ويعتبر آريوس من وجهة نظر مسيحية هرطقيا زنديقا[٥] وقد آمن بهذه العقيدة كثير من باباوات الكنيسة، بل حتى بعض أباطرة روما [٦]وقد كان اريوس يقول أيضا بان المسيح مخلوق،وأنه لم يكن له وجود سابق لميلاده، ولم يكن كذلك الروح القدس موجودا قبل هذا،

---

١ تاريخ ابن البطريق ١٢٦/١ نقلا عن المسيحية لعبدالمنعم فؤاد ص ١٣١ وانظر: تاريخ الفكر المسيحي ٦٢٠/١

٢ انظر: انطاكية كنيسة مدينة الله العظمى، أسعد رستم، ٢١/١ ولم اجد من تكلم عن هذه الفرقة بشكل اكبر .

٣ الهرطقة في المسيحية ص ٧٦ وتاريخ الفكر المسيحي ٦١٩/١

٤ انظر: فلسفة الفكر الديني، لويس غارديه، ج٢/ ٢٨٧

٥ انظر: فلسفة الفكر الديني، لويس غرديه وج. قنواتي، ٢٨٧/٢وتاريخ الكنيسة، لورتس، ص ٦٧ وتاريخ الفكر المسيحي ٦١٨/١ وموسوعة تاريخ الأقباط لزكي شنودة ص ١٥٠ والهرطقة في المسيحية ص ٧٧

٦ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٨٠-٩١ ويعتبر شهود يهوه أتباع مدرسة اريوس، كيف نفهم علم اللاهوت ٢٩/٣

فكان تعليمه عن المسيح أنه أقل من الاب في كل صفاته،إلا أنه وجد قبل كل الخليقة [1] ، وأن العلاقة بين المسيح والله هي علاقة بين مخلوق وخالق[2].

ويذكر بعض مؤرخي النصارى وعلماء اللاهوت، أن آريوس كان يقول، بأن روح المسيح ليست بشرية، بل أخذ جسدا مجردا من الروح البشرية[3] ومن اللاهوتيين والمؤرخين أيضا من يقول: بأن اريوس كان يقول، بان الخلق خلق بواسطة الكلمة المسمى ابنا وحكمة، لكي يخلقنا بواسطته بالاسم فقط، وصار إلها بالشركة، وإلا فهو ليس مشاركا للاب في الجوهر ولا مساويا له[4] ومنهم من يقول، إن اريوس كان يقول: إن الاب وحده هو الإلهالأصلي الواجب الوجود،وأما الابن والروح القدس، فهما كائنان خلقهما الله في الأزل، ليكونا وسيطين بينه وبين العالم، وهما مشابهان له في الجوهر، ولكن ليسا واحدا معه[5]

ولعل هذه الأقوال من افتراء أعدائهم عليهم، ثم تناقلها الكتبة والمؤرخون، نقلا دون تحقق وتمحيص، ويبدو أن تحريف آراء اريوس كان منذ عصره، حيث كتب أسقف قيصرية فلسطين، افسابيوس الذي كان على منهج اريوس إلى الكسندروس اسقف الاسكندرية،

---

١ انظر: كيف نفهم علم اللاهوت ٢٩/٣

٢ كتاب Henry Chadwick, The Early Churc . p. ٨٤-٩٠ , أي الكنيسة الباكرة، وموسوعة انكارتا الامريكية، مادة ايوس، Arius . نقلا عن الفرق والذاهب المسيحية من ظهور الاسلام حتى اليوم، ص ٢٣- ٢٤

٣ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ١٨/٢

٤ انظر: الشركة في الطبيعة الالهية، دراسةٌ للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص عند القديس أثناسيوس، وآباء الكنيسة الجامعة، الدراسات القبطية والأرثوذكسية،٢٠٠٧م، ص ٨٧ والهرطقة في المسيحية ص ٧٩

٥ انظر: الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٧ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،١/ ١٩٣ ١٩٣

يلومه على تحريف أقوال اريوس[١] مع أن الذين كانوا على منهج اريوس كانوا (معترفين بان الله هو إله واحد حق) لكنهم اختلفوا في تفسير هذا الكلام وتحديده [٢].

ويبدوا أن أسقف الإسكندرية ومن شايعه من المثلثين، وجدوا في هذا الاختلاف اليسير، الذي لا يؤثر على جوهر تلك الكلمة ضالتهم في الطعن في رأي اريوس، وعرضه بصورة الرأي المتناقض المهزوز.

وإلا فكيف يمكن أن يقر آريوس بأن المسيح بشر وأنه مخلوق، ثم يزعم أن روحه ليست بشرية، أو يقر بتفرد الاب بالإلوهية ثم يزعم أن الخلق مخلوقون بواسطة الابن، فيصبح مخلوقا وخالقا في وقت واحد، وإن صح هذا، فيعد هذا تناقضا غريبا من آريوس وأتباعه، فضلا عن قوله بقول الفلاسفة القائلين بخلق الخلق بواسطة اللوغوس.

ولهذا نرى بعض مؤرخي المسيحية من المثلثين القدماء ، كيوحنا فم الذهب [٣] ينقل رسالة اريوس التي جاء بها إلى مجمع نيقية فيقول : (نعترف بإله واحد، هو وحده ، غير مولود، وحده أزلي ، وحده لا بدء له، وحده الإله اله الناموس ، والأنبياء، والعهد الجديد الذي ولد ابنه قبل الدهور والأزمان ، والخلاصة التي تفقأ العيون وضوحاً ان الإله الحق الواحد والسرمدي هو الآب لكونه غير مولود، وغير ذي بدء في الزمن بخلاف الابن تماما الذى وان دعي ربا في الكتابات الإنجيلية هو من جوهر مختلف لانه مولود)[٤]

وهذا ما يؤيد القول برأي اريوس التوحيدي ، ويبين الافتراء الحاصل على اريوس من قبل التاريخ والمؤرخين .

ثانيا: **غير الموحدين**:

نشأت كثير من الفرق الغير موحدة والتي كانت مختلفة فيما بينها – بعد اتفاقها على تأليه المسيح – على طبيعة العلاقة بين الله والمسيح أو بين الآب والابن، ولا شك أن تلك الفرق

١ انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،١/ ١٩٤

٢ انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،١/ ٢٠٢

٣ سبقت ترجمة يوحنا فم الذهب .

٤ ان الله لا يمكن إدراكه، يوحنا فم الذهب، ص٢٢

هي اللبنة الأولى الذي بني عليها قانون الإيمان المسيحي، الذي أسس على آراء بعض رؤساء الكنيسة، الذين كان معظمهم من أتباع هذه الفرق، أو من المتأثرين بها. ومن أهم تلك الفرق ما يلي:

١– البوليسية:

هم أتباع بولس " شاؤول اليهودي " ويعتبر هو وأتباعه أول طائفة ظهرت في مقابل الجماعة الموحدة الأولى. –وسيأتي الكلام عن بولس – [١]

٢ – الغنوصية:

وكلمة "الغنوزيس" gnosis هي كلمة يونانية وتعني المعرفة والحكمة[٢] أو العلوم الخاصة بالعلوم الروحية والإلهية[٣]

وهي خليط من الأفكار الفلسفية الدينية الهلينية وهي تعود الى ينابيع مصرية وكلدانية وفارسية وربما حتى هندوسية [٤] وقد كان هذا المذهب هو الأكثر انتشارا في القرن الثاني للميلاد في كل أنحاءالإمبراطورية[٥]

والغنوسية من اشد المذاهب الدينية التوقيفية اضطرابا، فنجد فيها خليطا من الأسرار الوثنية، والطقوس السحرية، والنظريات الغريبة، عن نشأة الكون والتفسيرات الاعتباطية للعهد القديم والعهد الجديد[٦].

---

١ انظر ص من هذا البحث.

٢ انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،أسعد رستم، ٣١/١

٣ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٥٢ وتاريخ الفكر المسيحي ٣٩٦/١ وتاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢٧٠

٤ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٥٢ وتاريخ الفكر المسيحي ٣٩٧/١

٥ انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧٣ وكنيسة مدينة الله العظمى،اسعد رستم، ١/ ٦٣ وتاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢٧٠

٦ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٥٣ والوجه الاخر للمسيح، فراس السواح، ص ١٣٩

وقد كانت تشكل خطرا كبيرا على المسيحية في القرون الأولى للميلاد وبالأخص من وجهة نظر المسيحيين، وذلك لمحاولتها خلط تعاليم المسيحية بالآراء الميتافيزيقية والأفلاطونية الحديثة[١] بحيث لم يكونوا تيارا واحدا وإنما انقسموا إلى مجموعات مختلفة [٢]

ويرجع بعض المؤرخين رئاسة الغنوسيين إلى سيمون الساحر، أو سمعان الهرطوقي، وقد كان سمعان الساحر، يرى أن ثمة قوة وحيدة يقوم عليها العالم، وهي تتجلى في العقل،وينشئ العقل الفكرة كقوة أدنى منه مباشرة، ويملك الفكر قوة الإبداع، فهو الذي أنجب الملائكة، والقوة التي أنشأت العالم الأرضي، ولكن الفكر فقد السيطرة على مخلوقاته، فاعتقلته في العالم السفلي، عالم الشر، ومن الضروري تحرير العقل من أسره، ويروى أنه كان يقود معه امرأة، تدعى ريلينا أو انوية إلى كل مكان، وصفت بأنها عاهرة، عدها التجسيد الحي للفكر الإلهي[٣]

وبعضهم يروي أن أتباع سيمون هذا، قد ألهوه واعتقدوا بأنه الرب الأعلى، وان تلك المرأة التي معه هو الذي قد انبثقت منه وتجسد فيها [٤]

وقد ورد ذكره في سفر أعمال الرسل عندما تنصر،وأراد أن يشري موهبة الروح القدس بالمال فزجره بطرس وطرده، وقد ظل أناس كثيرون بسبب سحره، وكان له كثير من الخوارق، حتى قال كثير منهم "هذا قوة الله التي تدعى عظيمة"[٥]

وبعض المؤرخين يرجح نسبة الغنوصية إلى أحد باباوات الكنيسة يدعى نيكولاوس، الذي يرى بأن الله وحده مطلق كامل، ويرى أنه يفصل بين الله وبين المادة غير المنظمة، هوة عظيمة، فأخرج من ذاته سلسلة من الكائنات الروحية، كي تكون وسيطا بينه وبين المادة، وهم الملائكة، وقد كان إله اليهود من هؤلاء، فأعطاهم ناموسا غير كامل، فأرسل الله أحد

---

١ Golver: op.cit. p ١٧٣ نقلا عن أوربا العصور الوسطى ص ٦٠

٢ انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧٢ و تاريخ الفكر المسيحي ٤٠٠/١

٣ انظر: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧٤

٤ انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،أسعد رستم، ص٢٩

٥ أعمال الرسل ١٠/٨

الملائكة الذين خرجوا منه، فاتحد هذا الملاك بيسوع في لحظة العماد، وأعطاه المعرفة الحقيقية ليعلنها للناس، كي يخلصوا بها ويرون أن الفداء يكون للشرارة الإلهية أو العنصر اللامادي وأن الجسد سوف يهلك إلى الأبد[1]

ومنهم من يرجعها إلى باسيليدس الذي كان يزعم أنه كان في البد ء كان العدم وكان اللة الذي هو عدم العدم ولكى يخلق الله العالم خلق في البدء بزرة العالم التي كانت تحتوي على كل شيء ومن ثم أعطت هذه البزرة ثلاث درجات من الولادات قائمة الواحدة فوق الأخرى تشترك أقل فأقل بطبيعة اللة بحسب مكانتها وتصب كل جهودها للعودة إليه وفيما نجحت الولادتان الأولى والثانية في العودة إلى الآب وجب على الثالثة أن تمر بمرحلة من التطهر وإن حفنة البزور قد ولدت الأركون الكبير الذي خلق العا لم وأركونا آخر تكلم عنه أنبياء العهد القد يم وهو إله العهد القديم من آدم إلى موسى ولكى تفيض الولادة الثالثة جاء الإنجيل أخيرا إلى العا لم وأطلع هذا الإنجيل يسوع المسيح ابن الأركون الأول على وجود اللة الآب وبواسطته تحررت هكذا الولادة الثالثة وعادت الخليقة كلها إلى الاب[2]

وللغنوصية عدة معتقدات متباينة ومختلفة لعل من أشهرها هو ما كانت تقوله بعض فرقهم حيث تقول في أصل الوجود: بأن للوجود أصلين (الأول: هو الله غير المدرك والثاني هو زوجته السكون المفكر وباتحادهما معا ولدت الكلمة والحياة والكلمة هي المسيح والحياة هي الروح القدس)[3]

---

١ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٣٩٩/١ والهرطقة في المسيحية ص ٥٤ والله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٦

٢ انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢٧٣

٣ الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٦

ويؤمن بعض الغنوسيين بوجود مملكتين، مملكة النور التي يحكمها الإله السامي، الذي خرجت منه قوات متنوعة الدرجات، وكان قد خرج إله آخر من هذا الإله العظيم وهو إله اليهود، ومملكة الظلمة الذي يحكمها إبليس [١]

وقد حاولت الغنوسية بمزيجها الغريب المتنوع شرح أصل ومصير الروح التي كانت — حسب رأيها- في الأصل في عالم سماوي منير، ولكنها سقطت فجأة من هذا العالم المنير، إلى عالم الأرض، حيث أصبحت سجينة الجسد الحساس، فتأثر الإله تأثرا عظيما لهذا الحدث، فأرسل مخلص لكي يخلصها من هذا الجسد، واتخذ هذا المخلص شكل إنسان، لأن الإله لا يمكنه أن يتحد بالأجسام المادية، وبهذه الطريقة، استطاع أن يعلن للعارفين أي الغنوسيين أصلهم السماوي [٢]

وهذه الرؤى غيض من فيض الكثير من الرؤى الغنوصية التي اعتنقتها فرقهم على اختلافها ولكن يمكن تجمع السمات المشتركة فيما بينهم وذلك كما يلي:

أ- أنهم وحدهم يمكنهم المعرفة التي أسفر عنها الإلهامالإلهي بخلاف المسيحيين

ب- نبذهم للتراتيبية الكنسية وقولهم بعدم وجود كنيسة واحدة

ج- استخدامهم لتقاليد غير قانونية في بعض الأحيان لبناء وجهاتهم النظرية وتأكيدهم على الفرد في قضية الإبداع النظري

د- كانت لديهم سمة الثنوية كأساس لفهم العالم، والاعتقاد والتركيب العقلاني الحكيم للكون والصراع الدائم بين الخير والشر.

هـ- إن العالم المادي خلق نتيجة خطأ ما وفق آراء شريرة

و- لم يكن ليسوع طبيعة بشرية بل هي اللوغوس

---

١ انظر: كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،أسعد رستم، ص٢٩ وتاريخ الفكر المسيحي ٤٠٠/١ وعلم اللاهوت النظامي ص

٢ انظر: كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،أسعد رستم، ٢٩/١ وعلم اللاهوت النظامي ص وتاريخ الفكر المسيحي ٣٩٧/١ والمدخل إلى اللاهوت، نقله الى العربي ة الاب حبيب هرمز ص ٧٩

ز- ينكرون قيامة يسوع بالجسد ويرون أنها ظاهرة روحية وليست مادية [1]
والواقع أن الكتابات الغنوصية قد اندثرت وضاعت ولا تكاد تعرف إلا من خلال كتابات آباء الكنيسة الذين كافحوا وكتبوا ضد هرطقات الغنوصيين[2]

٣- الدوكيتية:

وهم الغنوصية الذين نفوا بشرية المسيح وأكدوا على طبيعته الإلهية، وتتلمذ أتباع هذا الاتجاه على المدرسة الأفلاطونية، وتعودوا على فكرة اللوغوس (العقل والحكمة) وزعموا أن عيوب المادة تتنافى مع طهارة الجوهر السماوي، وأن المسيح بدل أن يولد من العذراء، نزل على ضفاف الأردن، في هيئة إنسان كامل، وأن المصلوب هو شبح هوائي، بدا وكأنه مات على الصليب[3] وهذه الفرقة إحدى فرق الغنوصية الكبيرة – ولذلك أفردت - وإلا فإن هناك كثير من الفرق التي كانت لها أتباع يؤمنون بمبادئها، كأتباع ميناندر السامري وساتورنين وبازيليو وفالانتينوس وبارديزان وفرقة المانوية والاوفيين والفيبيونيين والمانديين وغيرها [4] ولعل أشهرها هي المارسيونية[5]

٤ – المرقيونية:

تنسب هذه النحلة إلى مرقيون أو مركيون ابن سينوب الأسقف الذي جنح إلى الفلسفة، فغضب عليه والده وطرده من شركة الكنيسة في القرن الثاني، وكان يقول أن (هناك ثلاثة أصول للكون، الأول: طاهر وهو الله، والثاني شرير وهو الشيطان، والثالث هو صانع العالم، ولما كثر النزاع على الأرض حدث نزاع بين الشيطان وصانع العالم، لان كلا

١ انظر: المسيحيون الاوائل والامبراطورية الرومانية ص ١٦٨ – ١٧٢ و ص ١٧٥

٢ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٥٦ والوجه الاخر للمسيح، فراس السواح، ص ١٣٩

٣ انظر: EDWARD GIBBON, THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE VOL, ١, THE MODERN LEBRARY, NEW YORK,P٦٧٨-٦٧٩
نقلا عن الفرق والمذاهب المسيحية ص ٧٨

٤ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٥٦-٦٤ والله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٦

٥ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٦٤

متهماأرادأنيسيطر عليهم،فأرسل الله ابنه يسوع المسيح، الذي كان قد انبثق منه أزلا، ليقضي على الشيطان وصانع العالم معا، ويخلص الناس من نفوذهما)[1]

و كان من أهم ما قاله هو استحالة التوفيق بين التوراة والإنجيل، موجبا التخير بين محبة المسيح وعدالته، وبين إله إسرائيل القاسي، الذي هو ليس الإله الرحيم الحقيقي، بل دونه مرتبة، والمخلص كان مظهرا من مظاهر الإله الحقيقي الصالح، وقد خلص البشر بإظهاره حقيقة الإلهالحقيقي الصالح، ولم يكن موجودا، ولم يولد، ولم ينم، بل شبه لكنيسة كفر ناحوم، ولم يعتمد سوى رسائل بولس ولوقا، دون بقية الكتاب المقدس، وقال بأن تلاميذ المسيح ورسله لم يفهموا الإنجيل كما يجب، لأنهماعتبروا المسبح رسول، فاختار الإله بولس، ليصحح التعاليم وليعلن الوهيته.[2]

وقد اعتقد اعتقادا جازما بأنه لم يكن ليسوع صفة بشرية، وانه ليس للإله المطلق، أي علاقة بخلق العالم والإنسان، وان الجنس البشري غريب عنه، وأن يسوع جاء لينقذ العالم الغرباء، بالنسبة للإله المجهول، فاشتراه بدمه، ولا أحد يشتري سوى ما يملك، وقد أسس كنيسة للجمع بين الغنوصية التي تؤمن بالخلاص عن طريق المعرفة، وبين الكنيسة، واستمرت كنيسته مدة طويلة بعد موته، وكانت وراء تعجل الكنيسة في اختيار الأناجيل الأربعة وإقرارها[3].

ويظهر اثر هذه الفرقة واضحا على تعاليم قانون الإيمان المسيحي. من حيث تاليه المسيح واعتباره الرب الواحد وخلقه للعالم وصلبه وفدائه للبشر.

---

١ الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٦وانظر : المدخل الى اللاهوت نقله الى العربية الاب حبيب هرمز ص ٧٩ تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص٢٨٠

٢ انظر: كنيسة مدينة الله العظمى،اسعد رستم، ١/٦٣-٦٥

٣ انظر: الرحمن والشيطان، فراح السواح، ص ٢٠٦، نقلا عن الفرق والمذاهب المسيحية ص ٧٩ والمسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية ص ١٧٤ تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٢٨١

٥- البربرانية:

وهذه الفرقة كانت تعتقد أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، وأطلقوا على أنفسهم المريميين، وقد ظلت هذه الفرقة حتى القرن السابع الميلادي [١]

٦- فرقة إليان:

وزعموا بأن المسيح إله وابن إله مر في بطن أمه كما يمر الماء في الميزاب، لأن الكلمة الابن دخلت من إذنها وخرجت لتوها حيث يخرج الولد، وأن الذي صلب وقتل هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، وهذه الفرقة قد انقرضت بعد القرن الثالث عشر الميلادي، وكان لها أتباع في اليمن والشام[٢]

٧- الإنتحالية:

وأتباع هذا المذهب يعتقدون أن الأب نفسه انتحل هيئة إنسان، أو انتحل عدة هيئات، وتسمى " الموداليسم" "[٣]modalisme "، فعندهم أن الله الواحد الأزلي هو الذي أوحى إلى موسى وقاد شعبه، وهو هو الذي تجسد في الإنسان يسوع الناصري، وهوهو الروح القدس الذي حل على التلاميذ يوم الخمسين[٤] والذي يرشد المؤمنين كما نادى بها سابليوس[٥]

وقد أرجع بعض علماء النصارى أصول هذه الفرقة إلى أنها إفرازات فرقة الموحدين، أو كنيسة الختان[٦]، وفي هذا افتراء على فرقة الموحدين الذين لم يرد عنهم في تاريخ الكنيسة أنهم قالوا

---

١ انظر: الله، ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٥٠ واليهودية والمسيحية للأعظمي ص ٣٩٦

٢ انظر: اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ٨٢ والميزان في مقارنة الأديان ص ١٠٤

٣ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٥٨٢/١

٤ يوم الخمسين: حيث يعتقد النصارى أن الروح القدس انسكب على التلاميذ في يوم عيدالخمسين وهو يقع في اليوم الخمسين بعد اليوم الاثني من عيدالفصح. انظر: أعمال الرسل ٢/١-١٤ وقاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠

٥ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٥٩٥/١

٦ كما يقول القس حنا جرجس في كتابه تاريخ الفكر المسيحي ٥٩٣/١

بأن الله هو الإله المتجسد بنفسه، بل إن هذه المقولة تمخضت من أقوال بولس الذي قرر هذه العقيدة[1] والتي آمن بها جماعات المثلثين.

٨– أتباع هيبولينوس:

وقد كان هذا الرجل عالما بالفلسفة اليونانية معرفة تثير الدهشة، وعالما بالعقائد السرية اليونانية، والتعاليم المصرية في السحر والدين والصوفية، وقد كان يؤمن بأن الله وحيدا في ذاته، ومع ذلك لم يكن وحيدا، لأن معه والحكمة والطاقة والعقل الذي هو اللوجوس بداخله، ثم أخرج الله من ذاته اللوجوس الذي هو الكلمة ليخلق العالم، ثم أمر الله اللوجوس أن يشارك الناس حياتهم، فأصبح الإله المتجسد الأزلي السرمدي، وهو المسيح، فله طبيعة بشرية بتجسده في إنسان وطبيعة إلهية وهي اللوجوس [2]

٩– الالسيزية:

وهي تمزج السحر والتنجيم بالأفكار اليهودية المسيحية، كتابها المقدس أنزل بواسطة ملاك إلى الحكيم السيزاي من أعماق الشرق، فكان يعلم أن ابن الله سيد الملائكة، تجلى في أناس عديدين من ادم إلى المسيح، وكان على الداخل في هذه الفرقة أن يقول: "اشهد السماء والماء والأرواح القدوسة وملائكة الصلاة والزيت والملح على الأرضبأننيسأمتنع من الآن وصاعدا عن الوقوع في الخطيئة وعن الزنى والسرقة والشتم واشتهاء قريبي أو كراهيته ونقض العهود وارتضاء أي شر " ويغطس بكامل ثيابه في ماء العماد، ويغطس أخرى عند فعل خطيئة[3]

١٠– المونتانية:

وهم أتباع منتا أو منتانوس (١١٠–١٨٠)م كان وثنيا فاهتدى — في نظرهم – حيث كان كاهنا لآلهة آسيا الصغرى – إلى المسيحية وشرع يناهض التعليم الكنسي ثم تنبأ بعد ذلك،وتنبأت رفيقتاه، وهما ماكسيميليا وبريسيلا ويرى أن موهبة التنبؤ يمكن أن توهب لكل

١ تيموثاوس الاولى ١٦/٣

٢ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٥٧٣/١–٥٧٥

٣ اانظر: الهرطقة في المسيحية ص ٥١

مؤمن ومؤمنة، ودعا إلى العودة إلى تعاليم الكنيسة الأوليين، وسرعان مانتشرت فكرته في آسيا الصغرى وليون، وقد أعلن مونتا أنه الاب والابن والبارقليط، واعلنت ماكسيميليا بأنها الروح اقدس، وصرخت بريسيلا بأنها المسيح على شكل امرأة، وقد كانوا هم وأتباع هذه الفرقة يتميزون بالزهد، استعدادا لملكوت الله، وقرب نهاية العالم، وعودة المسيح،ودعا إلى الزهد والصوم والزواج، ولهم كتب مقدسة خاصة بهم، وقد كان ترتليانوس من أتباع هذه الفرقة [1] ومن العجيب أن بعض النصارى يرى أن دعوة مونتان لم تعارض دعوة المسيح، فيقول (ولكن تكن دعوته متعارضة مع المسيحية غير أنه يؤمن بأنبياء جدد يلهمها الروح القدس وتبشر برجعة المسيح) [2]

١١- الوحدانية أو الموداالية أو المونارشيانية:

وقد كرز بها على يد شخص يسمى نويت، وقد كانت تنكر التثليث ولا يؤمنون إلا بالاب وحده، وان الاب هو الذي ولد وتألم ومات، وقد لقيت رواجا عظيما، حتى يقال بأن بعض البابوات قد وقع في أسرها[3]

وهذه الفرق النصرانية أهم الفرق التي كان لها أتباع، ولأتباعها صولة وجولة وأثر على التعليم المسيحي، وإلا فإن فرق النصرانية لا يمكن عدها، والحقيقة أن قانون الإيمان النيقوي ثم القسطنطيني ثم قانون مجمع افسس والتي سميت مجموع هذه الثلاثة بقانون الإيمان المسيحي قد تأثرت تأثرا ملحوظا بهذه الفرق مجتمعة، ويبدوا جليا أن صياغة قانون الإيمان المسيحي وعقائده، كانت على أيدي أتباع هذه الفرق المنحرفة عن تعاليم المسيح، فمن هذه الفرق أخذ القول بالوهية المسيح، وأنه ابن الله، والتسجد، والإيمان بالمخلص، وغيرها.

---

١ اانظر: المسيحيون الأوائل ص ١٨٧ و الهرطقة في المسيحية ص ٦٧- ٦٩وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ١/ ٧٢-٧٣

٢ الهرطقة في المسيحية ص ٦٧٦٩وانظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسعد رستم، ١/ ٧٢- ٧٣

٣ اانظر: لهرطقة في المسيحية ص ٦٩-٧٢

وهناك الكثير من الفرق الصغيرة أو التي لم تشتهر بكثرة الأتباع، مما يدل كل ذلك، على أن المسيحية كانت في قرونها الأولى، متأرجحة بين التوحيد والتثليث والتثنية، نتيجة تضافر كثير من الظروف التي لحقت بها وبأتباعها، منذ رفع المسيح عليه السلام.

سادسا: ضياع إنجيل المسيح وانتشار كتابة الأناجيل:

سبق القول بان الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام هو الإنجيل،وأن ذلك الإنجيل قد فقد من أيدي النصارى.

وقد كانت بعد عصر المسيح عليه السلام عدة عوامل أسهمت في فقد ذلك الإنجيل المنزل، منها الاضطهادات المتلاحقة على النصارى، مع عدم تدوينه وكتابته[1] فلم يعتد الناس نشر التعاليم الدينية كتابة في أيام يسوع (كما لم يسع يسوع في حياته إلى تدوين وصاياه وتعاليمه وكان التلاميذ يفضلون التعليم الشفوي على الكتابة فالقديس يوحنا الإنجيلي يقول في إحدى رسائله: (عندي أشياء كثيرة أكتب بها إليكم فما أردت أن أجعلها ورقا وحبرا لكني أرجوا أن آتيكم فأشافهكم ليكون فرحنا تاما)[2] لذا لم تكتب تعاليم المسيح والرسل إلا عندما انتشرت المسيحية في العالم اليوناني والروماني[3]

ونتيجة لذلك بدأ أصحاب كل رأي يكتبون إنجيلا، يرون فيه تجسيدا لآرائهم ومبادئهم وقد نسج المبشرون كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد[4]

ولم يعرف قبل عام ١٤٠م مجموعة النصوص الإنجيلية كما تقول الرهبانية اليسوعية في المدخل إلى العهد الجديد: (ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلف من تلك

---

١ انظر: مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس – العهد الجديد – ص ٨

٢ يوحنا ١٣/١

٣ انظر: مجتمع يسوع، للأب سامي حلاق اليسوعي، ص ١٢٩ و موسوعة الديانات الحية، ر.س. رينز، النصرانية، ج.ج.ديفز، ص ١٢٢

٤ انظر: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، ص ٧٧

المؤلفات صفة ما يلزم، فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحا على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأن لها صفة ما يلزم وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي) [(١)].

وهذه الأناجيل عند النصارى لم تكتب بلغة المسيح التي كان يتكلم بها حيث إن الذي يظهر هو أن المسيح كان يتكلم بالآرامية (فهي اللغة السائدة في الجليل حيث شب وترعرع بسبب كثرة الأجانب فيه، إلم يطلق عليه اسم جليل الأمم) [٢]

ولا شك أن تلك المجموعات تعبر عن آراء من كتبها، خصوصا وأن الإنجيل يعتبر في حيز النسيان لأكثر من قرن من الزمان، إلى أن تعددت كتابة الأناجيل كل حسب هواه، إلى أن اختيرت من بين تلك الأناجيل أربعة أناجيل لموافقتها لآراء من اختاروها وقننت ووسمت بسمات القدسية والنزاهة، وهذه الأناجيل المقدسة لديهم لا تنسب إلى المسيح عليه السلام، بل ينسبونها إلى مؤلفيها، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا وكان ذلك في مجمع نيقية عام ٣٢٥م.[٣]

سابعا: نشأة المجامع النصرانية:

من الآثار التي لحقت بالنصارى بعد رفع المسيح عليه السلام، نتيجة للاضطهادات المتلاحقة وضياع الإنجيل الصحيح الذي أنزل على عيسى عليه السلام ونشأة كثير من الفرق التي يخرج كثير منها عن تعاليم المسيح، بل إن أكثرها مضاد لتعاليم المسيح، وجد النصارى أنفسهم في خضم كل تلك الأمور، تتقاذفهم الأمواج في بحر الوثنيات المتلاطمة، فحاولوا جمع شتاتهم للنظر في النوازل المحدثة ولمحاولة جمع كلمتهم، فعقدوا ما يسمى بالمجامع، والمجامع كما يعرفها "ميشيل جرجس هي: (هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم الرسل

(١) مقدمة الرهبانية اليسوعية للكتاب المقدس –العهد الجديد – ص٩.

٢ مجتمع يسوع، عاداته وتقاليده، للأب: سامي حلاق اليسوعي، ص ١٢٨

٣ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٦٢٦/١-٦٤٠

نظامها في حياتهم إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة ٥١م برئاسة أسقفها يعقوب الرسول للنظر في مسألة ختان الأمم ومن نسجت الكنيسة بعد ذلك على منوالهم)[(١)].

وعرفت مثل هذه الملتقيات الدينية بالينودس Synods المشتق من الكلمة اليونانية سندوس Sundos التي تعني الاجتماع من أجل المناقشة في القضايا اللاهوتية للوصول إلى اتفاق عام حولها، ويعد في الأدبيات المسيحية الاغريقية مصطلح Syond يدل في غالب الأحيان على ملتقيات دينية محلية ضيقة، بينما يعد مصطلح الجمع council عنوانا للاجتماعات المسكونية ذات الصبغة العالمية[٢].

وكان من أهم الدواعي التي دعت لهذه المجامع – كما يذكر مصنف كتاب مجموعة الشرع الكنسي – هو أن (الكنيسة المسيحية شعرت بعد أن أسسها المسيح الفادي الكريم، ابن الله الحي، على صخرة الإيمان، وأثناء جهادها الشاق في القرون الأولى، بالحاجة الماسة إلى تنظيم وظيفة السلطة الدينية، للقضاء في كل خلاف) [٣]

وكان ذلك بعد أن دخل كثير من الوثنيين واليهود في الديانة النصرانية، الذين سعى بعضهم إلى زعزعة الأسس العقدية لديانة المسيح عليه السلام، وساعد على ذلك شتات النصارى وعدم اجتماع كلمتهم، مع عدم وجود السلطة الدينية المتفق عليها فيما بينهم.

يقول نيافة الأنبا يو أنس: (وما لبثت المتاعب أن ظهرت من ناحية الأميين الوثنيين، بعد أن اتسعت دائرة الإيمان، وكثر عدد المؤمنين منهم، أولا: عن طريق الاضطهاد الخارجي الذي أثارته الوثنية، ممثلة في الدولة الرومانية، ضد الكنيسة المسيحية، وثانيا: عن طريق بعض المحاولات التي قام بها بعض المفكرين والفلاسفة الوثنيين المتنصرين لتفسير المسيحية، على

---

(١) نقلا عن كتاب يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٠٣. وانظر: مجموعة الشرع الكنسي،حنانيا الياس كساب ص ١

٢ انظر: النصرانية، د/فتاح عبدالحميد عرفان، ص ٨٢

٣ مجموعة الشرع الكنسي،حنانيا الياس كساب ص ١

ضوء الآراء والفلسفات الوثنية، لتقريبها إلى عقول الوثنيين غير المؤمنين... وكان أمرا طبيعيا إذن أن تواجه الكنيسة المسيحية الناشئة هذه المشاكل الإيمانية العقدية مجتمعة..)[1]

وكان هذا هو السبب الأساس الذي أدى إلى دخول كثير من الوثنيين بهذه الصورة في الديانة المسيحية، حتى إن منهم من لم يتزحزح كثيرا عن معتقداته الوثنية، ويبدوا أن السبب في ذلك، هي التنازلات الكبيرة التي تنازل عنها النصارى لجلب الوثنيين للديانة الجديدة، فقد كان الشروط المشروطة للدخول في هذه الديانة يسيرة جدا بعد كثير من التنازلات من قبل رؤساء الكنيسة، فقد قررت الكنيسة أن أي واحد يؤمن بالعقيدة ويقبل العماد ويشارك بالعبادة ويطيع المراتب اللاهوتية للكنيسة ويؤمن بوجود حقيقة صادقة واحدة هي الحقيقة الصادرة عن الرسل التي جرى تسليمها إليعد مسيحيا خالصا[2]

وأول مجمع للنصارى- في رأي بعض المؤرخين - التأم سنة ٥٠ م، أي كان بعد المسيح عليه السلام باثنتين وعشرين سنة، وذلك للنظر في الداخلين من الأمم إلى الإيمان المسيحي، وما إذا كان لا بد لهم أن يتهودوا أم لا يجب عليهم التهود، وإلى أي حد يجب أن يلتزموا بالناموس الموسوي.

وينسب عقد هذا المجمع إل من بقي من تلاميذ المسيح في أورشليم، وقد حضره كل من بطرس وبولس ويوحنا وبرنابا وتيطس،وربما غيرهم من الرسل، إلى جانب بعض العلمانيين، ورأس المجمع القديس يعقوب أسقف أورشليم باعتباره أسقف المكان[3] ولكن المجتمعون في ذلك المجمع، قرروا فيه إسقاط جميع الأحكام عن الذين يهتدون من الوثنية إلى دين المسيح، سوى أربعة أشياء، وأباح لهم الرسل جميع المحرمات، ما عدا الزنا والدم المسفوح والمخنوق

١ محاضرات في التاريخ الكنسي ص ١١ وأعمال الرسل ١٥/

٢ انظر: التاريخ المسيحي المظلم ص ٣٠

٣ انظر: دليل إلى قراءة في تاريخ الكنيسة، الاب جان كمبي، ص ٢٧ والروم وصلاتهم بالعرب، د/ أسعد رستم، ١/٢٩ و محاضرات في التاريخ الكنسي، نيافة الأنبا يو أنس، ص ١٣ ومجموعة الشرع الكنسي ص ١ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،اسعد رستم، ١/ ٢٣ وعصر المجامع،القمص كيرلس الانطوني، ص ٢١

والمذبوح للأصنام، كما جاء في رسالة ذلك المجمع إلى الوثنيين المهتدين، والتي أوردها سفر أعمال الرسل حي يقول: (فقد حسن لدى الروح القدس ولدينا ألا يلقى عليكم من الأعباء سوى ما لابد منه وهو اجتناب ذبائح الأصنام والدم والميتة والزنى فإن احترستم منها تحسنون عملا)(١).

ولكن مع ذلك، يرى النصارى أن (الظاهرة الواضحة في هذا المجمع أن روح الله يعمل به وفيه)[٢] بينما يرى بعضهم أن حكاية هذا المجمع وحلول روح الله فيه لا يعدوا أن يكون (خرافة)[٣]

وعلى كل حال فقد تتابعت تلك المجامع التي شكلت أسس الديانة النصرانية المحرفة، والتي بنت قراراتها على بعض الآراء الكفرية.

وهذه المجامع تنقسم إلى مجامع مسكونية أو عالمية ومجامع مكانية (٤).

ويعنون بالمجامع المسكونية، هي التي يشهدها ممثلون من جميع الكنائس في جميع الأقطار(٥).

وهو كل مجمع حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة كلها[٦] ويبلغ مجموع هذه المجامع المتفق على مسكونيتها سبعة مجامع وهي:

مجمع نيقية ٣٢٥ م والمجمع القسطنطيني الاول ٣٨١م ومجمع أفسس ٤٣١م ومجمع خلقيدونية ٤٥١م والمجمع القسطنطيني الثاني ٥٥٣م والمجمع القسطنطيني الثالث ٦٨١م ومجمع نيقية الثاني ٧٨٧م[٧]

---

(١) أعمال الرسل ٢٨,٢٩/١٥.

٢ محاضرات في التاريخ الكنسي، نيافة الأنبا يو أنس، ص ١٣

٣ المسيحيون الاوائل ص ٨٩

(٤) انظر: مجموعة الشرع الكنسي ص ١٠ و تاريخ الأقباط ١٧٠/١.

(٥) انظر: عصر المجامع، القمص كيرلس الانطوني ص ٢٢ وتاريخ الأقباط ١٧١/١.

٦ انظر: مجموعة الشرع الكنسي ص ١٠

٧ انظر: مجموعة الشرع الكنسي ص ٤٠، ٣٦٤,٤٤٦، ٤٨٦، ٧٦١، ٢٨٨، ٣٦٤، ٤٤٦، ٤٨٦، ٧٦١

والمجامع الإقليمية، هي التي تعقدها الكنائس في حيزها الخاص، لإقرار عقائد معينة، أو رفضها للنظر في بعض الشؤون المحلية الخاصة (١) أو هي التي يجتمع فيها الأسقف[٢] والقسس[٣] والشمامسة[٤] في مركز الأبرشية[٥] لتدبير أمورهم الخاصة [٦].

وقد ابتدأت منذ منتصف القرن الثاني للميلاد للنظر في بدعة منتانوس[٧]، وعقدت عدة مجامع في أفسس في أواخر القرن الثاني للميلاد وفي فلسطين وبلاد ما وراء النهرين وبلاد البنطس، وقد أشار ترتليانوس في بعض كتاباته إلى أن أول المجامع ورد في رسالة من فرمليانوس أسقف قيصرية فبادوكية إلى القديس كبريانوس في أوائل القرن الثالث[٨]

ومما يدل على انعقادها قبل القرن الثالث للميلاد أن الدسقولية - وهي تعاليم الرسل- تقول في الباب الثامن منها (يكون [أي الأساقفة] اجتماعكم للأحكام يوم الاثنين فإن كان ثمت خصومة فصلتموها وتكونون متفرغون للوعض طول الجمعة إلى يوم السبت لتنقضي

---

(١) انظر: تاريخ الأقباط ١٧١/١،وأضواء على المسيحية، رؤوف شلبي ص ٩٤

٢ الاسقف: هي كلمة مقتبسة عن الكلمة اليونانية ابسكوبوس والتي معناها المشرف، وهي تعد مرتبة من المراتب الكنسية الكهنوتية وورد ذكرها في العهد الجديد خمس مرات. انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢

٣ هم أحد مراتب السلك الكهنوتي في الكنيسة السيحية وخاصة في المذاهب البروتستانتية، ويقومون عادة على رعاية جماعة المصلين. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢٩والموسوعة العالمية ١٦٩/١٨

٤ وهي جمع شماس، وهي كلمة مأخوذة من الكلمة اليونانية دياكونس ومعناها خادم وهي رتبة كنسية كهنوتية، انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٠

٥ الابرشية هي وحدة صغرى من وحدات الكنيسة، وهي جزء من الاسقفية.الموسوعة العالمية، ٦٤/١

٦ انظر: عصر المجامع، القمس كيرلس الانطوني، ص ٢٢ومحاضرات في التاريخ الكنسي للأنبا يو أنس ص ١٨

٧ أو يسمى ميتوديوس، ولد عام ٢٣٠ وتوفي عام ٣١١م، وهو لاهوتي ومتصوف يوناني له عدة كتب كتب ورسائل في الفلسفة والاهوت المسيحي، انظر: معجم الفلاسفة، ص ٦٥٧

٨ محاضرات في التاريخ الكنسي للأنبا يو أنس ص ١٤

الخصومة فإن كان يوم الأحد المقدس تكونون قد أصلحتم بين المتخاصمين ليحضر معكم يا أساقفة الشمامسة والقسوس...)[1]

وهذا يبين أن المجامع الامكانية أو الاقليمية أسبق من المجامع المسكونية بفترة طويلة إذ أن المجامع المسكونية لم تعقد إلا في القرن الرابع بينما المجامع المكانية عقدت قبل ذلك، يقول الكاتب النصراني حبيب سعيد في ذلك (وسرعان ما تقرر كعرف متواضع عليه وقانون مسلم به أن يجتمع أساقفة الكنائس المستقلة في عاصمة الولاية مرة في الربيع وأخرى في الخريف وكان يشترك في مداولاتهم كمستشارين نخبة من الشيوخ الممتازين ويحضرها أيضا عدد من أفراد الشعب كمستمعين وقد تعرضت قراراتهم إلى كل مشاكلالإيمان والنظام وكان مفهوما أن الروح القدس هو الذي هيمن على إجراءات هذا المجتمع المسيحي الحر وقد أشبع نظام المجامع كل المطامع الشخصية وكافة المصالح العامة وما انقضت سنوات قلال حتى عم هذا النظام كل أرجاء الإمبراطورية)[2] مما يبين أن المجامع المسكونية كانت امتدادا للمجامع الإقليمية من جميع النواحي غير أنها أعطيت صفة القداسة والقوة الملزمة للعالم المسيحي والقدرة على عقاب مخالفيها وحرمانهم بقوة السلطان، ويبرهن على حدوث الخلاف بين أتباع الكنيسة منذ وقت مبكر نتيجة عوامل عدة ساهمت في انحراف المسيحية وضياع معالمها الأصلية التي أرسى دعائمها المسيح عليه السلام.

وقد كان الغرض باعتقاد النصارى من إقامة هذه المجامع هو الحفاظ على روح وحدة الكنيسة وتثبيت معتقداتها والوصل إلى الحق [3] إلا أن الملاحظ على تلك المجامع عوضا عن عن أن تكون واسطة لجمع أعضاء الكنيسة قد صارت سببا لتمزيقها كما أقر بذلك بعض النصارى وكانت (إفادتها مقصورة على نوال مشتهيات الرؤساء المجتمعين فقط بأنهم ثبتوا لأنفسهم الدرجات السامية والسلطة المدنية والكنايسية فأعطوا الواحد أسقفية ممتازة عن قسيس وجعلوا الثاني رئيس أساقفة والثالث بطريركا والرابع بابا مع وضايف أخرى منها ما

---

١ نفس المرجع والصفحة

٢ تاريخ المسيحية لحبيب سعيد ٨٩/١

٣انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣

هو دون الشموسية ومنه ما هو متوسط بين الوظايف المذكورة كتوسط الكسر بين الأعداد الصحيحة وزعموا أن ما عملوه هو ترتيب الروح القدس الذي لا يعرفونه وكانت نعمته بعيدة عنهم وهذا مما لا يجب أن نشك فيه حيث لو وجد الروح القدس بينهم لكان ينتهي بانضمام جسم الكنيسة وعدم الخلاف كما حصل ولكن لسوء النية كانت تنتهي مجامعهم بالشقاق وتوطيد انقسام جسد الكنيسة)[1]

فدراسة هذه المجامع يعول عليها كثيرا في بيان تحريف النصرانية بعد رفع المسيح، فترجع أهمية دراسة هذه المجامع إلى كونها الركيزة الأساسية في تغيير معالم النصرانية عن شريعة المسيح، فجل العقائد التي يدين بها النصارى أخذت عن تلك المجامع، فقد رسمت التقاليد الكنسية التي يسير عليها النصارى إلى الآن، وكانت بمثابة أداة بأيدي الأباطرة والملوك ورجال الكنيسة لضرب الحركات التي ترنوا إلى تصحيح الديانة النصرانية.

فتبين مما سبق أن النصارى قد حدث لهم كثير من الأمور بعد رفع المسيح عليه اللام، منذ السنين الأول من رفعه، وكل تلك الحوادث أسهمت إسهاما لا ينكر في ترسيخ مبادئ الانحراف الذي منيت به المسيحية بعد ذلك.

---

١ البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية ص ٧

الفَصْلُ الثَّانِي

أسباب وضع قانون الإيمان المسيحي ومراحل تكوينه

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أسباب وضع قانون الإيمان المسيحي
- المبحث الثاني: مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي

المبحث الأول

أسباب وضع قانون الإيمان المسيحي

مرت على النصارى كثير من العوامل بعد رفع المسيح عليه السلام، أدت في مجملها إلى تقرير قانون الإيمان المسيحي، الملزم الاعتقاد لجميع طوائف النصارى، وهذا القانون له جملة من الأسباب التي أدت إلى إقراره وتقنينه.

ويمكن أن تجمل أهم تلك الأسباب فيما يلي:

أولا: النزاع الشديد بين أهل التوحيد مع غيرهم من النصارى:

لقد كان لنشأة كثير من الفرق والآراء المختلفة بين النصارى وتشتت معتقداتهم وتفرق أهوائهم أثر كبير في نشأة قانون الإيمان المسيحي.

فقد نشأت كثير منها تنسب إلى النصرانية في ظاهرها، ولكنها اختلفت فيما بينها اختلافا كبيرا حتى في أسس العقيدة، ولهذا، فإن الناظر ليذهله الفرق الشاسع، بين العقائد المنسوبة إلى المسيح وتلامذته، وبين عقائد قانون الإيمان المسيحي.

ولهذا صرح بعض المؤرخين بأن مسيحية القرن الرابع، والتي قنن فيها قانون الإيمان المسيحي مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين [1]

وبما أن المصدر الأساس الذي بنيت عليه المسيحية كان في القرن الأول هي تعاليم المسيح، فيعني عند تناقضها مع مسيحية القرن الرابع أن تُقدَم المسيحية المتقدمة على المتأخرة، ولهذا تعتبر مسيحية القرن الرابع دخيلة على دين المسيح لم يقرها بل ولم يشر إليها، وهذه المسيحية الدخيلة هي التي قرر قانون الإيمان المسيحي وفق إرادتها، لا وفق تعاليم المسيح – في نضر بعض المؤرخين –.

وهذا الاختلاف بين مسيحية القرن الأول والقرن الرابع أدى ولا شك إلى تعجل القائمين عل المسيحية في القرن الرابع إلى إقرار قانون يمكن أن يعتمد عليه في نشأة المسيحية الجديدة التي لاتمت إلى مسيحية المسيح بصلة.

---

١ سبق بيان ذلك. انظر: ص من هذا البحث.

ثانيا: ميل الإمبرطور الروماني قسطنطين إلى عقائد المثلثين في مجمع نيقية:

يعد إظهار الإمبراطور قسطنطين اعتناقه للمسيحية وجعلها الديانة الرسمية بعد الاضطهادات العنيفة من قبل أباطرة الرومان قبله، يعد من أهم الأحداث التي مرت في التاريخ العام على المسيحية منذ نشأتها، حيث تمت له السيادة في الغرب اللاتيني، ثم أتبعه بالسيادة في الشرق البيزنطي، بعد بناء القسطنطينية عام ٣٣٠م واتخذها عاصمة له في الشرق، فأصبحت المسيحية خليطا من الثقافة اللاتينية والبيزنطية التي أرسى دعائمها أباطرة الرومان، والتي أرست هي بضلالها على التعاليم المسيحية المحرفة التي قننها قانون الإيمان المسيحي.

لقد كان الإمبراطور قسطنطين وخلفاءه من بعده يعتبرون أنفسهم أصحاب سلطة مزدوجة، فعدوا أنفسهم الورثة الشرعيين لأباطرة الرومان من الناحية السياسية، وعدوا أنفسهم كذلك ورثة السلطة الروحية للرسل والمسيحية بوجه عام، باعتبارهم نصارى، فهم الذين كان لهم القدح المعلى في تحديد معالم الديانة المسيحية، وطقوس العبادات، وأصول العقيدة، وأول أولئك الأباطرة الذي يعد حامي حمى المسيحية المحرفة، بل حامل لواءها هو الإمبراطور قسطنطين[1]

ولهذا فقد وصف قسطنطين نفسه بأنه "عين الله الساهرة على من هم خارج حظيرة الكنيسة"[2]

وعندما ظهر التناحر والتضاد بين أتباع الكنيسة، رأى الإمبراطور قسطنطين الذي أعدم ابنه، وألقى زوجته في الماء المغلي، وهي حية، رأى أن الصورة التي ظهرت بها المسيحية منافية لوحدة الامبراطورية، وفي حقيقة الأمر، لم يكن رفضه لهذه الصورة الغير مشرفة للمسيح نابعا عن غيرة للمسيح وللمسيحية فقط، بل كان يرى من هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية، عاملا خطيرا وهداما لوحدة الامبراطورية الرومانية[3].

---

١ انظر:تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص ٤٤٤-٤٤٥ الفصل الخامس من الكتاب العاشر (١٠/٥) والنصرانية د/ فتاح عبدالحميد عرفان ص ٧٦-٧٨

٢ الامبراطورية الرومانية،تشارلز ورث، ص ٢١٨

٣ انظر : تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٦٢٥ والتاريخ المسيحي المظلم ص ٣٠

لقدر رأى هذا الرجل في المسيحية وسيلة نافعة لتقوية قدرته العسكرية، وفي توحيد الإمبراطورية الواسعة والمضطربة[1]، وقد كان قد اخذ على عاتقه صيانة وحدة الكنيسة، بالطريقة نفسها لصيانة وحدة الإمبراطورية، وهكذا لم تعد تعتبر الهرطقة مجرد جرم ديني، بل تعتبر جرما عاما واعتداء على النظام المدني [2]

فسارع إلى إصدار الأوامر تلو الأوامر، بعقد مجمع يجمع فيه شتات الأساقفة المتناحرين، ولعله خشي أن يتطور الخلاف، إلى خلاف عملي بعد أن كان الخلاف عقدي فيما بينهم[3]

ومن ضمن تلك المراسيم التي دعا فيها أساقفة الكنائس إلى عقد مجمع ما يلي: (قسطنطين أوغسطس إلى كرستوس أسقف سيراكوزا لما بدأ البعض يختلفون فيما بينهما فيما يتعلق بالعبادة الطاهرة والقوة السماوية والعقيدة الجامعة رأيت أن أضع حدا لهذه المنازعات التي بينهم فأصدرت الأوامر بأن يقوم بعض الأساقفة من بلاد الغال وأن يستدعي من إفريقيا الطرفان المتخاصمان اللذان كانا يتنازعان مع بعضهما البعض بعناد وبصفة مستمرة لكي يفحص بكل دقة موضوع النزاع بحضورهم وحضور أسقف روما)[4]

وعقد المجمع بحضور أولئك الأساقفة، ولكن الذي حدث، هو أن ذلك الإمبراطور الروماني مال إلى عقائد المثلثين في مجمع نيقية عام ٣٢٥م حتى يضمن ولاء مصر – برأي كثير من المؤرخين – وذلك كان بهدف السعي إلى وحدة النظام في الإمبراطورية، فأهداف قسطنطين كانت – كما يراها بعض المؤرخين : (كانت أهدافا سياسية حيث رأى أن الديانة النصرانية تنشر على حساب الأديان الأخرى كما أنه أراد أن يكونوا عونا في القضاء على إمبراطورية بيزنطة ليسينيوس وهذا ما تحقق له فيما بعد، وكان قسطنين يعتبر نفسه الكاهن لأعظم للديانة النصرانية وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشمس والانتساب للنصرانية

١انظر: التاريخ المسحي الظلم ص ٣٤

٢ انظر: الهرطقة في المسحية ص ٧٥ وص ١٤٦

٣ انظر: تاريخ الكنيسة ص ٤٤٧

٤ تاريخ الكنيسة ص ٤٤٧

ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت وذلك سنة ٣٣٧م)[١] فاعتناق قسطنطين للمسيحية وجعها الديانة الرسمية، كانت للحصول على امتيازات اجتماعية وأمنية واقتصادية– في رأي بعض المؤرخين –.[٢] وهكذا فإن الديانة المسيحية بعد انقلاب الوضع انقلابا غريبا وشبه محتوم أصبحت تدريجيا دين دولة بعد أن كانت في الأمس دينا محرما[٣]

وقد نقل أسقف قيصرية "ايوزيب" Eusepe قصة نسبها إلى قسطنطين، وذلك أنه عندما أراد أن يأخذ بزمام المسيحية، زعم أنه قد ظهر له صليب في السماء، مكتوب عليه "بهذا تغلب "، فقال لأصحابه: "رأيتم ما رأيت"، قالوا نعم، فآمن حينئذ بالنصرانية، وتجهز لمحاربة مكسنتيوس القيصر، وفي صباح اليوم التالي، رأى قسطنطين فيما يرى النائم، أن صوتا يأمره بأن يرسم جنوده حرف (X) على دروعهم، وفي وسطه خط يقطعه، وينتهي حول أعلاه علامة الصليب، فلما استيقظ، أخبر بما رأى، وخاض المعركة خلف لواء رسم عليه الحرفان الأولان من لفظ المسيح، يربطهما صليب، فلما انتصر على مكسنتيوس، اعترف اعترافا قانونيا كاملا بالمجتمع المسيحي عام ٣١٣م[٤]

---

١ تاريخ أوربا في العصور الوسطى، هـ فيشر، ترجمة محمد زيادة، ص٦-٧ وانظر : حياة قسطنطين العظيم الفصل الثاني والستون من الكتاب الرابع ص ٢٣٥ وعقائد النصارى الموحدين بين الاسلام والمسيحية حسني يوسف الاطير الباب الاول من الكتاب ص ٣٨-٦٧ والفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ٣٩/١

٢ الامبراطورية الرومانية، تشارلز ورث، ص ٢١٨ و ٤٣-٤٢ Ostrog asky: cit. op. نقلا عن اوربا العصور الوسطى ص ٦٢ و دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، الاب جان كمبي، ص ٩٤ وحياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس، ص٨٠ وتاريخ الكنيسة، يوسابيوس ٤٢٨ (٢/١٠) وتاريخ العالم ١٨٧/٤ نشر: جون.ا.هامرتن، وقصة الحضارة ٣٨٥/١١ والتاريخ المسيحي المظلم ص ٣٠ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، اسعد رستم ١/ ١٨٠ و معالم تأريخ الإنسانية ٧٢١/٣ نقلا عن مسيحية بلا مسيح ص ٩٦

٣ انظر: تاريخ الحضارات العام، كروزيه ٥٦٥/٢

٤ انظر: قصة الحضارة ١١/ ٣٨٤ وحياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس، ص ٣٢-٣٤ ومسيحية بلا مسيح ص ٩٦ والتاريخ المسيحي المظلم ص ٣٤

والواقع الذي يظهر، هو أن مناصرة قسطنطين للديانة المسيحية نابع عن اعتقاد بصحة هذه الديانة وصدقها، ويدل على ذلك مجازفته بإقرار الديانة المسيحية على حساب الديانات الوثنية التي كان يدين بها غالبية الشعب الروماني، أمام الأقلية المسيحية، التي لا تتجاوز (عشر سكان الإمبراطورية) [١] لأنه من غير المعقول، أن يرضي أقلية طائفية مستضعفة، أمام طائفة تمثل غالبية الشعب الروماني، فعددهم لا يتجاوز مائة ألف في القرن الثالث، حسب تقدير القديس يوحنا فم الذهب[٢]، وهذا العدد لا يساوي شيئا أمام الأعداد المهولة من سكان الإمبراطورية المترامية الاطراف.

ولهذا فالمرجح — والله أعلم – أن قسطنطين في بداية نصرته للمسيحية نابع عن ارتياح لها، وافق رغبة سياسية قبل معرفته بها حق المعرفة، ولذلك يذكر أنه عندما جاء لمجمع نيقية شكره مقدم المجمع (فرد عليه الإمبراطور شاكرا لملك الكون نعمه الكثيرة)[٣].

ويبرهن على ذلك أيضا ما ذكر من تعميده قبل موته من قبل أحد أتباع آريوس [٤] ويظهر أن اقتناعه بمذهب اريوس لم يكن حين وفاته، بل كان قبله، وذلك عندما استدعى اريوس من منفاه نتيجة قرار مجمع نيقية، ورسمه أسقفا لكنيسة الإسكندرية، ونفى عدوه اثناسيوس في مجمع صور عام ٣٣٤م إلى بلاد الغال، إلى إن مات اريوس، ثم مات بعده بسنة الإمبراطور قسطنطين[٥].

وفي مرض الموت، لا يمكن أن يقبل الإنسان أن يختم حياته بغير ما يعتقد صحته، ويبعد كذلك أن يكون رضاه بتعميده نابع عن ارتجال موقف مصيري كهذا، بل هو نتيجة قناعة

---

١ Vasiliev: op.cit. tome.i.pp.٥٦-٥٨ نقلا عن اوربا العصور الوسطى،عاشور ص ٢

٢ انظر: كنيسة مدينة الله اناطكية العظة، ص ١١٨

٣ كنيسة مدينة الله اناطكية العظة، ص ٢٠١

٤ الهرطقة في المسيحية والقديس اثناسيوس الرسولي، البابا العشرون، سيرته، دفاعه عن الإيمان ضد الاريوسيين،لاهوته، الاب متى المسكين، ص كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، اسعد رستم ص ١٨٩

٥ القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص

وتمحيص، بعد أن كان برهة من الزمن حائرا بين تضاربات رجالات لكنيسة واختلافهم في عقائدها، مما حداه لإقرار قانون الإيمان المسيحي، القائم على التثليث، ثم تعميده على التوحيد بعد تثبته لديه.

وأما قصة الصليب الذي رسمه ورآه قبل ذلك في المنام، فقد نقلت هذه القصة الأسطورية عن أسقف قيصرية، ولا يمكن أن تؤخذ على أنهامسلمة، خصوصا وأن قسطنطين لم يروها، ولم ينقلها أحد عنه، سوى ذلك الأسقف الذي لا يعلم مقصده من ذلك ولا توجهه العقدي، وهي تعتبر كباقي القصص التي تحاك من نسج الخيال وتنسب إلى الأبطال والملوك والأباطرة.

وأما قصة قتله لزوجته وولده – إن صحت–فلعلها قبل اعتناقه المسيحية، ولو افترضنا أنها وقعت بعد اعتناقه للمسيحية، فلا يدل على عدم إيمانه بالمسيحية، وإنما يدل على عدم تمسكه بها لارتكابه أمر مخالف لتعاليمها، مع عدم معرفة دوافع تلك الجريمة، وهي بالتأكيد، أقل جرما من ارتكاب باباوات الكنيسة أنفسهم لقضايا القتل والتعذيب والتنكيل التي لا تعد.

مع أن له من الحسنات التي ذكرت عنه، ما يضعف ما ذكر من مساوئه، حيث ذكر عنه أنه حرم الزنا (واشترع عقوبات قاسية، وشدد في تطبيقها على كل من يرتكب جرم الخطف والاغتصاب وشملت هذه العقوبات المرأة نفسها إذا ثبت أنها وافقت على ذلك وحرم اعتداء المربي على عفاف تلميذته ومضاجعة السيدة رقيقها والعهر بخادمات الفنادق والحانات وأباح ملاحقة التسرر وصعب الطلاق وعني قسطنطين في الوقت نفسه بحماية الضعفاء والمساكين والأبرياء ففرض العقوبات الشديدة على الوشايات والطعون الكاذبة ووضع حدا لقساة السجانين كما منع الأسياد إلى الإساءة إلى أرقائهم والآباء عن الغلاظة في معاملة أولادهم وشجع الاغتناء بالأرامل واليتامى)[1]

---

١ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، اسعد رستم ص ١٨٨–١٨٩

وعلى كل حال، فلقد كان للإمبراطور قسطنطين القدح المعلى في إرساء قانون الإيمان المسيحي أو الموافقة عليه، قبل تعميده على مذهب اريوس.

ثالثا: رغبة النصارى في إنشاء أساس عقدي معتمد يسيرون عليه:

وذلك بعد ضياع الأساس الذي يسيرون عليه، عندما تقاذفتهم الأفكار الوثنية، والمذاهب الفلسفية، وفقدوا إنجيل المسيح، وانفصلت – كثير من فرقهم المنحرفة والتي كانت تهيمن على الكنيسة في كثير من الأحيان– انفصالا معنويا عن تعاليم وشرائع التوراة، وبزوغ الفرق المتناحرة التي يؤمن كل منها حسب ما يوافق هواه، مع الاختلاف الدائر حول شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط، من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، أن أنه ليس مخلوق لأنه كلمة الله، أم أنه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة —كما تقدم –[1]

لأجل ذلك كله، استشعر النصارى ضرورة تحديد قانون يسار عليه في خضم كل تلك الاتجاهات[2]

ولهذا يقول أحد قديسي الكنيسة الأرثوذكسية الاوائل[3]: (عند تعليم العقيدة المسيحية [أي قانون الإيمان] وعند الاعتراف بها، فان الأمر يتطلب أن تستوعب وتحفظ، ما سلمته لك الكنيسة فحسب، والقائم على أساس متين في الكتاب المقدس...فلا ينبغي أن تترك الأرواح لتضيع في غياهب الجهل، لذا فقد اختصرنا كل العقائد الإيمانية المسيحية في سطور قلائل، هذه السطور القلائل أرغب في أن تعيها ذاكرتك، عندما أتلوها عليك، وأن تعيدوا سمعها فيما بينكم بعناية، لا تكتبوها على الأوراق،وإنما احفروها في ذاكرتكم...لذا أقول لكل الحضور:أصغواوأنا أتلوا عليكم ببساطة قانون الإيمان المسيحي...)[4]

---

١ انظر: ص من هذا البحث.

٢ انظر: موسوعة الاديان الحية، ر.س.ريفنز، المسيحية. ج.ج.ديفز، ص ١٨٠

٣ وهو القديس سيريل المقدسي

٤ موسوعة الاديان الحية، ر.س.ريفنز، المسيحية. ج.ج.ديفز، ص ١٨٠

وهذا الاهتمام بالإصغاء والتكريس بالفهم هو لخوف أولئك القديسين من زعزعة الإيمان،أمام بحر الاتجاهات المتلاطمة والأخطار المتفاقمة، والآراء المختلفة بين النصارى، في كل ما يمت للإيمان المسيحي بصلة، بين أتباع المسيحية أنفسهم، (لكي يكونوا قادرين على التغلب على الوثنية المتحضرة... ولكي يكون في وسعه من جهة أخرى أن ينافس التعاليم الفلسفية)[1]

لأجل ذلك كله، ربما رأى المسيحيون في مجمع نيقية ضرورة وضع أساس يلم شعث المسيحية، ويبني عقائدها على قانون، أضافوا له صفة التقديس والتهويل، لتمكينه من قلوب الناس باعتباره القانون المقدس الوحيد للمسيحية، فاعتبروا أن إجماع آباء الكنيسة هو بمثابة الوحي المقدس[2].

كل هذا كان في نفس الوقت الذي كان يتربع على عرش الكنائس النصرانية كثير من القساوسة والرهبان، الذي ليسوا على علم أو تقوى – كما يرى بعض علماء اللاهوت والمؤرخين – [3].

رابعا: تناقض الكتب المقدسة التي بأيدهم وهي الأناجيل ورسائل قديسيهم:

من ضمن أهم الأسباب التي أدت إلى إقرار قانون الإيمان المسيحي **تناقض الكتب المقدسة التي بأيدهم** ولأجل هذا التناقض الحاصل بين نصوصها، اعتبرت الكنيسة أن مطالعة الكتب تغد هرطقة كفرية، وقصروا تفسيرها على رجال الكنيسة.

يقول ميخائيل مينا [4] في معرض تقرير شرعية الكنيسة في تفسير نصوص الكتاب المقدس : (لمعرفة المعاني الصحيحة لآيات الكتاب المقدس التي لا تخلو من الإبهام والإشكال مما يرتج

---

١ الهرطقة في المسيحية ص ٤٦ وانظر موسوعة اباء الكنيسة، عادل فرج عبدالمسيح، ص ٤٠

٢ انظر: آباء الكنيسة، أسعد رستم ص ٤

٣ سر الافخارستيا، القس صوئيل مشرقي، رئيس مجمع كنائس الله الخمسينية، من إصدار الكنيسة المركزية الخمسينية الانجيلية،رقم إيداع ٦٦-٩/٢٠٠٠ نقلا عن نفي الوهية الروح القدس، علي الريس، هادف للنشر والتوزيع

٤ وهو لاهوتي قبطي ومدير كلية اللاهوت بحلون بمصر.

على القارئ فهمه ويحتاج معه إلى بيان واف يقيه شر كلام الله وتعويجه حيث أثبتت الأخبار أنه ما من ضلال إلا وبناه صاحبه على آية من الكتاب أساء تفسيرها واستعمالها وعلق عليها ما شاء من المعاني الغير صحيحة... قال القديس أغسطينوس[1]: (لم يكن مخرج الهرطقات إلا من جهة فهم الكتب الصالحة فهما فاسدا وتأويل ما كان منها غامضا بخلاف ما يمكن تأويله)[2]

ويقول: (كل هذه المذاهب المتعددة الآن في الديانة المسيحية لم تكن سوى وليدة استخراج التعاليم المضادة بعضها بعضا من الكتاب المقدس فلو اتفق المسيحيون عامة على ما تسلمته الكنيسة من الآباء في شرح الكتاب وبيانه لما وجدت هذه المذاهب المختلفة التي وصمت المسيحية بتلك الوصمة المخجلة)[3].

ولعل منع الكنيسة من مطالعة الكتب خوفا على أتباعها من الإطلاع على التناقضات التي امتلأت بها تلك الكتب، أو خوفا عليهم من الردة عن دينهم حينما يطلعون على بقايا النصوص الصحيحة التي بقيت بين ركام التحريف.

ولهذا فإن إباحة مطالعة الكتب كان من ضمن أهم مبادئ الطائفة البروتستانتية التي جابهت بها كنيسة روما، يقول البروتستانت في معرض انتقاد الطائفة الكاثوليكية: (إن الكنيسة الرومانية تشكو أن الانشقاق بالأكثر هو من الكتب المقدسة ومطالعة الشعب فيها كأن الكتب هي ينبوع الضلالات ولا يخفى أن الذين يلومون الكتب هكذا يلومون الذي وهب لنا إياها فهل يجوز لأحد أن يتجاسر هكذا وينسب الانشقاق إلى الله تعالى الذي أعطانا كلامه سراجا لأرجلنا ونورا لسبلنا)[4]

---

١ هو أحد أشهر اباء الكنيسة الغربية، ولد عام ٣٥٤م وتوفي عام ٤٣٠م وكان على مذهب الشك والافلاطونية قبل دخوله المسيحية. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند اباء الكنيسة، المطران كيرلس سليم والاب حنا الفاخوري والاب جوزيف البولسي، ص ٧٢٨ وما بعدها.

٢ علم اللاهوت ٣٢/٤

٣ علم اللاهوت ٣٣/٤

٤ كتب المباحث في اعتقادات بعض الكنائس،ص ٧

ولا يخفى أن الكنيسة الرومانية لا تأذن لرعاياعا بمطالعة الكتب المقدسة، بل تعتني بمنع الشعب عن ذلك، والذي يقرأ تجتهد أن تمنعه عن التأمل في معاني الكتاب، وجميع التابعين لهذه الكنيسة يلتزمون أن يؤمنوا كما تؤمن كنيستهم، وأن يكون اعتقادهم وعبادتهم وعوائدهم نظير اعتقاد الكنيسة وعوائدها، حتى إن الإنسان إذا أذنت له الكنيسة في قراءة الإنجيل، فليس له إذن أن يتفهم معنى ما يقرأه، ولا يجتهد أن يفهم ويفسر الكلام من ذاته، لكنه حينما يقرأ عبارة، فسبيله أولا، أن يطلب مرشدا من علماء الكنيسة، ويسأله على أي صورة تفسرها الكنيسة[1]

ولذا، فلا يبعد عن الحقيقة القول، بأن تلك التناقضات بين نصوص الكتب، أوردت رغبة لدى رؤساء الكنيسة بإيجاد البديل الواضح، الذي يعبر عن مكنونات هوى نفوسهم باسم المسيح والدين والكنيسة، وهو قانون الإيمان المسيحي.

خامسا: منافسة التعاليم الفلسفية التي كانت محددة الأطر وبينة المعالم:

لا شك أن لانتشار التعاليم الفلسفية أثر بارز في نشأة قانون الإيمان المسيحي لدى النصارى، والتي انتشرت في ذلك العصر انتشارا واسعا بين عوام الناس، فضلا عن المفكرين والقادة، لا سيما التعاليم الأبيقورية والرواقية[2]، فأرادت أن تنافس تعاليم الرواقيين أو الأبيقوريين الفلسفية ولذا أدركت أن عليها أن تتمكن من حيازة عقيدة واضحة ودقيقة[3]

ومع ذلك الانتشار الواسع لشتى الفلسفات والديانات، ناهيك عن أن كل ديانة من تلك الديانات تعرض أحسن مالديها، بقصد جذب الداعمين لها والمنتمين اليها في سباق محموم، وقد دخلت المسيحية ذلك السباق، متأهبة للفوز به، ولأجل هذا الهدف، غير روادها كثيرا من طقوسها بل حتى من أصولها، فلم تعد تلك الديانة مجموعة من الحركات والكلمات التي يقوم بها معتنقوها ويقولونها لأن مواطنيهم قاموا بها بل باتت تتطلع إلى حيازة اعتقادات

١ نفس المرجع ص ٨

٢ سيأتي الحديث عن تأثر قانون الإيمان المسيحي بالفلسفة اليونانية.

٣ انظر: لهرطقة في المسيحية، ج. ويلتر، ص ٤٦ و و موسوعة اباء الكنيسة،عادل فرج عبدالمسيح، ص ٣٩

جيدية خاشعة لقوة عليا رحيمة حنونة –كما يقول بعض المؤرخين – (ومن عساه قادرا على استجابة هذا الأمل الكبير غير المسيحيين ؟ هذا الإله الذي ضحى بابنه الوحيد لإنقاذ البشرية وإنقاذ كل إنسان بوجه خاص عن طريق عمل لم يحدث أن فكر به من قبل أي من آلهة الوثنيين)[1]

يقول ج.ج.ديفز، وهو محاضر علم اللاهوت في جامعة بريمنجهام:(لقد كان المسيحيون في القرن الثاني قلقين من تقديم المسيحية للوثني المتعلم لذا فقد أكدوا على أن المسيحية فلسفة حقيقية... لقد نظر إلى الخلاص من خلال فهمه باعتباره مسالة سلوك وأخلاق ومن المهم أن نتذكر أن المسيحية لم تكن..نظاما عقائديا وإنما هي أسلوب حياة نحياه.. كانت المسيحية معروفة حقا باسم الطريق [2])[3]

وعرض المسيحية بهذا العرض الدائر بين السلوك والأخلاق فقط هو في الحقيقة مضاهاة لكثير من الفلسفات الوثنية التي تقوم عل مبدأ السلوك والأخلاق فقط.

سادسا: الحفاظ على إيمان المسيحيين الأوائل:

من أهم أسباب وضع قانون الإيمان المسيحي في نظر واضعوه هو الحفاظ على إيمان المؤنين الاوائل (الذين خيب آمالهم الانتظار العبثي لملكوت الله،الذي بشر به الإنجيل على أساس أنه وشيك جدا، والذي كان يعرف بمجيء المسيح الثاني، أو رجعة المسيح)[4]

وذلك بعد أنأصبح المنتمين الجدد إلى المسيحية بعيدين كل البعد عن تعاليم التوراة التي كان المسيح نفسه متبعا لها [5] مع تقديسهم ضمنيا لنصوصها مما جعل الديانة المسيحية غير واضحة المعالم وغير محددة الأطر فلاهي تمسكت بتعاليم التوراة ولا هي وضعت لها تلك الأسس الواضحة التي يمكن السير عليها، مع العلم بأنه قد فات أوان التراجع عن هذا السير

١ الهرطقة في المسيحية ص ٤٦

٢ أعمال الرسل ٩/١٩

٣ موسوعة الاديان الحية، ر،س.رينز. الديانة النصرانية، ج.ج.ديفز، ص ١٦١-١٦٢

٤ الفهرطقة في المسيحية ص ٤٧

٥ نفس المرجع

الذي سار عليه كثير من المنتمين إلى المسيحية ولقوا حتفهم جراءه، مع تمسك كثير ممن بقي بهذه التعاليم الجديدة الغير واضحة الأطر.

المبحث الثاني
مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي

مرت القوانين النصرانية بمراحل أرست قواعدها، وشيدت بنيانها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، ولم يكن إرساء هذه القوانين دفعة واحدة، وإنما مرت على مراحل عديدة، بل كان كل مجمع من مجامعهم يرسي عدة قوانين للإيمان المسيحي، بل كل فرقة من فرقهم أيضا، وهذا إن دل عل شيء، فإنما يدل على أنه لم يكن هناك أصل يسيرون عليه في نص قوانينهم، وإنما هو اعتماد على الهوى وتثبيت للانحراف.

ولكن هناك ثلاثة مجامع أرست قوانينها فاعتمدت من قبل جميع النصارى المثلثة، واعتنقها جميع المنتسبين الى النصرانية الجديدة، وهي مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، ومجمع القطنطينية عام ٣٨١م، ومجمع افسس عام ٤٣١م، وهذه الثلاثة المجامع لم يختلف فيها النصارى، بل أقرت من جميع فرقهم، ولهذا تسمى قوانين الإيمان المسيحي، ويجملها البعض منهم بتسميتها كلها قانون الإيمان المسيحي، وهذا لا ينطبق على المجامع اللاحقة التي انقسم النصارى حولها، لهذا يعد كل مجمع منها مرحلة من مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي وذلك كما يلي:

المطلب الأول

المرحلة الأولى من مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي وأسبابها

عندما اشتد الصراع والنزاع بين الطوائف المسيحية، وخصوصا بين الموحدة منها، وبين المؤلهة للمسيح، أو بين الاثناسيوسيين والاريوسيين، رأى الإمبراطور قسطنطين ضرورة لم شتات النصارى الذين يشكلون طبقة من بين طبقات الامبراطورية الرومانية -كما سبق -.

وكان أبرز الآراء التي أحدثت ضجيجا كبيرا بين أوساط النصرانية آنذاك، هي حركة آريوس الليبي الذي كان يقول: إن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الابن، وقد هاجم آريوس عقيدة ألوهية المسيح وأزليته ودعا إلى توحيد الإله الأزلي الذي لا يماثله شيء، وكان اريوس يعرف بأنه واعض بارع وزاهد متقشف وذو معرفة دينية[1]، وتعد الحركة الآريوسية مضادة تمام المضادة لتعاليم بولس الذي تبعته عليها كثير من الكنائس لا سيما الكنيسة الإسكندرية، بل إنه يهد الأساس الذي بنيت عليه وهو مذهب تأليه المسيح، ولهذا فإن النصارى يعدون حركة آريوس من أهم الحركات التي واجهت الكنيسة في تاريخها على الإطلاق.

---

(١) انظر تاريخ الفكر المسيحي ٦١٩/١. ومحاضرات في التاريخ الكنسي ص ٢٩ والهرطقة في المسيحية ص ٧٦ والقديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص وكنيسة مدينة الله العظمى، اسعد لاستم، ص وموسوعة الاديان الحية.ر.س. رينز، النصرانية، ج.ج.ديفز، ص ١٤٩ ونظرة عن قرب فيالمسيحية، برابارا براون، ص ٣٦ وكنيستي الرسيانية، المطران اسحاق ساكا، ص٣٩

غير أن اريوس وصف من قبل المخالفين بضد هذه الاوصاف حيث وصف بانه لم يملك اخلاقا دينية وانه صاحب الشرور ولا نير الفكر، انظر: القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص

يقول ج، ويللر.:(تحتل الاريوسية.. المقام الأول من حيث قوتها واتساعها وديمومتها.. كانت كنيسة مستقلة كبرى مع أساقفة ولاهوتيين ومجامع خاصة هزت سلطتها أحيانا سلطة المجامع مستقيمة الرأي.. ولم تختف كليا إلا في الثلث الأخير من القرن السابع)[1]

ويقول حبيب سعيد[2]: (ومنذ أوائل القرن الثالث برزت بقرنيها هرطقة أخرى وكانت على الكنيسة أشد خطرا من سائر الهرطقات وذلك أن كاهنا من كهنة الكنيسة في الإسكندرية يدعى آريوس أعلن جهارا على الملأ أن المسيح لم يكن إلها..)[3].

ويقول مينا ميخائيل: (لقد قام ملحدون كثيرون وهراطقة مفسدون وشكوا في لاهوت ربنا يسوع المسيح منهم من كان في القرون المتقدمة ومنهم من كان في القرون المتأخرة...وأشهر من شك في لاهوت ربنا يسوع المسيح هو آريوس الكافر المشهور)[4]

ولا غرابة أن رأي آريوس في المسيح يقابل بكل قوة وقسوة من قبل القائلين بألوهية المسيح وذلك لأن الاعتقاد برأي آريوس يهدم النصرانية الجديدة من أساسها.

ثم ظهرت إثر دعوة آريوس كثير من الانشقاقات المتأثرة بدعوة آريوس في الكنيسة بصورة مهيبة، وشملت تلك الانشقاقات كثير من الكنائس في الشرق بين الأساقفة والقساوسة والشمامسة والعوام وأبرز من انضم إلى صف آريوس أساقفة نيقوميدية وبيروت وقيصرية فلسطين وغيرها وجمع غفير من كنيسة أسيوط وحتى من كنيسة الإسكندرية الذي ظل أسقفها السكندروس كبير المعارضين لآريوس[5]

---

١ الهرطقة في المسيحية ص ٧٦

٢ هو من أعلام الكنيسة القبطية المصرية، وهو أحد المساهمين في إعداد قاموس الكتاب المقدس من أشهر مؤلفاته: المدخل إلى الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، انظر ك قاموس الكتاب المقدس، قائمة المساهمين في الإعداد، (ك. م)

٣ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٦١٩/١ وقصة الحضارة، ول ديورانت ٣٩٢/١١ وتاريخ المسيحية لحبيب سعيد ١٤٧/١

٤ علم اللاهوت، مينا ميخائيل، ٢٤٧/١

٥ انظر: تاريخ الفكر المسيحي، ٦٢١/١ والقديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص

لهذا حاول أصحاب القول بألوهية المسيح لا سيما زعماء الكنيسة الإسكندرية استدراك الوضع الخطر الذي أحاط بعقيدتهم الوثنية التي أفنوا أعمارهم في سبيل نشرها وتحقيقها، فأصابهم الهلع من تزايد كثرة القائلين برأي آريوس، فبذلوا كثير من الجهود المضنية لثني آريوس عن بدعته حسب اعتقادهم إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع أمام إصراره وتمسكه بعقيدته.

مع ازدياد خشية الإمبراطور قسطنطين أن يؤثر ذلك الاختلاف في وحدة الإمبراطورية فحاول أن يوفق بين المذهبين فأرسل هوسيوس أسقف قرطبة وصديق الإمبراطور إلى الإسكندرية لهذا الغرض ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح.

فلما استيئسوا من ذلك خلصوا إلى عقد مجمع يقرر فيه العقائد التي يرونها، وكان ذلك في مجمع نيقية[١] المسكوني سنة ٣٢٥م وهو بكر المجامع المسكونية بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير لحسم بعض المسائل الدينية وفي مقدمتها المشكلة الكبيرة التي أثارها آريوس[٢]

---

١ نيقية هي العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى وقد تهدمت ولم يبق منها سوى أطلال وفي موضعها الآن قرية أسنيك التركية. انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣١ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،١/ ١٩٧

٢ انظر: معالم في تاريخ الانسانية، ولز، ص ٢٩ والوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الانبا كيرلس مقار، ترجمه من الفرنسية، صاحب مجلة صهيون، الجزء الثالث، ص ١٨ ومحاضرات في التاريخ الكنسي، الأنبا يو أنس ص ٢٤ وتاريخ الفكر المسيحي ٦٢٦/١ Bynes:constantine and the Christian church,pp.١٩-٢٢نقلا عن أوربا العصور الوسطى،عاشور ص ٦٥ وموسوعة الأديان الحية .ر.س. رينز، النصرانية، ج.ج.ديفز، وهو محاضر علم اللاهوت في جامعة بريمنجهام، ص ١٤٩ وقد نظر هذا المجمع في قضايا خلاف قضية آريوس حيث نظر في قضية موعد عيد القيامة ومعمودية الهراطقة وزواج الكهنة وغيرها . انظر : محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣٥ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،ص ١٩٧ وكنيستي الرسيانية، المطران اسحاق ساكا، ص٣٩

وهذا المجمع يشكل علامة فارقة في تاريخ المسيحية وحدثا هاما للمنتسبين إليها فللمرة الأولى اجتمع ممثلون لكل طوائف المؤمنين بصورة رسمية لأجل تحديد ما يحسن الإيمان به [١]
وقد بلغ عدد الآباء الروحيين الذين حضروا المجمع ٢٠٤٨ أسقف وافترقوا إلى ما بين مؤيدين ومعارضين لرأي آريوس، ولكن العدد الأكبر كان مع رأي آريوس.
وقد حضر ذلك المجمع عدد من رؤساء الكنائس من الأساقفة والبطاركة وغيرهم فقيل أنه ٣١٨ أسقفا منهم ٣١٠ من الشرق و٨ أساقفة من الغرب[٢] وقيل أنهم ٣٠٠ أو٢٥٠ وقيل أكثر من ثلاثمائة أسقف وقيل أيضا أن عددهم كان ٢٠٤٨ أسقفا.
أما مذاهب هؤلاء الأساقفة فقد تباينت فيما بينهم تباينا كبيرا في اعتقادهم في المسيح فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البرابرانية.
ومنهم من كان يقول إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية وهي مقالة سابليوس.
ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب.
ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح وطالح وعدل بينهما وهي مقالة مرقيون وأصحابه.
ومنهم من كان يقول: بألوهية المسيح وهي مقالة بولس وأتباعه[٣]

---

١ انظر: الهرطقة في المسيحية ص ٤٥

٢ انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣٢ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،ص ١٩٨

٣ انظر: معالم في تاريخ الانسانية، ولز، ص ٢٩ والوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الانبا كيرلس مقار، ترجمه من الفرنسية، صاحب مجلة صهيون، الجزء الثالث، ص ١٩ وتاريخ ابن البطريق نقلا عن محاضرات في النصرانية ص ١٢٤ وتاريخ الفكر المسيحي ١/٦٢١-٦٢٨ وحنا جرجس الخضري ٦٢٧/١ وتاريخ الكنيسة ليوسابيوس مقدمة المترجم ص والهرطقة في المسيحية ص ٨١

وقد افتتح هذا المجمع الإمبراطورأو من ينوب عنه بخطاب قال فيه:(في رأيي أنه ليس هناك حرب أو معركة اشد ر هبة من الصراع الداخلي في كنيسة الله ذلك أن هذا الصراع عدو ألد من أعداء الخارج)[1]

وما إن بدأ المجمع حتى بدأ الصخب واللغط مما دعا إلى رفع الجلسة وانقضاضها دون نتيجة وفي اليوم التالي قال قسطنطين لآريوس: اشرح مقالتك. فقال آريوس:(أقول إن الآب كان ولم يكن الابن ثم إنه أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما كما قال في إنجيله إذ يقول: وهب لي سلطانا على السماء والأرض فكان هو الخالق لهما بما أعطيت من ذلك ثم إن الكلمة تجسدت من مرين العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحا واحدا والمسيح الآن معنيان كلمة وجسد إلا أنهما جميعا مخلوقان)[2]

فآريوس يرى أن الابن وجد بعد أن لم يكن وهو بكر الخليقة وهو ليس من جوهر الآب بل من جوهر آخر وهو ليس بإله ولا كلي القدرة ولا كلي العلم فهو ليس بإله أزلي ولكنه ارتقى إلى درجة بنوة الله بالتبني[3]

ويذكر بعض النصارى مقالة آريوس بغير هذا الوجه فيذكر أنه قال: (أن الابن ليس مساويا للآب في الأزلية وليس من جوهره وأن الآب كان في الأصل وحيد وأخرج الابن من العدم بإرادته وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب)[4] بينما يرى اثناسيوس إن فكرة الثالوث

---

[1] الهرطقة في المسيحية ص ٨١ وانظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،ص ٢٠٠ ومعالم في تاريخ الانسانية، ولز، ص ٣٠ والوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الانبا كيرلس مقار، ترجمه من الفرنسية، صاحب مجلة صهيون، الجزء الثالث، ص ٢٠

٢ هداية الحيارى لا بن القيم ص ٢٥٩ وانظر: القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص

٣ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٦٣٤/١

٤ محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣٤ وتاريخ الكنيسة القبطية، منسي يوحنا، ص ٢٥١

المقدس تحتم أن يكون الابن مساويا للإله الاب تماما في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه وإن كانا شخصين متميزين[1]

استغل بطريك الكنيسة الاسكندرية اثناسيوس – الذي وصف بأنهأبوالأرثوذكسية[2] – تناقض عبارات آريوس أحسن استغلال فقال له: (تخبرنا الآن أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا) قال آريوس:(بل عبادة من خلقنا) قال البطريك:(فإن كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقا فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الآب الذي ليس بخالق بل تصير عبادة الآب الذي خلق الابن كفرا وعبادة الابن المخلوقا إيمانا وذلك من أقبح الأقاويل) ومما قاله له أيضا:(أنتم أيهاالأريوسيون بكلامكم هذا تبرهنون على ضعف الخالق إذ أنه يكون كأنه لا يملك القوة ليخلق الكون بنفسه فاضطر أن يخلق أداة خارجة عنه، كنجّار يصنع لنفسه أولاً المنشار ! وهل يمكن أن يكون شيء أكثر كفراً من ذلك ؟)[3]

فانحاز قسطنطين إلى لقائلين بألوهية المسيح، بل وفرح بأصحاب ألوهية المسيح وقال لأثناسيوس "أنت بطل كنيسة الله "[4] واتفق الجميع على لعن آريوس وأصحابه وكل من قال بمقالته [5]

ولتقرير عقيدة القائلين بألوهية المسيح أصدروا من ضمن قرارات هذا المجمع قانونا يسمى قانون الإيمان المسيحي أو قانون الإيمان النيقوي أو ميثاق الأمانة وهو كما يلي: (نؤمن بإلهٍ

---

١ انظر: Painter: op.cit.p.١٦ نقلا عن اوربا لعصور الوسطى، عاشورص ٦٥

٢ انظر: القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص واضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية، جيبون، ص

٣ القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص

٤ محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣٤و Cam.med.Hist.vol.i.i.pp.١٢٢-١٢٣ نقلا عنأوربا العصور الوسطى ص ٦٥

(٥) انظر: تاريخ الأقباط وتاريخ الفكر المسيحي ٦٢٦/١ -٦٤٠. ومعالم التاريخ الإنسانية ٧١٩/٣ والمسيحية والحضارة العربية، جورج قنواتي ص ٣٧

واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض: ما يُرى ما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الآب، المولود الوحيد الذي هو من جوهر الآب. إله من إله، نور من نور. إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل وتجسّد وتأنّس وتألم، وقام أيضاً في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء. وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات. وبالروح القدس)[1].

وهذه هي المرحلة الأولى من المراحل التي صدر فيها قانون الإيمان المسيحي ثم لعنوا كل من خالف هذه العقيدة فقالوا (وأما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه ابن الله وإنه لم يكن له وجود قبل أن وُلد، وإنه خُلق من العدم، أو إنه من مادة أخرى أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو إنه قابل للتغيير، أو متغير، فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية) [(٢)].

والذي اقترح أن تضاف كلمة "مساو في الجوهر Homo- ousious هو اثناسيوس غير أن الآريوسين رفضوا وأرادوا أن يستبدلوها بعبارة "Homi- ousiou" أي مشابه في الجوهر، وبعد نقاش كبير قدم رأي اثناسيوس، ولما امتنع آريوس وأتباعه من التوقيع على هذا المعتقد حرم هو وأتباعه وأحرقت كتبه[٣].

ولكن ذلك الحرمان الذي مني به أتباع الحزب الآريوسي لم يمت عقيدة الآريوسيين الموحدين بل الذي حصل هو العكس، فبعد انقضاض المجمع رجع الأساقفة إلى أبرشياتهم وعلم كل منهم بما كان يعلم به سابقا بل إن الأحزاب الطائفية ازدادت وكثرت فقد انقسمت الكنيسة بعد انقضاء مجمع نيقية إلى أحزاب ثلاثة وهي:

---

١ علم اللاهوت النظامي ص ١٧٠ وتاريخ الفكر المسيحي ٦٣١/١.والهرطقة في المسيحية ص ٨٢ .

(٢) علم اللاهوت النظامي ص ١٧٠ وتاريخ الفكر المسيحي ٦٣١/١.والهرطقة في المسيحية ص٨٢.

٣ انظر : موسوعة الاديان الحية.ر.س. رينز، النصرانية، ج.ج.ديفز، ص ١٥٠ ومحاضرات في التاريخ الكنسي ص ٣٤ ومجموعة الشرعة الكنسي ص ٤١و٩٧و١٠٠ وعلم اللاهوت النظامي ص ١٧٠ وتاريخ الفكر المسيحي ٦٣١/١ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،١/ ٢٠٣.

١-حزب أثناسيوس أو حزب الأرثوذكسيين المتمسكين بقانون إيمان نيقية

٢-حزب الآريوسيين

٣-الحزب نصف آريوسي حيث حاول أن يجمع بين عقائد الحزبين وكان على رأسه يوسابيوس القيصري فقالوا بأن الابن هو طبيعة الله بل صورة الله ولكنه ليس من طبيعة الآب ولهذا رفضوا القول " مساو للآب في الجوهر" [١]

وقد بقي الحزب الاريوسي حتى بعد الحرمان وانتشرت أفكاره في أنحاء كثيرة من الإمبراطورية حتى إنها انتقلت إلى الأمم الجرمانية[٢]

وانتشرت تعاليمه بين الكثير من أتباع المسيحية يقول القس جيمسأنِس: "فإن التاريخ يروي كيف أن الكنيسة المنظورة وقادتها أخطئوا وانحرفوا عن الحق، منها قبول أغلب الأساقفة ضلالة آريوس"[٣]

ويقول اسعد رستم: (وتجاوزت البدعة من اريوس وزمرته إلى غيرهم فانتشرت في سنتها الأولى في جميع الأوساط المسيحية في الشرق) [٤]

حيث إن الأمر لم يدم طويلا على نفي اريوس حتى دعي اريوس من منفاه ورسم أسقفالكنيسةالإسكندرية ونفي اثناسيوس إلى بلاد الغال إلى إن مات اريوس ثم مات بعده بسنة أمر الامبراطور قسطنطين بعودة اثناسيوس فعاد اثناسيوس إلى الإسكندرية لينشر تعاليمه مرة أخرى.[٥]غير انه جوبه مجابهة شرسة من الاريوسيين المدعومين بالأباطرة ة الذين اقتنعوا بالاريوسية.

---

١ تاريخ الفكر المسيحي ١٧/٢ وموسوعة آباءالكنيسة، عادل فرج عبدالامسيح، ١٥٥/٣.

٢ انظر : أوربا والعصور الوسطى،عاشور ص ٦٦ القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص

٣ علم اللاهوت النظامي، القس جيمس انس، ص ٥٦.

٤ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،ص ١٩٦ وانظر : معالم في تاريخ الانسانية، ولز، ص ٢٩ والوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الانبا كيرلس مقار، ترجمه من الفرنسية، صاحب مجلة صهيون، الجزء الثالث، ص ٢٢ .

٥ انظر : القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص .

فعقدوا عدة مجامع منها ، مجمع قيسارية ٣٣٤م ، وصور ٣٣٥م ، وقد قرر المجتمعون في مجمع صور عزل أثناسيوس البابا كما نفوه إلى فرنسا ، ثم عقدوا مجمعاً آخر في إنطاكية عام ٣٤١م حضره سبع وتسعون أسقفاً أريوسياً ، قرروا فيه مجموعة من القوانين التي تتفق مع مبادئهم ومعتقداتهم.[١]

ثم عقدوا مجمعا اخر في سنة ٣٥٧م وحرموا فيه الإشارة إلى الجوهر والمساواة في الجوهر الواردة في قانون الإيمان المسيحي لأنها لم ترد في الكتاب المقدس ولأنها تقلق المؤمنين وأكدوا عظمة الاب على الابن وتفوقه عليه [٢]

إن كثرة الاريوسيين وقوتهم جعلت البابا اثناسيوس يبدو وحيدا حتى (قيل له مرة: العالم كله أصبح ضدك يا اثناسيوس.. حت عرف في الغرب بهذا اللقب Athanasius cotra mundum)) أثناسيوس المضاد للعالم)[٣].

واستمروا على ذلك الحال وعقدوا عدم مجامع في تقرير عقائد الاريوسية كمجمع ميلانو ٣٥٥م وعام ٣٥٩ ومجمع أنطاكية عام ٣٦١م إلى إن جاء الإمبراطور يوليانوس فأعاد اثناسيوس وأساقفته إلى إعمالهم وجاهر بعبادة الأصنام وخلفه الإمبراطور بوبيانوس ٣٦٣م فأكمل ما بدأه بوليانوس وعادى الاريوسيين وقال مخاطبا شعبه "إذا أردتم إن أكونإمبراطوركم كونوا مسيحيين مثلي" وحرم مذهب اريوس ونشر مذهب اثناسيوس فعادت الكفة ترجح ميزان الاثناسيوسيين في ميزان القوة[٤]

---

١ انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الاسلام والمسيحية، حسني الاطير، ص ٦٦-٨٤وطائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، احمد عبدالوهاب، ص ٢٢-٣٣ والقديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،ص٣٠٩-٣١١.

٢ انظر: كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،ص٢٢٨.

٣ موسوعة الانبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن) ص ٢٥٢ .

٤ انظر: القديس اثناسيوس الرسولي، الاب متى المسكين، ص كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،ص٢٣٤-٢٣٥

ومن هنا يتضح بكل جلاء ماورثه هذا المجمع من الانحراف في الديانة النصرانية وإقراره لهذا القانون الوثني إذ أن معظم النصارى كانوا من الموحدين قبل انعقاد ذلك المجمع – و يتضح ذلك من خلال الأساقفة المؤيدين لآريوس وهم كانوا يمثلون شعوبهم النصرانية وأن الاثناسيوسة لم تطهر وتتقو إلا بمساندة الأباطرة المخالفين للاريوسية والذين اعتنقوا قانون الإيمان النيقويالذي أصبح الشعار المقدس للنصرانية فلم ينقص منه شيئا بل زيد فيه ألوهية الروح القدس ووالدة الإله فيما بعد في انعقاد المجمع القسطنطيني ثم مجمع أفس –كما سيأتي –.

المطلب الثاني

المرحلة الثانية من مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي وأسبابها

من المعلوم أن قانون الإيمان المسيحي لم يكتب كله في نيقية عام ٣٢٥م، بل أكمل بعد ذلك بستة وخمسين سنة تقريبا، وذلك في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، وذلك عندما نادى أسقف القسطنطينية مكدونيوس بعدم ألوهية الروح القدس، إلى جانب ظهور بعض البدع الثانوية، كبدعة أبوليناريوس، الذي كان أسقفا على اللاذقية والشام، الذي أنكر وجود نفس بشرية في المسيح، وأن الذي صلب هو الذات الإلهية في المسيح، وأن الله المسيح وروحه كانا إنسانيين، ولكنهما استبدلتا باللوجوس "الكلمة" الإلهي، وكان يقول: بأن المسيح مؤلف من ثلاثة جواهر، الجسد والنفس الحيوانية واللاهوت، وانتشرت آنذاك أيضا دعوة سابليوس الذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم ودعوة أوسابيوس وكان يقول: بأن الثالوث القدوس إله واحد ظهر في العهد القديم كآب وفي العهد الجديد كابن وحل على الرسل كروح القدس[1]

ولكن كان الأمر المهم في هذا المجمع، هو النظر في بدعة مكدونيوس، الذي كان يقول بأن الروح القدس ليس بإله، وتأتي أهمية هذا المجمع من حيث اعتباره امتدادا لمجمع نيقية المسكوني لدى النصارى، وتكملة لما بدأه ذلك المجمع، من وضع لبنات الثالوث المقدس، ويدل على ذلك ما جاء في القانون الأول من قوانين هذا المجمع وهو: (لا يجوز إغفال الآباء الثلاثمائة والثمانية عشرة الذين اجتمعوا في نيقية من أعمال بيثينية بل يجب أن يبقى ثابتا مؤيدا)[2].

---

١ انظر: كيف نفهم علم اللاهوت، رت كندل،٣٠/٣تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري ٥٩/٢ و ٦٦٥/١و تاريخ الأقباط لزكي شنودة ١٧٦/١ ومحاضرات في التاريخ الكنسي ص ٤٠ ومجموعة الشرعة الكنسي ص ٢٥٩ و ٢٥٧ وعلم اللاهوت النظامي ص كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،ص٢٥٥ .

٢ مجموعة الشرعة الكنسي ص ٢٥٧ وتاريخ الفكر المسيحي ٦٦٥/١.

ويؤيد ذلك أيضا، ما ورد في الخطاب الذي رفعه هذا المجمع بعد نهايته إلى الإمبراطور وجاء فيه: (إننا عندما اجتمعنا في القسطنطينية تلبية لرسالة تقواكم جددنا قبل كل شيء عهد وحدتنا في القلب أحدنا مع الآخر ثم أعلنا تحديدات موجزة تثبيتا لإيمان آباء المجمع النيقوي وإبسالا للبدع التي برزت مخالفة لهذا الإيمان..)[1].

ولهذا فإن القول بأن هذا المجمع ليس امتداد لمجمع نيقية وأنه لا علاقة له بالقانون النيقاوي[2]، قول شاذ لا يعتد به.

وكان من ضمن أهم الأسباب الخفية التي أسهمت في عقد هذا المجمع بل وإلى اختلاف المفاهيم حول الروح القدس آنذاك هو أن مجمع نيقية الذي قرر ألوهية المسيح وأنه ابن الله لم يتعرض للروح القدس بل وردت فقرة تدل على مجمل الإيمان به وهي (نؤمن بالوح القدس) –كما تقدم – ولم يتطرق إلى تقرير ألوهيته من عدمها.

وقد حضر هذا المجمع ١٥٠ أسقفا كلهم شرقيين إذ لم يحضره أحد من أساقفة الغرب [3] وكان الذي حمل لواء القول بألوهية الروح القدس هو بطريريك الإسكندرية[(٤)]

وفي داخل هذا المؤتمر (دعي مكدونيوس لعرض اعتقاده فبدأ يقول: إن روح القدس مخلوق مستندا إلى الآية "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" [5] فأجاب آباء المجمع قائلين: إنه لايوجد لدينا إلا روح واحد هو روح الله ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئا غير

١ مجموعة الشرعة الكنسي ص ٢٥٥ وكنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ص٢٥٨.

٢ كما يزعم بعض علماء النصارى، انظر: مجموعة الشرعة الكنسي ص ٢٤٥ .

٣ انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٤١ كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى،ص٢٥٦.

(٤) انظر: تاريخ البطاركة، للقديس أنبا يوساب، أسقف فوة القرن ١٣م، مكتبة المحبة،ص٤٧ نقلا عن نفي الوهية الروح القدس، علي الريس، ص ٢٠٢ و تاريخ الفكر المسيحي ٦٦٤/١. ومجموعة الشرع الكنسي ص ٢٤١ وتاريخ الكنيسة ١٠٤/٣ وتاريخ المسيحية حبيب سعيد ١٠٤/٣ ونشأة الطوائف المسيحية ٤٥/٣ كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى،ص٢٥٨.

٥ يوحنا ٣/١ .

حياته وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فيصبح حسب زعمك غير حي فهنا الكفر الفظيع والخطأ الشنيع)[1]

ويقول ابن البطريق[2] عن بعض أحداث هذا المجمع (قال تيموثاوس بطريرك الإسكندرية ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئا غير حياته فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن حياته مخلوقة وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن) ولا شك أن هذا الكلام ساقط في مقدماته وبالتالي لا عبرة بنتائجه فقوله إن روح القدس هو روح الله غير مسلم له ولا يستطيع أن يأتي بدليل على ذلك وإنما هو رسول من رسل الله الملائكة إلى أنبيائه) (٣)

وعلى كل حال، فقد تقرر فيه ألوهية الروح القدس وأكمل قانون الإيمان النيقوي الذي قرر في مجمع نيقية وهذا النص المكمل لقانون نيقية: (ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونرتجي قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي آمين)[4] ووضع المجمع سبعة قوانين لسياسة الكنيسة الأول منها يعلن التمسك

---

١ تاريخ البطاركة، للقديس أنبا يوساب، أسقف فوة القرن ١٣م، مكتبة المحبة،ص٤٧ نقلا عن نفي الوهية الروح القدس ومحاضرات في التاريخ الكنسي ص ٤٣ .

٢ سعيد بن البطريق : هو طبيب ومؤرخ مسيحي، ولد في الفسطاط في ٢٦٣ هـ .وأبدع في الطب وكان بطريركا على الإسكندرية وسمي أوثوشيوس له عدد من المصنفات أشهرها كتابه في التاريخ نظم الجوهر المعروف أيضا بتاريخ ابن البطريق توفي عام ٣٢٨ هـ. انظر: عيون الانبا في طبقات الاطباء لابن ابي صبيعة ص ٥٤٥ والوافي بالوفيات للصفدي ٥/٥٤ .

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية ص١٢٢.

٤ مجموعة الشرعة الكنسي ٢٤٥ وتاريخ الفكر المسيحي ١/٦٦٥ وعلم اللاهوت النظامي ص ١٧١.

بدستور الإيمان في مجمع نيقية ورفض كل التعاليم الغريبة عنه [1]وهناك فروقات طفيفة بين القانون النيقوي والقانون القسطنطيني لا تؤثر في الخطوط العريضة عل ذلك القانون[2].

---

١ انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٤٤ والمسيحية من التوحيد إلى التثليث للحاج ص ١٨٣.

٢ انظر: ص من هذا البحث.

المطلب الثالث

المرحلة الثالثة من مراحل تكوين قانون الإيمان المسيحي وأسبابها

تعد هذه المرحلة مرحلة تثبيت للقانون السابق في مسألة ألوهية المسيح الابن والروح القدس في المرحلتين السابقتين،، إلا أنها زادت عليهما بأن وضعت مقدمة قانون الإيمان المسيحي التي تثبت أن المسيح له طبيعة واحد، وذلك في مجمع أفسس عام ٤٣١م، إلا أنه سرعان ما نقض هذا القانون في مجمع خلقديونية عام ٤٥١م، ولهذا يمكن أن يعد قانون هذا المجمع قانون مسكوني من جهة وقانون ليس مسكونيا من نفس الجهة أيضا، وذلك أن هذا المجمع قرر فيه بالإجماع اعتبار الطبيعة الواحدة للمسيح والاعتقاد بأن مريم والدة الإله من قبل رؤساء الكنائس، لكن سرعان ما نقض بعد ذلك في مجمع خلقديونية من قبل رؤساء الكنائس أيضا، ولهذا يمكن ذكره في مراحل تكوين قانون الايمان المسيحي باعتبار وضعه لمقدمة القانون التي نص فيها على الطبيعة اللاهوتية للمسيح، وأن اللاهوت والناسوت متحدان في أقنوم الكلمة، وأن السيدة العذراء هي والدة الإله.

ولهذا يتمسك الارثوذكس بأن نتائج هذا المجمع في طبيعة المسيح قد (اعترفت به كافة الكنائس المسيحية شرقا وغربا)[1]

بينما لا يمكن اعتباره قانونا مسكونيا مسيحيا مقبولا على اعتبار أنه نقض بعد ذلك واعتبرت نتائجه باطلة من قبل الكنيسة الكاثوليكية [2].

ولكن الذي يهمنا هنا، هو أنه قد حصل إجماع عليه في وقت من الأوقات في مجمع مسكوني، يمكن أن يعد آخر المجامع التي نتج عنها اتفاق بين عموم النصارى.

وكانت مهمة هذا المجمع هو تحديد طبيعة المسيح فقط، فلم يعد الاختلاف بين لاهوتي ومعلمي القرن الخامس للميلاد اختلافا على وجود اللاهوت في المسيح، بل أصبح النزاع مركزا على كيفية الطبيعة اللاهوتية للمسيح، هل هي متحدة مع ناسوته أم أن طبيعته

---

١ عصر المجامع القمس كيرلس الانطوني ص ٢٦ .

٢ كما سوف يتبين ذلك خلال هذا البحث.

اللاهوتية هي الوحيدة في المسيح؟، وهل حل الكلمة الأبدي في يسوع المسيح الإنسان ثم رفع بسبب تقواه إلى درجة اللاهوتية ؟ أم حل الكملة في بطن العذراء مريم عند سماعها للبشارة ؟ وهل الجنين الذي كان في بطن مريم هو الله ؟ أم أنه هو الإنسان الذي اتحد الله به عد خروجه ؟ وهلا تدعى مريم والدة الله ؟ أم هي والدة الإنسان؟إلى غير ذلك من التساؤلات والآراء الكثيرة[1] .

كل تلك الأسئلة هي مثارات التنازع بين معلمي الكنيسة، ويبدوا أن أهم تلك الآراء التي ظهرت آنذاك هي بدعة نسطور أسقف القسطنطينية التي (كانت هي السبب المباشر في عقد المجمع) [2] حيث نادى بأن المسيح طبيعتين وشخصين وأقنومين لاهوتية وناسوتية، فهو شخصية إنسانية خالصة، إلا أن الألوهية حلت فيه على سبيل الامتزاج، ولذلك نفى أن تسمى مريم أم المسيح، والدة الإله""theotokos"[3]، ويعتبر مذهبه (محاولة للعودة إلى التوحيد)[4] حيث كان قد أظهر رأيه فقال: (إن هذا الإنسان الذي يقول: إنه المسيح بالمحبة متحد مع الأب ويقال إنه الله أو ابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة)[5].

وأخذ يبرهن على صدق معتقده في أن مريم لم تلد إلها (لأنه لا لجسد ان يلد إلا الجسد والله وهو ورح خالصة لا يمكن ان يكون ولد من امراة لم يتمكن المخلوق من انجاب الخالق ومريم لم تلد الا النسان الذي تجسد فيه كلمة الله) فمريم ولدت إنسانا ولكنه كان إلها وعلى

---

١ انظر: تاريخ الفكر المسيحي ٢/١٥١ .

٢ محاضرات في التاريخ الكنسي ٤٩ وحنانيا الياس كساب ص ٣٧٥ وحنا جرجس الخضري ٢/٢٤٢

٣ انظر: the worlds religions, pp ١٤٦ noss p, ٤٨٠- ninian smart, p ٢٦٠نقلا عن النصرانية لفتاح عبدالحميد ص ٩١ والهرطقة في المسيحية ص ٩٢ وعصر المجامع، القمس كيرلس الانطوني ص ٢١٦.

٤ المسيحية لأحمد شلبي ص ١٨٩.

٥ تاريخ ابن البطريق ١/١٦٥ نقلا عن المسيحية لعبد المنعم فؤاد ص ٢٦٦ ونقله شيخ الاسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٧٧٢ وتاريخ الفكر المسيحي ٢/١٦٥.وكنيستي الرسيانية، المطران اسحاق ساكا، ص ٣٨

هذا فمريم لا تسمى والدة الإله بل والدة المسيح الإ،سان وقد جاء اللاهوت لعيسى بد ولادته أي اتحد عيسى بعد الولادة بالأقنوم الثاني اتحادا مجازيا فمنحه ووهبه النعمة[1].

ويذكر عن نسطوريوس قصة لعلها كانت السبب في مراجعته لأفكار أمومة مريم لله وهي أن اخت الامبراطور أرادت أن تدخل الهيكل لكي تتناول العشاء الرباني كعادتها بداخله بعد تولي نسطوربيوس فمنعها من دخوله وأخبرها بأن لا يدخله إلا الكهنة وشددت عليه في الدخول وشدد لها في الرفض فقالت له: "ألا يحق لي بأن أدخل إلى هذا المكان لأنني لم ألد الله" فقال لها : "أنت ولدت الشيطان"[2]، وهذه القصة كانت قبل نفيه لأمومة المسيح لله وأنها ليست والدة الإله، وبعد تصريحه بهذا الأمر أخذ يدعوا الناس إلى اعتناق هذه العقيدة، التي هي في الحقيقة مسكوت عنها في قانون الإيمان المسيحي في المرحلتين السابقتين.

وهذا ما أغاض الكنيسة الإسكندرية التي كان يترأس البابوية فيها كيرلس الذي حاول بشتى الطرق والأساليب في سبيل ثني نسطور عن موقفه إلا أن كل تلك المحاولات قوبلت بالصد الشديد من قبل نسطور مما دفع بابا الإسكندرية إلى أن أرسل إلى الإمبراطور ثيودسيوس يعمله ببدعة نسطور فأمر بعقد مجمع في إفسس عام ٤٣١ م وكان عدد الحاضرين مائتي أسقف برئاسة بابا الاسكندرية كيرلس،وابتدأت أحداث المجمع إلا أن نسطور لم يحضر رغم وصوله إلى أفسس وأرسل إليهم يخبرهم بأنه لا يرى ما يدعوا لحضوره ومن ثم ابتدأت الجلسة وصدر الحكم غيابيا على نسطور حيث جاء في الحكم عليه: (لهذا رأينا على القوانين المقدسة أن نبرز ضده هذا الحكم بكل حزن ودموع سائلين المولى بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية وليكن مفرزا من أية شركة كهنوتية)[3]

---

١ انظر: تاريخ الأقباط لزكي شنودة ص/١٥٩ والهرطقة في المسيحية ص ٩٢

٢ تاريخ الفكر المسيحي ١٦٠/٢

٣ محاضرات في التاريخ الكنسي ٥٢ وانظر : تاريخ الأقباط ١٦/١ والهرطقة في المسيحية ص ٩٣ وكنيستي الرسيانية، المطران اسحاق ساكا، ص ٣٩

وأرسلوا كتابا لنسطور جاء فيه:(اعلم أنه لأجل تعاليمك النفاقية وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة وحكم عليك بأنك عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة وغريب من كل خدمة كنسية)[1]

وأصدر المجمع بعض القرارات أهمها القول بأن مريم والدة الإله حيث جاء فيه، والتي أصبحت مقدمة قانون الإيمان في هذا المجمع بما نصه:" نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء المقدسة، والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، أكليل الشهداء، تهليل الصدّيقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا ربّ ارحم ، يا ربّ بارك آمين"[2]

وأثبت فيه أيضا من قراراته: (أن المسيح له طبيعة واحدة و مشيئة واحدة طبيعة إلهية بشرية لا ينفصلا " لاهوت و ناسوت "و مشيئة "إرادة" بشرية إلهية لا ينفصلا وأن العذراء ولدت إلها" وتدعى لذلك أم الإله)"[3]

وقرر في الجلسة الختامية قوانين لسياسة الكنيسة قرر في الستة الأولى منها الحرم على كل من ينحرف عن الإيمان القويم وفي القانون السابع تحذير وحرم كل من يعبث بقانون الايمان الذي وضعه الآباء بزيادة أو نقص مع سن قوانين أخرى[4]

ولكن تعاليم نسطور لم تمت بحرمه وإنما تمسك فيها من تتلمذ عليه ونشروها حيث هربوا إلى مدينة نصيبين بالشام ومعهم بعض الكهنة وهناك شيدوا مقرا لهم وأقاموا رئيسا عليهم ودعوه "جاثليق" وعملوا على نشر دعوتهم في بلاد فارس قم الى الجزيرة العربية ثم كاشور والهند

---

١ محاضرات في التاريخ الكنسي ٥٤.

٢ العذراء في التاريخ الكنسي للقس يوسف أسعد ص ٥٣.

٣ تاريخ ابن البطريق ١٥٧/١وحنانيا الياس كساب ص ٣٥٧ ومناظرة بين الاسلام والنصرانية ص ٢٥١ .

٤ انظر: مجموعة الشرعة الكنسي ص ٣٢٢ وتاريخ الفكر المسيحي ٢٤٢/٢ وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٢١٩/٣ محاضرات في التاريخ الكنسي ٥٣ وتاريخ الأقباط لزكي شنودة ١٧٨/١ .

والصين وغيرها وما زال بعض النساطرة حتى الآن في بعض هذه الأقاليم خاصة في شمال العراق[1] ثم أعقب هذا المجمع مجمع خلقديونية عام ٤٥١م قرروا فيه أن المسيح له طبيعة واحدة ونفوا القول بالطبيعتين[2]، وهذا يعد من أبرز الخلاف بين الطائفة الكاثوليكية والطائفة الارثوذكسية.

إلا أن الجدير بالذكر ، أن كلا الطوائف المفترقة في هذا المجمع والمؤلهة للمسيح قد اتفقت بعد ذلك تدريجيا على أمر خطير ، ألا وهو الاعتقاد بألوهية مريم ، نعم ، اتفقوا على أن لها خصائص الألوهية حتى ولو لم يصرحوا بألوهيتها ، فهي والدة الإله "theotokos"[3] وأم الله[4] وهي المحامية والنصيرة والظهيرة والشفيعة والوسيطة[5] وهي التي تشترك في اللاهوت مع ابنها[6]

---

١ انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي ص ٥٦ وجورج قنواتي، ولويس غارديه وج ص ٣٧٣ والشرفي ص ٩٣ وجون لويمر ٢٢١/٣ والهرطقة في المسيحية ص ٩٤ وعصر المجامع القمص كيرلس الانطوني ص ٢١٨.

٢ سوف يأتي الحديث عن اختلاف النصارى في طبيعة المسيح ضمن الفصل التالي.

٣ انظر: التعليم المسيحي الكاثوليكي (المسيحية في عقائدها) ص ١٩٥ و the worlds religions, pp ١٤٦ noss p, ٤٨٠- ninian smart, p ٢٦٠نقلا عن النصرانية لفتاح عبدالحميد ص ٩١ وتاريخ ابن البطريق ١٦٥/١ نقلا عن المسيحية لعبد المنعم فؤاد ص ٢٦٦وتاريخ الفكر المسيحي ١٦٥/٢ و تاريخ الأقباط لزكي شنودة ص/١٥٩.

٤ انظر: بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الارثوذكسية، من ظلام الارثوذكسية إلى نور المسيح، د/حنين عبدالمسيح، ط١ ٢٠٠٩م، ص ٥٣ و حياة مريم أم يسوع للأب فرنسيس قندلا اليسوعي ص ٦٠.

٥ كما جاء في وثيقة بابوية في عهد بابا روما لاون الثالث عشر بعنوان "مريم وسيطة النعم" بتاريخ ١٨٩١م، انظر الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها ٦٩١/٢ .

٦ انظر: كتاب خلاصة اللاهو ت المريمي للأب أوغسطين دوبرة لاثور ص ٩٦ نقلا عن عبادة مريم في المسيحية، معاذ عليان، مكتبة النافذة،ط١، ٢٠٠٩م ص ٥٥ .

وهي التي بعد أن ماتت رجعت روحها في اليوم الثالث وصعدت إلى السماء [1] ووضعت صلاة رسمية أصبحت مقدمة لقانون الإيمان المسيحي وهي كما يلي : (نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالمأتى وخلص نفوسنا المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غفران الخطايا ..) [2]

يقول القديس ميتوديوس الذي يقول : (إن اسمك يا أم الله ممتليء نعما وبركات ... أنت أم الخالق ومغذية مغذي الكل) [3]

وهي التي تصرف لها أنواع العبادات فهي التي يتضرع إليها ويستشفع بها [4]

---

١ انظر : نساء الكتاب المقدس، الياس مقار، ص ١٩٩

٢ بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الارثوذكسية، من ظلام الارثوذكسية إلى نور المسيح، د/حنين عبدالمسيح، ط١ ٢٠٠٩م، ص ٥٣

٣ حياة مريم أم يسوع للأب فرنسيس قندلا اليسوعي ص ٦٠

٤ انظر: كتاب التضرعات والصلوات، مكتبة المحبة،١٩٤٧م ص ٣٣٧، نقلا عن عبدة مريم غي المسيحية، معاذ عليان، ص ٨٤ بدعة تأليه العذراء وعبادتها في الكنيسة الارثوذكسية، من ظلام الارثوذكسية إلى نور المسيح، د/حنين عبدالمسيح، ط١ ٢٠٠٩م، ص ٦٣ و مريم العذراء حياتها رموزها ألقابها فضائلها تكريمها للانبا غريغوريوس ص ١٥٢